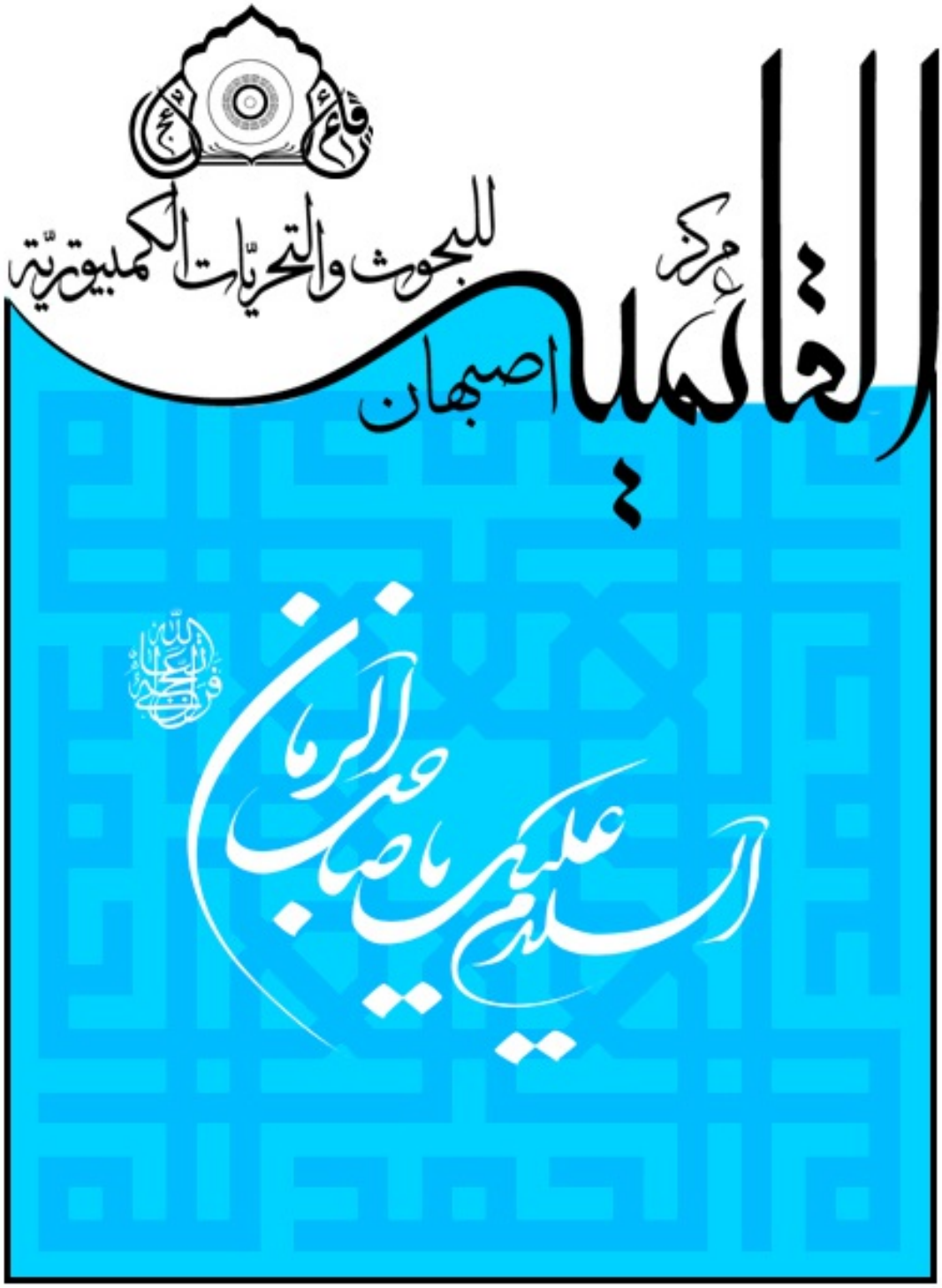

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

السيرة المحمدية

دراسة تحليلية للسيرة النبوية
على ضوء الكتاب والسنة والتاريخ الصحيح

الأستاذ الدكتور
الشيخ جعفر شرف الدين

المراجعة والتدقيق
الدكتور يوسف جعفر شرف الدين

تعريب
الشيخ جعفر الهادي

الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

السیره المحمدیه : دراسه تحلیلیه للسیره المحمدیه علی ضوآ الکتاب و السنه و التاریخ الصحیح

کاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

نشرت فی الطباعهٔ:

آلاالمرتضی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الفهرس ----- ۵
السیره المحمدیه : دراسه تحلیلیه للسیره المحمدیه علی ضوآ الکتاب و السنه و التاریخ الصحیح ----- ۷
اشارة ----- ۷
مقدمة المؤلّف ----- ۷
مقدمة الملخّص ----- ۸
القسم الاَوّل مکّة المکرمة ----- ۹
الفصل الاَوّل ----- ۹
الفصل الثانی ----- ۱۷
الفصل الثالث ----- ۲۴
الفصل الرابع ----- ۳۹
القسم الثانی المدینة المنورة ـ یثرب ----- ۴۹
الفصل الخامس الاَحداث السنة الاولی و الثانیة ----- ۵۰
اشاره ----- ۵۰
حوادث السنة الاُولی من الهجرة ----- ۵۰
أحداث السنة الثانیةمن الهجرة ----- ۵۲
الفصل السادس أحداث السنة الثالثة و الرابعة من ----- ۵۹
اشاره ----- ۵۹
أحداث السنة الثالثة من الهجرة ----- ۵۹
أحداث السنة الرابعة من الهجرة ----- ۶۲
الفصل السابع أحداث السنة الخامسة و السادسة ----- ۶۴
اشاره ----- ۶۴
أحداث السنة الخامسة من الهجرة ----- ۶۴
أحداث السنة السادسة من الهجرة ----- ۶۸

الفصل الثامن أحداث السنة السابعة و الثامنة من ---- ۷۴
اشاره ---- ۷۴
أحداث السنة السابعة من الهجرة ---- ۷۴
أحداث السنة الثامنة من الهجرة ---- ۸۴
الفصل التاسع أحداث السنة التاسعة والعاشرة و ---- ۹۶
اشاره ---- ۹۶
أحداث السنة التاسعة من الهجرة ---- ۹۶
أحداث السنة العاشرة من الهجرة ---- ۱۰۲
أحداث السنة الحادية عشرة من الهجرة ---- ۱۱۰
الفصل العاشر ---- ۱۱۱
المصادر و المراجع ---- ۱۲۴
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ---- ۱۲۶

السیره المحمدیه : دراسه تحلیلیه للسیره المحمدیه علی ضوآ الکتاب و السنه و التاریخ الصحیح

اشارهٔ

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸
عنوان و نام پدیدآور : السیره المحمدیه : دراسه تحلیلیه للسیره المحمدیه علی ضوآ الکتاب و السنه و التاریخ الصحیح [مولف جعفر السبحانی اعداد و اقتباس یوسف جعفر سعاده تعریب جعفر الهادی مشخصات نشر : قم آل‌المرتضی ۱۴۲۰ق = ۱۳۷۸.
مشخصات ظاهری : ص ۲۸۷
شابک : ۹۶۴-۶۲۴۳-۸۲-۷
وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
موضوع : محمد(ص ، پیامبر اسلام ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق -- سرگذشتنامه شناسه افزوده : سعادت یوسف جعفر، گردآورنده
شناسه افزوده : هادی جعفر، مترجم رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/س۲۵س۹۳
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳
شماره کتابشناسی ملی : م۷۸-۲۶۱۴۳

مقدمهٔ المؤلّف

مقدمهٔ المؤلّف

بسم الله الرحمن الرحیم إنّ أعظم صفحات التاریخ قیمهٔ، هی تلک التی تعکس لنا حیاهٔ العظماء، وسیرهٔالرجال الخالدین، والتی تبحث عنهم بصدق وأمانهٔ وموضوعیهٔ، ذلک إنّهم معجزهٔ الخلیقهٔ بلا ریب، وحیاتهم فی الحقیقهٔ ملحمهٔ التاریخ الکبری، وساحهٔ البطولات الخالدهٔ، ومسرح الحماسات العظمی الحیَّهٔ النابضهٔ علی مر العصور.

لقد کان أُولئک العظماء یعیشون علی خط الثوارات و التغییرات الاجتماعیهٔ، تجد مصداقیتها فی حیاتهم، وتتجسّد فی مواقفهم،ولهذا کانوا یشکّلون حلقهٔ الاتّصال بین مظاهرالدنیا المختلفهٔ المتناقضهٔ، فکانت حیاتهم الحافلهٔ بالأَحداث، شاهدهً للألوان والمشاهد المثیرهٔ المتنوعهٔ.

ویأتی علی رأس أُولئک الرجال التاریخیین والعظماء الخالدین، رسولُ الإسلام العظیم محمّد (صلی الله علیه وآله وسلم) ، إذ أنّه لم تتسم حیاهٔ أحد ـ من حیث وفرهٔ الأَحداث وعظمهٔ الأَمواج ـ کما اتّسمت حیاته«صلی الله علیه وآله وسلم» ، ولا اتّصفت شخصیهً بمثل ما اتّصف به ذلک النبیُّ العظیم. فلم یستطع أحدٌ سواه، أن یؤَثّر فی بیئته،ثمّ فی جمیع أنحاء العالم، وینفذ إلی أعماق الأَعماق بمثل السرعهٔ والسعهٔ التی حصلت له (صلی الله علیه وآله وسلم) .

إنّمطالعهٔ عمیقهٔ لسیرهٔ وحیاهٔ هذا الإنسان العظیم، قادرهٔ علی أن تعلمنا الکثیرَ الکثیرَ، وأن توقفنا علی مشاهد متنوعهٔ فی غایهٔ النفع ومنتهی الفائدهٔ.

وقد أُلّفت حول حیاهٔ رسول الإسلام کتبٌ ورسائل ودراسات کثیرهٌ، بحیث

(۶)

لو أُتیح لنا أن نجمعها فی مکان واحد، لشکّلت مکتبهً ضخمهٔ وعظیمهٔ.

ویمکن القول بأنّه لیس ثمّهٔ من عظیم استقطب اهتمام التاریخ والمؤرّخین والمفکّرین، کما أنّه لیس ثمّهٔ شخصیهً عالمیهٔ کتب حولَها المؤلّفون والباحثون، هذا القدرَ الهائلَ من المؤلّفات والمصنّفات والرسائل والکتب، مثل ما حصل للرسول الکریم (صلی الله علیه وآله

وسلم) .

إلّا أنّ أكثر هذه الكتب والموَلّفات تعانى من أحد إشكالين:

إمّا أنّه جاء على نَسَق التسجيل المجرّد للحوادث، أو النصوص التاريخية دون أن يقوم موَلّفُه بتحليلها ودراسة خلفيّاتها ونتائجها وإصدار الحكم اللازم بشأنها.

أو عَمَدَ إلى طائفة من الآراء الحدسية والاجتهادات الباطلة العارية عن الدليل، وإثباتها فى موَلّفه على أنّها الحكمُ الحقّ، وخلط هذه الاَحكام مع الاَحداث، ليخرج كتابه إلى الجمهور المتعطّش إلى تاريخ الاِسلام، على أنّه التاريخ المحقَّق.

ويمكن الردُّ على هوَلاء، بأنّ الهدف من التاريخ ليس مجرّد تسجيل للحوادث وضبطها وتدوينها، بل هو تناول أحداثه من المصادر الصحيحة الموثوق بها، وإبراز عللها، وأسبابها وثمارها ونتائجها، وهو بهذا الشكل يصبح أعظم كنز تركه الاَقدمون لنا.

لقد تجنّب أكثر كُتّاب السيرة النبوية عن إظهار الرأى فى الحوادث، أو القيام بأىّ تحليل للوقائع، بحجّة الحفاظ على أُصول الحوادث ونصوصها، بل إنّ أكثر الحوادث التاريخية فى العصر الاِسلامى أُدرجت فى الكتب من دون دراسة موضوعية وتقييم دقيق.

أمّا هذا الكتاب فإنّه يتميّز بميزتين هامتين:

أوّلها: إنّنا عمدنا فيه إلى تناول الحوادث والوقائع المهمة، ذات الفائدة

(۷)

الكبرى والعبر ، بالبحث والتحليل مع إبعاد الاَحداث الجزئية الصغرى، و قد اتّخذنا تلك الاَحداث من المصادر الاَصلية و الاَوّلية التى دوّنت فى القرون الاِسلامية المشرقة الاُولى.

وثانيتهما: إنّنا أشرنا خلال الدراسة، إلى الاعتراضات والاِشكالات، وإلى مواطن الاِساءة التى قدّمها المستشرقون المغرضون، وتناولناها بالاِجابة على كلّ تلك الانتقادات غير الصحيحة بأجوبة مقنعة وقاطعة.

ولهذا بادرنا إلى ذكر رأى الموَلّفين الشيعة فى المسائل التى اختلف عليها موَرّخو السنّة والشيعة، مع ذكر المصادر والشواهد التاريخية الواضحة المبرهنة.

وإنّنا إذ نقدّم هذه الدراسة التحليلية لشخصية وحياة خاتم الاَنبياء محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) إلى القرّاء الكرام، نأمل أن يهتم بها عامّةُالمسلمين وخاصةً المثقفون والشباب منهم، ليتناولوا هذه السيرة العطرة بالمطالعة المتأنّية و التأمّل والتدبّر، حتى يمكنهم أن يرسموا خريطة حياتهم وحياة مجتمعهم فى ضوء ما يستلهمونه ويتعلّمونه من سيرة وحياة رسول الاِسلام«صلى الله عليه وآله وسلم» فى هذه الحقبة البالغة الخطورة.

واللّه ولىُّ التوفيق جعفر السبحانى قم المقدّسة ـ موَسّسة الاِمام الصادق (عليه السلام) الاَربعاء ۲۷ محرم ۱۴۲۰هـ ۱۲|۵|۱۹۹۹م

(۸) (۹)

مقدمة الملخّص

مقدمة الملخّص

كان لى الشرف العظيم والافتخار أن أتقابل مع الاُستاذ المحقّق و العلاّمة الشيخ جعفر السبحانى فى مكتبه بقم المقدسة، حينما جمعتنى به الظروفُ والصّدفُالحسنة الطيبة والمباركة، أدام اللّه ظلّه وأطال فى عمره الشريف، فقد كنتُ فى قم المقدّسة بهدف تقييم كتابى:«أهل البيت «عليهم السلام» وآثارهم فى المجتمع الاِنسانى» الّذى كان يستدعى أن أعرضه على عدد من علمائنا الاَفاضل ـ أطال اللّه فى أعمارهم وجعلهم أنواراً فى الاَرض ـ ليقدّموا ما لديهم من مقترحات حول ما جاء فيه من أفكار وآراء قد لا تتناسب مع جزئيات الدين أو المذهب أو المعتقدات الخاصة بالمسلمين عامة و الشيعة خاصة.

وكان الشيخُ الفاضل ممن أَوصيت بالاتّصال به للمساعدة فى هذا الجانب، فتشرَّفت بلقائه وتقبّل ما عرضت عليه، فله الشكرُ و التقديرُ والاحترام، إلاّ أنّه فى نفس الوقت تقدّم هو الآخر بعرضٍ مماثل، وهو أن أقوم بتلخيص كتابه الكبير : «سيد المرسلين» الذى يتناول فيه سيرة الرسول الكريم محمّد «صلى الله عليه وآله وسلم» ، وذلك ليسهل تداوله فى الأيدى، فيطّلع عليه شبابنا المثقّف فى هذا الزمن الذى امتنع فيه عن قراءة الكتب المطوّلة ذات الأجزاء المتعدّدة، بل بالكاد يطلع على أقلّ الكتب صفحات وموضوعات وأفكار. وكان عرضه فى الحقيقة شرفاً كبيراً لى، وتقديراً منه لى أيضاً، فى الوقت الذى اندهشت لعرضه، إذ انّنى فى كتابى« أهل البيت» تناولت ما يتعلّق من أحداث عن الأئمّة الاثنى عشر «عليهم السلام» وأولادهم وأحفادهم، دون التعرّض للنبى(صلى الله عليه وآله وسلم) والسيدة فاطمة الزهراء(عليها السلام) إلاّ نادراً، فأصبح هذا الكتاب وكأنّه يكمل

(۱۰)

ولا شكّ ما جاء من وقائع وأحداث فى كتابى أهل البيت «عليهم السلام» .

وقد نهج الكاتب العظيم فى تأليفه، بأن قسّم كتابه إلى جزءين: تناول فى الأوّل منهما أحداث الإسلام والمسلمين فى مكة إلى زمن الهجرة إلى يثرب. وفى الجزء الثانى، قدم شرحاً مفصلاً لأحداث المدينة المنورة سنةً بعد سنةً، إلاّ أنّه لم يتخذ منهج التنظيم، شكلَ الأبواب والفصول، بل نهج فى تنظيمه بالأعداد والأرقام.

ولما كنت أميل نحو تنظيم الكتب فى مؤلفاتى إلى الأقسام والأبواب والفصول، فإنّى قمت بتقسيمه أوّلاً إلى قسمين: اختص الأوّل بأحداث مكّة المكرّمة.

والثانى: ارتبط بوقائع ومجريات الأُمور فى المدينة المنورة.

ثمّ إنّ كلّ قسم اتّخذ عدة فصول بحسب الأحداث و الوقائع وأهميتها. كما أنّى أضفت عدّة فقرات كانت بحاجة إلى تفسير بعض الأحداث أو المواقع أو الشخصيات. ثمّ أعددت قائمة منظمة للمراجع والمصادر التى استفاد منها المؤلّف كما أعددت فصلاً خاصاً تناولت فيه ما جاء من قصص وروايات فى كتاب العلاّمة الشيخ تثرى المعلومات المقدمة.

وأرجو من اللّه العلى القدير أن يكون قد وفّقنى فى عملى المتواضع هذا، وأن يتقبّله الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأهل بيته الكرام، فيكون شفيعاً لى ولأهلى يوم القيامة، وأن يُرضِىَ به أُستاذنا وشيخنا المحقّق العلاّمة جعفر السبحانى، أطال اللّه عمره بالصحّة الموفورة، ووفّقه لما فيه الخير والمصلحة للإسلام والمسلمين. د|يوسف جعفر سعادة

الكويت ۲۱ ربيع الأوّل ۱۴۲۰هـ ۴|۷ (يوليو|)۱۹۹۹م

(۱۱)

القسم الأوّل مكّة المكرمة

الفصل الأوّل

الفصل الأوّل العرب قبل الإسلام

الأحوال الداخلية فى شبه الجزيرة العربية

الأحوال السياسية فى المنطقة المجاورة

التعريف بأسلاف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

(۱۴) (۱۵) ۱. الأحوال فى جزيرة العرب لم تكن القبائل العربية الجاهلية المتناحرة، تعيش أيّة حضارة، ولم تكن تمتلك أيّة تعاليم وقوانين وأنظمة وآداب قبل مجىء الإسلام، فقد كانت محرومةً من جميع المقوّمات الاجتماعية التى توجب التقدّمَ والرقى، ولذا فلم

یکن من المتوقع أن تصل إلی تلک الذری الرفیعة من المجد والعظمة، ولا أن تنتقل من نمط الحیاة القبلیة الضیقة إلی عالم الإنسانیة الواسع و أُفق الحضارة الرحیب، بمثل هذه السرعة التی وصلت إلیه، والزمن القصیر الذی انتقلت فیه.

ویمکننا أن نقف علی وصف دقیق لحالة العرب قبل الإسلام، من خلال مصدرین إسلامیین أساسیّین، وهما:

۱. القرآن الکریم، وهو خیر مرآة تعکس أحوال العرب وأوضاعهم بالدقّة والشمولیة.

۲. ما صدر عن الإمام علی (علیه السلام) فی نهج البلاغة فی وصف الحالة قبل الإسلام.

فقد ورد فیهما تصریحاتٌ ونصوصٌ صریحة تکشف عمّا کان علیه العرب فی الجاهلیة من سوء أحوال، وأوضاع، وأخلاق فی جمیع الأبعاد والأصعدة.

(۱۶)

وبالرغم من أنّ العرب من ولد عدنان قد اتّصفوا بصفات حسنة، إذ کانوا یکرمون الضیف، وقلّما یخونون الأمانة، ویضحّون فی سبیل المعتقد، ویتحلّون بالصراحة الکاملة، إضافة إلی براعتهم فی فن الشعر والخطابة، وکونهم یضربُ بهم المثل فی الشجاعة والجرأة، إلاّ أنّهم إلی جانب کلّذلک، کانوا یعانون من مفاسد أخلاقیة تطغی علی ما لدیهم من کمال وفضیلة.

فالمجتمع العربی وخاصة منطقة الحجاز لم تقم فیها حضارة،أو أنّه لم یبق أی أثر من هذه الحضارات فیها إلی ما قبل بزوغ الإسلام، وقد شاعت فیه أخلاق وعادات کان أبرزها:

ـ الشرک فی العبادة، حیث عبدوا الأصنام والأوثان والنجوم.

ـ إنکار المعاد، أی عودة الإنسان إلی الحیاة فی العالم الآخر.

ـ هیمنة الخرافات، التی کانت تکبّل عقول الناس فی المجتمع، حیث ترکزت فیها، فکانت سبباً قویاً فی تخلّفهم، وسداً منیعاً فی طریق تقدّم الدعوة الإسلامیة، فیما بعد، ممّا جعل النبی(صلی الله علیه وآله وسلم) یعمل بکلّ طاقاته وجهده فی محو وإزالة تلک الآثار الجاهلیة، والأفکار والمعتقدات الخرافیة.

ـ الفساد الأخلاقی، مثل انتشار القمار ـ المیسر ـ والخمر و الزنا واللواط والبغاء.

ـ وأد البنات، وهی العادة القبیحة التی اعتبرها القرآن الکریم جریمة نکراء لا تمر فی الآخرة بدون حساب شدید.

ولذا فإنّ المرأة کانت محرومة من جمیع الحقوق الاجتماعیة حتی حقّ الإرث، کما عدّها المثقفون من الحیوانات تباع وتشتری، وجزء من أثاث البیت.

(۱۷)

وکان الرجل یتزوج بزوجة أبیه متی طلقها أو بعد وفاته، و ربما تناوب الأبناء علی امرأة أبیهم واحد بعد واحد، کما کان الرجل یرث امرأة من قرابته إذا مات عنها، مثلما یرث أمتعة المنزل، إضافة إلی أنّهم کانوا یورثون البنین دون البنات.

ـ تناول الدم والمیتة والخنزیر، وأکل الحیوانات التی یقتلونها بقسوة.

ـ النسیء، وهو تأخیر الأشهر الحرم، کان یقوم به سدنة الکعبة أو روَساء العرب، عندما کانوا یقررون استمرار الحرب و الغارات فی الأشهر الحُرم.

ـ الربا، الذی شکّل العمود الفقری فی اقتصادهم.

ـ النهب والسلب، فقد کان انتهاب ما فی أیدی الناس، والإغارة والقتال، من العادات المستحکمة عندهم، حتی إنّ بعض حروبهم کانت تمتدّ إلی مائة سنة أو أکثر، حیث کانت الأجیال تتوارث تلک الحروب، وقد بلغ ولعهم بالقتال وسفک الدماء أن جعلوها من مفاخر الرجال.

ـ أمّا عن الجانب العلمی والثقافی، فإنّ أهل الحجاز وُصِفوا بالأُمّیین، فلم یتجاوز عددُ الّذین عرفوا القراءة والکتابة فی قریش ما قبل

الاِسلام عن(۱۷) شخصاً فی مکهٔ ، و (۱۱) نفراً فی المدینهٔ المنورهٔ.

ومن ذلک یمکن القول أنّ تاریخ العرب قبل الاِسلام وبعده،تاریخان علی طرَفی نقیض: الاَوّل جاهلی ووثنی وإجرامیّ، والثانی تاریخ علم ووحدانیهٔ وإنسانیهٔ وإیمان.

ومن التخلّف والانحطاط فی الاَوّل، یمکن معرفهٔ مدی تأثیر الاِسلام وعظمهٔ التعالیم الاِسلامیهٔ فی جمیع المجالات والحقول المعیشیهٔ. فکیف تحقق

(۱۸)

ذلک التطور العظیم لهوَلاء العرب الجاهلیّین فی الجزیرهٔ العربیهٔ، فی حین لم یستطع عربُ الیمن الذین امتلکوا الشیء الکثیر من الثقافهٔ والحضارهٔ، وعاشوا حیاهٔ حضاریهٔ متطورهٔ، أن یصلوا إلی هذه النهضهٔ الشاملهٔ، أو تقیم مثل هذه الحضارهٔ العریضهٔ، أو عرب الغساسنهٔ الذین جاوروا بلاد الشام المتحضّرهٔ، والذین عاشوا تحت ظلّ حضارهٔ الروم، أن یصلوا إلی تلک الدرجهٔ من الثقافهٔ، أو عرب الحیرهٔ الذین عاشوا تحت ظل إمبراطوریهٔ الفرس أن ینالوا مثل ذلک الرقیّ والتقدّم، فی الوقت الذی تمکّن فیه عرب الحجاز من تحقیق تلک النهضهٔ الجبارهٔ، وورثوا الحضارهٔ الاِسلامیهٔ العظمی، فی حین لم یکن لهم عهدٌ بأیّ تاریخ حضاریّ مشرق، بل کانوا یرزحون تحت أغلال الاَوهام والخرافات والاَساطیر والعادات السیّئهٔ.

وخیرُمن یوضّح تلک الاَوضاع والاَحوال، هو الاِمام علی (علیه السلام) فی الخطبهٔ الثانیهٔ من «نهج البلاغهٔ»:

« والناسُ فی فِتَن انجذم(۱)فیها حبلُ الدین، وتزعزعت سواری(۲)الیقین، واختلف النجرُ (۳) و تشتُّت الاَمرُ، وضاق المخرجُ،وعمی المصدرُ، فالهدی خامل، والعمی شامل، عصی الرحمن ونُصر الشیطان، وخُذِلَ الاِیمانُ فانهارت دعائمهُ، وتنکّرت معالمُه،ودرست (۴)سبلُه،وعفت شرکه(۵) ... فهم فیها تائهون حائرون جاهلون مفتونون فی خیر دارٍ وشرِّ جیرانٍ، نومُهم سُهود، وکُحلهم دموع، بأرض عالمها مُلجَم وجاهلها مُکرَم_____».

۱ . إنقطع.

۲ . الدعائم.

۳ . الاَصل.

۴ . نطمست.

۵ . الطرق.

(۱۹)

وفی الخطبهٔ ۲۶ قال (علیه السلام) :

«إنّاللّه بعث محمّداً(صلی الله علیه وآله وسلم) نذیراً للعالمین وأمیناً علی التنزیل، وأنتم معشر العرب علی شرّ دین وفی شرّ دار منیخون(۱) بین حجارهٔ خُشن(۲)هث، وحیّات صُمّ(۳) تشربون الکَدر، وتأکلون الجشِب(۴) وتسفکون دماءکم، وتقطعون أرحامکم، الاَصنام فیکم منصوبهٌ، والآثام بکم معصوبهٔ (۵).

و قال (علیه السلام) فی الخطبهٔ ۹۵:

«بعثه (صلی الله علیه وآله وسلم) ، والناس ضُلّال فی حیرهٔ، وحاطبون فی فتنهٍ،قد استهوتهم الاَهواءُ،واستزلّتهم الکبریاءُ، واستخفّتهم(۶)الجاهلیهٔ الجهلاءُ، حَیاری فی زلزالٍ من الاَمر، وبلاءٍ من الجَهل، فبالَغَ (صلی الله علیه وآله وسلم) فی النصیحهٔ، ومضی علی الطریقهٔ، ودعا إلی الحکمهٔ والموعظهٔ الحَسَنهٔ».

وأیضاً فی الخطبهٔ۱۵۱: قال (علیه السلام) :

«أضاءت به (صلی الله علیه وآله وسلم) البلاد بعد الضلالهٔ المظلمهٔ، والجهالهٔ الغالبهٔ، والجفوهٔ الجافیهٔ، والناس یستحلون

الحريمَ،ويستذلون الحكيمَ، يحيون على فترة(۷) ويموتون على كفرة».

وقد أكد تلك الاَحوال والحياة، أيضاً، جعفرُبن أبى طالب، عندما خطب أمام

---

۱ . مقيمون

۲ . جمع خشناء من الخشونة.

۳ . التى لا تسمع لعدم إنزجارها بالاَصوات.

۴ . لطعام الغليظ.

۵ . مشدودة

۶ . طيّشتهم.

۷ . على خلوّ من الشرائع.

(۲۰)

النجاشى فى الحبشة، يشرح أحوال المسلمين والمشركين، فقال:

«أيّها الملك، كُنّا قوماً أهل جاهلية نعبدُ الاَصنام، ونأكلُ الميتة،ونأتى الفواحش،ونقطعُ الاَرحام،ونسىء الجوار، ويأكلُ القويُّمنّا الضعيف، فكنّا على ذلك، حتّى بعث اللّه إلينا رسولاً منّا نعرف نَسَبَه وصدقَه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى اللّه لنوحّده ونعبده،ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والاَوثان،وأمرَنا بصدق الحديث،وأداء الاَمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار،والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكلِ مال اليتيم، وقذف المحصَنات. وأمرنا أن نعبد اللّه وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام».(۱) ۲. الاَحوال السياسية فى المنطقة

لقد جاروت البيئة الّتى ظهر فيها الاِسلام أعظم امبراطوريتين فى ذلك الوقت هما: إمبراطوريةالروم والفرس، وهذا ممّا يجعلنا ندرس أحوالهما لنقف على قيمة الحضارة التى قدّمها الاِسلام.

فامبراطورية الروم تميّزت الاَحوال فيها بالحروب الداخلية والخارجية، وخاصّة فى صراعها مع دولة فارس، كما كان للمنازعات الطائفية والمذهبية نصيبها فى توسيع رقعة الاختلاف فيها، كالحرب بين المسيحيين والوثنيين، حينما مارس رجال الكنيسة أشدّ أنواع الضغط والاضطهاد بحقّ الآخرين، الاَمر الذى ساعد على إيجاد أقلية ناقمة، كما ساعد على ظهور حالة مهدت لتقبّل الشعب الرومانى للدعوة الاِسلامية فيما بعد. هذا مضافاً إلى أنّ اختلاف رجال الدين فيما

---

۱ . السيرة النبوية ۱ |۳۳۵ والحديث عن أُمّسلمة.

(۲۱)

بينهم، وتعدّد المذاهب من جهة، عملا على التقليل من هيبة الاِمبراطورية واتجاهها نحو الضعف و الانحلال. وقد أدّى كلّ ذلك إلى انقسام الاِمبراطورية الرومانية إلى قسمين: شرقى و غربى. وقد استغل اليهود ذلك الضعف و الانهيار الداخلى فخطّطوا لاِسقاط النظام، ممّا جرّ إلى ازدياد جرائم المذابح الانتقامية بين الطرفين، ولم تهدأ الاَحوال إلّا بعد ظهور الاِسلام وانتشاره فى تلك الجهات.

أمّا إمبراطورية فارس، فقد سيطرت على معظم مناطق العالم بالاشتراك مع إمبراطورية الروم، وتميّزت الفترة بالنزاع الدائم بين إيران الساسانية والروم للسيطرة على مناطق نفوذ جديدة، فقد بدأت الحروب بينهما منذ عهد «أنوشيروان» (۵۳۱ـ۵۸۹م) حتى زمن «خسرو برويز» لمدة ۲۴ عاماً، ممّاأضعف الدولتين.

وقد اشتهر «برويز» بالميل نحو الترف وحياة البذخ، حتى بلغت أعداد نسائه وجواريه الآلاف منهن، كما كان أرغب الناس فى جمع

الاَموال والجواهر والاَوانی.

وفی الجانب الاجتماعی، ظهر التمییز بین الطبقات، فالنبلاء والکهنهٔ کانوا علی رأسها تملکوا المناصب الاجتماعیهٔ العلیا، بینما حرم الکسبهٔ والمزارعون وبقیهٔ أبناء الشعب من کافهٔ الحقوق الاجتماعیهٔ، سوی دفعهم للضرائب الثقیلهٔ والمشارکهٔ فی الحروب. وقد أدّی هذا الوضع المتردّی إلی أن تمتلک أقلیهٔ صغیرهٔ کلّ شیء وهی نسبهٔ (۵|۱۱٪) من مجموع الشعب، بینما حرم أکثر من (۸۹٪) من حقّ الحیاهٔ تماماً. کما أنّ الاَغنیاء فقط هم الذین تلقّوا التعلیم، بینما حُرِمَ الباقون منه، واتخذ الحکّام الساسانیون سیاسهٔالخشونهٔ القاسیهٔ مع الناس، وأخضعوهم بالسیف والعنف، وفرضوا الضرائب الثقیلهٔ، ممّا جعل الشعب غیر راضٍ علی حکمهم وسیرتهم، الاَمر الذی جعل الصراع والتنافس یدب بین الاَمراء والاَعیان

(۲۲)

وقادهٔ الجیش، فاختار کلّ فریق أمیراً من أبناء العائلهٔ المالکهٔ، وتفرغ لتصفیهٔ الطوائف الاُخری، ممّا أصبح کلّذلک أسباباً قویّهٔ لضعف الدولهٔ وانقسامها وانحلالها أیّام الفتح الاِسلامی.

علی أنّ الفساد الذی ظهر فی أوساط رجال الدین الزرادشت،وتطرّق الخرافات والاَساطیر إلی المعتقدات الزرادشتیهٔ، تسبب فی حدوث مزید من التشتّت والاختلاف فی آراء الشعب الاِیرانی وعقیدته، ممّا أفقده الثقهٔ والاِیمان بتلک المعتقدات.

وقد أدّی تردّی الاَوضاع الاجتماعیهٔ، والصراع الطویل بین فارس والروم فی خلال عشرین عاماً، إلی عقد الصلح بینهما علی أساس أن یدفع الروم إلی فارس ما یعادل (۲۰ ألف دینار)، إلاّ ـ أنّ الروم عادوا إلی الحرب والمعارک الطاحنهٔ مرّهٔ اُخری لفترهٔ سبع سنوات، تمکن فیها الملک الفارسی خسرو برویز فی ۶۱۴م من الاستیلاء علی بلاد الشام وفلسطین وأفریقیهٔ، ونهب أورشلیم، وحرق کنیسهٔ القیامهٔ ومزار السید المسیح (علیه السلام) ، وقتل ۹۰ ألف نصرانی. وقد حدث ذلک فی زمن بعثهٔ الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) و قد حزن المسلمون علی هزیمهٔ الرّوم الّذین کانوا أصحاب کتاب، و لم یتخذ الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» موقفاً خاصّاً اتّجاه هذه الاَحداث حتی نزل الوحی علیه مبشّراً بانتصار الروم فی المستقبل القریب، وقد تحقّقت هذه البشارهٔ فی سنهٔ ۶۲۷ م.(۱) وقد وضع الجیش الاِسلامی بحملاته الناجحهٔ، حداً لتلک الاَوضاع المضطربهٔ، ونهایهً لذلک الصراع السیاسی الدامی الذی استمر خمسین عاماً، وفسح المجال لاَن یختار الشعبُ الفارسی دینه ومعتقداته بحریهٔ فی منأی عن القهر والقسر_____.

۱ . راجع سورهٔ الروم:۱ ـ ۶.

(۲۳) ۳. التعریف بأسلاف الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) کان من الواجب التحدّث عن أحوال أجداد النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» لما کان لهم من نصیب هام فی تاریخ العرب والمسلمین . ولما کان نسب النبیُ (صلی الله علیه وآله وسلم) ینتهی إلی النبی إسماعیل بن إبراهیم «علیهما السلام» فإنّه من المستحب أن نتناول أسلاف النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بالعرض والدراسهٔ بدءاً منه (علیه السلام) .

۱. النبی إبراهیم (علیه السلام) هو بطل التوحید، جاهد فی سبیل إرساء قواعد التوحید، واقتلاع جذور الوثنیهٔ. ولد فی بابل ـ التی تعد إحدی عجائب الدنیا السبع ـ التی حکمها «نمرود بن کنعان» الذی أمر الناس بعبادته إضافهً إلی عبادهٔ الاَصنام، ولمّا ذکر له أنّ عرشه سینهار علی ید رجل یولد فی بیئته، أمر بعزل الرجال عن النساء، فی نفس اللیلهٔ التی انعقدت فیها نطفهٔ النبی إبراهیم «علیه السلام» ، وهی اللیلهٔ التی تکهَّن بها المنجمون والکهنهٔ من أنصار نمرود، ممّا دفع جلاوزته إلی قتل کلّ ولید ذکر. وقد حملت به اُمّه ـ اُمّ إبراهیم ـ مثلما حملت اُمّ موسی (علیه السلام) به، فأمضت فترهٔ حملها فی خفاء وتستر، ثمّ وضعته فی غار بجبل قریب من المدینهٔ للحفاظ علیه، وقضی فی هذا الغار فترهٔ ثلاث عشرهٔ سنهٔ، ثمّ انخرط فی المجتمع الذی استغرب وجوده فأنکروه. ورأی فی مجتمعه ظواهر التعبد لغیر اللّه، من نجوم وکواکب وأصنام وعبادهٔ الاِنسان، ممّا دعاه إلی أن یحارب فی هذه الجبهات، التی أوضحها القرآن الکریم فی سوره وآیاته الشریفهٔ. وقد بدأ عمَلَه بمکافحهٔ ما کان علیه أقرباوَه، وعلی رأسهم عمه آزر، وهو عبادهٔ الاَصنام والاَوثان، ثمّ

اتَّجه إلی جبههٔ أَخری أکثر ثقافهٔ وعلم، وهی التی عبدت الکواکب والنجوم والأَجرام السماویهٔ.

وقد أعطی النبی إبراهیم (علیه السلام) سلسلهٔ من الحقائق الفلسفیهٔ والعلمیهٔ، لم یصل إلیها الفکر البشری یومذاک، فی حواره العقائدی مع عبّاد

(۲۴)

الأَجرام السماویهٔ، مدعمهٔ بأدلّهٔ لا تزال إلی الیوم،موضع إعجاب کبار العلماء وروّاد الفلسفهٔوالکلام. وقد نقل القرآن الکریم فی هذا المجال أدلّهٔ النبی إبراهیم (علیه السلام) باهتمام خاصّ وعنایهٔ بالغهٔ.(۱) فقد اتّخذ إبراهیم (علیه السلام) هیئهٔ الباحث عن الحقیقهٔ بدون أن یصدم تلک الفرق المشرکهٔ ویجرح مشاعرها. ورکّز فی عمله علی التوحید فی الربوبیهٔ، والتدبیر وإدارهٔ الکون، وأنّه لا مدبّر ولا مربّی للموجودات الأَرضیهٔ إلّا اللّه سبحانه و تعالی، فأبطل ربوبیهٔ الأَجرام السماویهٔ بقوله: (وَجَّهْتُ وَجْهِی لِلّذی فَطَرَ السَّمواتِ وَالأَرض حَنیفاً وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِکین) (۲)

أمّا بالنسبهٔ إلی عمّه آزر الذی کان ذا مکانهٔ اجتماعیهٔ عالیهٔ بین قومه، وصانعاً ماهراً ومنجماً، له رأیه وأفکاره فی الأُمور الفلکیهٔ فی بلاط نمرود، فإنّه لیس أبوه بل عمّه، وذلک أنّ علماء الشیعهٔ قد اتّفقوا علی أنّ آباء الأَنبیاء کانوا مؤمنین باللّه موحّدین به، وأکّد الشیخ المفید ذلک فی کتابه: «أوائل المقالات»(۳) بل إنّ کثیراً من علماء السنّهٔ قد وافقهم فی ذلک أیضاً،ولعلّ مناداته بالأَب، نظراً لکونه الکافل لإبراهیم (علیه السلام) ردحاً من الزمن، فنظر إلیه بمنزلهٔ الأَب.

وأمّا بخصوص عقابه، وإلقائه فی النار، وعدم تأثّره بها وخروجه سالماً منها، فإنّالسلطات الحاکمهٔ قررت نفیه من البلاد فغادرها إلی الشام، ثمّ إلی الحجاز مع زوجته هاجر وابنه إسماعیل، حینما أسکنهما فی مکّهٔ، وظهرت بفضلهما عین زمزم، ووفدت جماعات من القبائل لتسکن فی تلک البقعهٔ، وأشهرها قبیلهٔ «جرهم» التی تزوّج منها إسماعیل وصاهرهم، ومنذ ذلک الوقت أصبحت مکهٔ من

---

۱ . ترتبط آیهٔ ۷۴ من سورهٔ الأَنعام بحواره مع الوثنیّین، بینما ترتبط الآیات اللاحقهٔ لها بعبادهٔ الأَجرام السماویهٔ.

۲ . الأَنعام:۷۹.

۳ . اوائل المقالات:۱۲، باب القول فی آباء رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) .

(۲۵)

المدن العامرهٔ، بعد أن کانت صحراء قاحلهٔ وواد غیر ذی زرع.

۲. قصیّ بن کلاب: هو الجدّ الرابع للرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) وأُمّه فاطمهٔ التی تزوّجت برجل من بنی کلاب ورزقت منه بولدین: زهرهٔ وقصیّ. و قد توفّی أبوه فربّاه زوجُ أُمّه ربیعهٔ، إلّا أنّ خلافاً وقع بین قصیّ وقوم ربیعهٔ، أدی إلی طرده من قبیلتهم،ولکن أُمّه تمکنت من إرجاعه إلی مکهٔ، فعاش فیها متفوقاً فی أعماله ومراکزه، فشغل المناصب الرفیعهٔ، مثل حکومهٔ مکهٔ، وزعامهٔ قریش، وسدانهٔ الکعبهٔ المعظمهٔ، فأصبح رئیس تلک الدیار دون منازع. ومن أهمّ أعماله:

أ: تشجیع الناس علی البناء حول الکعبهٔ.

ب: تأسیس مجلس شوری یجتمع فیه روَساء القبائل فی حلّ مشکلاتهم، وهو دار الندوهٔ.

وأمّا من الأَولاد فقد ترک: عبد الدار وعبد مناف.

۳. عبد مناف: هوالجدّالثالث للنبی الأَکرم (صلی الله علیه وآله وسلم) واسمه: «المغیرهٔ»، ولقبه قمر البطحاء. و مع أنّه کان أصغر من أخیه، إلّا أنّه حظی بمکانهٔ خاصهٔ عند الناس، فقد اتخذ التقوی شعاراً، ودعا إلی حسن السیرهٔ وصلهٔ الرحم، ولکن الزعامهٔ والقیادهٔ کانت لأَخیه عبد الدار، حسب وصیهٔ أبیهما. إلّا أنّ الوضع تبدّل بعد وفاتهما، فقد وقع الخصام والتنازع بین أبنائهما علی المناصب، فانتهی الأَمر إلی اقتسامها بینهم، حیث تقرّر أن یتولّی أبناء عبد الدار سدانهٔ الکعبهٔ وزعامهٔ دار الندوهٔ، ویتولّی أبناء عبد مناف سقایهٔ

الحجیج وضیافتهم ووفادتهم.

۴. هاشم: وهوالجدّ الثانی للرسول الاَعظم (صلی الله علیه وآله وسلم) واسمه: عمرو و لقبه العُلاء، ولد مع عبد شمس توأماً له، وله أخوان آخران هما: المطلب ونوفل.

ومن الاُمور المیزهٔ لاَبناء عبد مناف، إنّهم تُوفُّوا فی مناطق مختلفهٔ، فهاشم تُوفّی فی غزّهٔ، وعبد شمس فی مکّهٔ، ونَوفَل فی العراق،والمطلب فی الیمن.

(۲۶)

کان یدعو الناس إلی الترحیب بضیوف اللّه وزوّاره وتکریمهم بالمال والحلال فی غرّهٔ کلّ شهر ذی الحجهٔ:«وأسألُکم بحرمهٔ هذا البیت ألاّیُخرج رجلٌ منکم من ماله لکرامهٔ زوّار بیت اللّه وتقویتهم إلاّطیباً لم یوَخذ ظلماً، ولم یقطع فیه رحم، ولم یوَخذ غصباً».(۱)

ومن أهمّ آثاره: أنّ زعامته لمکّهٔ کانت لمنفعهٔ أهلها وتحسین أوضاعهم، فقد ساهم کرمُه فی عدم انتشار القحط والجدب، کما أنّه حسّن من الحالهٔ الاقتصادیهٔ فی البلاد عندما عقد معاهدهٔ مع أمیر الغساسنهٔ، ممّا دفع أخاه عبد شمس إلی أن یعاهد أمیر الحبشهٔ، وأخویه نوفل والمطلب أیضاً أن یعقدا معاهدات مع أمیر الیمن وملک فارس، وذلک لتجنب الاَخطار وتأمین الطرق و سیر القوافل التجاریهٔ. وقد عُرِفَ عنه أنّه الموَسس لرِحلتی الشتاء والصیف إلی الشام والیمن.

إلاّ أنّ کلّتلک الاِسهامات من جانب هاشم، کانت دافعاً إلی أن یحسده اُمیّهٔ بن عبد شمس ابن أخیه، وذلک لما حظی به من مکانهٔ وعظمهٔ وتقرّب إلی قلوب الناس، الاَمر الذی أجبرهم علی الحضور عند کاهن من کهنهٔ العرب، فقضی لهاشم بالغلبهٔ، فأخذ منه الاِبل وأخرج اُمیهٔ إلی الشام نافیاً لمدّهٔ عشرهٔ سنین، حسب الشروط التی تمت بینهما.وتبیّن هذه القصهٔ جذورَ العداء بین بنی هاشم وبنی اُمیّهٔ من ناحیهٔ، وعلاقات الاَمویین بالشام وارتباطهم بها حین اتخذوها عاصمهٔ لدولتهم بعد ذلک من ناحیهٔ اُخری.

ومن أشهر أولاده : شیبهٔ، الذی عُرِفَ بـ«عبد المطلب» لاَنّه تربی وترعرَعَ فی حجر عمّه المطلب، حیث کان العرب یسمّون من تَرعرَعَ فی حجر أحد، وینشأ

---

۱ . السیرهٔ الحلبیهٔ :۱|۶.

(۲۷)

تحت رعایته، عبداً لذلک الشخص.

۵. عبد المطلب: وهو الجدّ الاَوّل للنبی العظیمص ورئیس قریش وزعیمها. وأودعت یدُالمشیهٔ الربانیهٔ بین حنایا شخصیته نورَالنبی الاَکرم «صلی الله علیه وآله وسلم» ولذا کان إنساناً طاهر السلوک، نقیّ الجیب، منزّهاً عن أیّ نوع من أنواع الانحطاط والفساد، وأحد المعدودین الذین کانوا یوَمنون باللّه والیوم الآخر.

وقد اشتهر موقفه الاِیمانی فی عام الفیل، حینما أمر جماعته بالخروج من مکهٔ إلی الجبال والشعاب، ونزل إلی الکعبهٔ یدعو اللّه ویستنصره علی أبرهٔ وجنوده مناجیاً: «اللّهمّ أنت أنیسُ المستوحشین، ولا وحشهٔ معک، فالبیت بیتُک والحرمُ حرمُک والدار دارُک، ونحن جیرانُک، تمنع عنه ما تشاء، وربّ الدار أولی بالدار».

وفی الصباح خرجت أسرابٌ من الطیور من جههٔ البحر یحمل کل واحد منها ثلاثهٔ أحجار، حجر فی منقاره،وحجر فی کلّ من رجلیه وحلّقت فوق روَوس الجند، ورجمتهم بالاَحجار بأمر من اللّه محطمهٔ روَوسهم وممزقهٔ لحومهم، وقد أصاب حجر منها رأس أبرهٔ القائد، فأمر جنوده بالتراجع والعودهٔ إلی الیمن، إلاّ أنّهم اُهلکوا فی الطریق، حتی أبرهٔ نفسه مات قبل وصوله صنعاء.(۱)

وقد نتج من هذه العملیهٔ، أن تحطّم جیش أبرهٔ، وانهزم أعداء قریش، وعظم شأن المکیین،وشأن الکعبهٔ المشرفهٔ فی نظر العرب وغیرهم، فلم یجرأ أحد بعد ذلک علی غزو مکهٔ، أو الاِغارهٔ علی قریش، أو التطاول علی الکعبهٔ. کما أنّها من جانب آخر، أحدثت فی

نفوس القرشیین حالات جدیدة خاصة، فقد زادت من غرورهم وعنجهیتهم واعتزازهم بعنصرهم، فقرروا تحدید شوَون الآخرین والتقلیل من وزنهم، علی أساس أنّهم فقط الطبقة الممتازة من العرب. کما دفعتهم

---

۱ . السیرة الحلبیة: ۱|۴۳؛ الکامل فی التاریخ:۱|۲۶۰؛ بحار الأنوار:۵|۱۳۰.

(۲۸)

إلی التصور بأنّهم موضع عنایة الأصنام (الـ ۳۶۰) إذ أنّهم فقط الذین تحبهم تلک الأصنام وتحمیهم وتدافع عنهم!!

وقد دفعهم کلّ ذلک إلی التمادی فی لهوهم ولعبهم، والتوسع فی ممارسة الترف واللّذات، وإظهار الولع بشرب الخمر، حتی أنّهم مدّوا موائد الخمر فی فناء الکعبة، وأقاموا مجالس أنسهم إلی جانب تلک الأصنام، متصورین أنّ حیاتهم الجمیلة هذه هی من برکة تلک الأصنام والأوثان!!

کما أنّهذه الحالة جعلت قریش تقوم بإلغاء أیّ احترام وتقدیر للغیر فقالوا: إنّ جمیع العرب محتاجون إلی معبدنا، فقد رأی العرب عامةً کیف اعتنی بنا آلهة الکعبة خاصةً، وکیف حَمَتنا من الأعداء.

ومن ذلک بدأت قریش تضیّق علی کلّ من یدخل مکة للعمرة أو الحجّ، وتعاملهم بخشونة وأسلوب دیکتاتوری، وفرضت علیهم ألا یصطحب أحد منهم طعاماً معه من خارج الحرم ولا یأکل منه، بل علیه أن یقتنی من طعام أهل الحرم ویأکل منه، وأن یلبس عند الطواف بالبیت من ثیاب أهل مکّة التقلیدیة القومیة، أو یطوف عریاناً بالکعبة إذا لم یکن فی مقدوره شراوَها. و من رفض الخضوع للأمر من روَساء القبائل وزعمائها، کان علیه أن ینزع ثیابه بعد الانتهاء من الطواف ویلقیها جانباً، دون أن یکون لأحد الحقّ فی مسّها حتی صاحبها.(۱)

أمّا النساء فکان علیهن إذا أردن الطواف أن یطفُن عراة، ویضعن خرقة علی روَوسهن. کما أنّه لم یکن یحق لأی یهودیّ أو مسیحیّ أن یدخل مکة، إلاّ أن یکون أجیراً لمکیّ، وعلیه ألاّ یتحدث فی شیء من أمر دینه وکتابه_____.

۱ . کانت تسمّی عندهم «اللقی».

(۲۹)

بالإضافة إلی ذلک، فإنّهم أنفوا منذ ذلک الیوم أن یأتوا بمناسک عرفة، کما یفعل بقیة الناس، حیث ترکوا الوقوف بها والإفاضة منها، بالرغم من أنّآباءهم ـ من ولد إسماعیل ـ کانوا یقرّون أنّها من المشاعر والحج.(۱)

إنّ کلّذلک الانفلات الأخلاقی والترف والانحراف، قد هیّأ الأرضیة وأعدها لظهور مصلح عالمیّ.

أمّا بالنسبة لابن عبد المطلب، عبد اللّه، فقد سعی إلی أن یزوّجه، فاختار له: «آمنة بنت وهب بن عبد مناف» التی عُرِفت بالعفّة والطهر والنجابة والکمال. کما اختار لنفسه «دلالة» ابنة عم آمنة، فرزق منها حمزة، عمّ الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» الذی کان فی نفس عمر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) (۲) و قد تمّ حفل الزفاف فی منزل السیدة آمنة طبقاً لما کان علیه المتعارف فی قریش، ثمّ بقی «عبداللّه» مع زوجته ردحاً من الزمن حتی سافر فی تجارة إلی الشام، وتوفّی فی أثناء الطریق.

ویرتبط بموضوع أسلاف النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)، طهارته «صلی الله علیه وآله وسلم» من دَنَس الآباء وعهر الأُمّهات، إذ لم یکن فی أجداده وجدّاته، سفاح وزنا، وهو ما اتّفق علیه المسلمون، وصرّح به الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» فی أحادیث رواها السنة والشیعة. فقد جاء عنه «صلی الله علیه وآله وسلم» إنّه قال: «نُقلتُمن الأصلاب الطاهرة إلی الأرحام الطاهرة نکاحاً لا سِفاحاً».(۳)

وقال الإمام علی (علیه السلام) :«وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله وسید عباده کلّما نسخ اللّه الخلق فِرقتین، جعله فی خیرهما، لم یسهِم فیه عاهرٌ ولا

---

۱ . الکامل فی التاریخ:۱|۲۶۶.

۲ . تاریخ الطبری:۲|۷ وهو یذکر أنّه «هاله».

۳ . کنز الفوائد:۱|۱۶۴.

(۳۰)

ضربَ فیه فاجر».(۱)

کما ذکر الإمام الصادق (علیه السلام) ذلک مفسراً الآیهٔ: (وتقلّبک فی الساجدین) : «أی فی أصلاب النبیّین، نبی بعد نبی، حتی أخرجه من صلبِ أبیه عن نکاحٍ غیر سفاح من لدن آدم».(۲)

---

۱ . نهج البلاغهٔ، الخطبهٔ ۲۱۵، شرح محمد عبده.

۲ . تفسیر مجمع البیان.

(۳۱)

الفصل الثانی

الفصل الثانی الرسول الأکرم

محمد بن عبد اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) ـ مولده

ـ فترهٔ طفولته

ـ فترهٔ شبابه

ـ فترهٔ عمله

ـ زواجه

ـ أولاده (۳۲) (۳۳) ۱. مولده (صلی الله علیه وآله وسلم) ولد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی عام الفیل (۵۷۰م) بإتّفاق کتّاب السیرهٔ، ورحل عن الدنیا فی (۶۳۲م) عن ۶۲ أو ۶۳ عاماً، کما اتّفقوا علی أنّه ولد فی شهر ربیع الأوّل، یوم الجمعهٔ السابع عشر منه، عند الشیعهٔ، أمّا السنّهٔ فقد عیّنوا یوم الإثنین الثانی عشر من الشهر نفسه.(۱)

ولمّا کان الشیعهٔ ینقلون أخبار أهل البیت عنهم، فلابدّ من الإقرار بأنّ ما ینقله هؤلاء ویکتبونه من تفاصیل تتعلّق بحیاهٔ الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) هی أقرب من غیرها إلی الحقیقهٔ، لأنّها مأخوذهٔ عن أقربائه وأبنائه.

وقد حملت به أُمّه «السیدهٔ آمنهٔ بنت وهب» فی أیّام التشریق من شهر رجب، فإذا اعتبرنا یوم ولادته، ۱۷ من ربیع الأوّل، فتکون مدّهٔ حملها به ثمانیهٔ أشهر وأیّاماً.

وقد وقعت یوم ولادته أحداث عجیبهٔ، فقد وُلِد مختوناً مقطوع السرهٔ، وهو

---

۱ . إمتاع الأسماع: ص ۳، وقد ذکر جمیع الأقوال التی وردت فی میلاد النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» .

(۳۴)

یقول: «اللّه أکبر والحمد للّه کثیراً، سبحان اللّه بکرهً وأصیلاً» (۱) کما تساقطت الأصنام فی الکعبهٔ علی وجوهها، وخرج نورٌ معه أضاء مساحهٔ واسعهٔ من الجزیرهٔ العربیهٔ، وانکسر إیوان کسری، وسقطت أربعهٔ عشر شرفهٔ منه، وانخمدت نار فارس التی کانت تعبد،وجفت بحیرهٔ ساوهٔ.

وهدفت هذه الاَحداث الخارقة والعجيبة إلى أمرين موَثرين:

۱. فهى تـدفع الجبابرة والوثنيين إلى التفكير فيما هم فيه من أحوال،فيتساءلون عن الاَسباب التى دعت إلى كلّ‌ذلك لعلهم يعقلون. إذ أنّ تلك الاَحداث كانت فى الواقع تبشر بعصر جديد هو عصر انتهاء الوثنيةوزوال مظاهر السلطة الشيطانية واندحارها.

۲. ومن جهـة أُخرى، تـبرهن على الشـأن العظيم للوليـد الجديـد، على أنّه ليس عاديـاً، بـل هو كغيره من الاَنبيـاء العظـام الـذين رافقت ولادتُهم أمثالَ تلك الحوادث العجيبة والوقائع الغريبة.

وفى اليوم السابع لمولده المبارك، عقّ عبد المطلب عنهبكبش شكراً للّه تعالى، واحتفل به مع عامة قريش.

وقال عن تسـميته النبى الكريم (صـلى الله عليه وآله وسـلم) محمّداً (صـلى الله عليه وآله وسلم) وعن سببه: أردت أن يُحمَد فى السماء والاَرض(۲)

وكانت أُمّه (عليها السلام) قد سمّته أحمد قبل أن يسمّيه جدّه(۳) وكان هذا الاسم نادراً بين العرب فلم يسم به منهم سوى ۱۶ شخصاً، ولذا فإنّه كان من إحدى العلامات الخاصّة به_____.

۱ . تاريخ اليعقوبى: ۲|۵؛ بحار الاَنوار:۱۵|۲۴۸؛ السيرة الحلبية:۱|۶۷.

۲ . السيرة الحلبية: ۱|۷۸.

۳ . السيرة الحلبية:۱|۸۲.

(۳۵)

أمّا عن رضاعته (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد ارتضع من أُمّه ثلاثة أيّام ثمّ أرضعته امرأتان هما:

ـ ثويبة: مولاة أبى لهب، إذ أرضـعته لمدّة أربعة أشـهر فقط، وقد قدّر النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) وزوجته خديجة(عليها السلام) هذا العمل لها حتى آخر حياتها، فأكرمها وأراد أن يعتقها فأبى أبو لهب، وكان يبعث إليها بالصلة حتّى وفاتها.

كما أنّها أرضعت من قبل حمزة، وأبا سلمة بن عبد اللّه المخزومى، فكانوا إخوة فى الرضاعة.

ـ حليمـة السـعدية، بنت أبى ذوَيب. وكان لها من الاَولاد: عبـد اللّه ، أنيسة، شـيماء. وقامت «شـيماء» بحضانة النبى (صـلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً.

وقد اسـتلمت حليمة السعديةُ النبيّص فى عمر لم يتجاوز أربعة أشهر، فى عام قحط وجدب،فأصابها الرخاء وازدهرت حياتها بعد ذلك.

ومن المعروف أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقبل فى ذلك الزمان أى ثدى من المرضعات إلاّ ثدى حليمة.(۱)

وفى هـذه المناسـبة، أودُّ القـول والتـذكير، أنّه ينبغى أن يحتفـل المسـلمون جميعـاً بمولـد النـبى (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) بإقـامة المهرجانات الكبرى والاحتفالات، تكريماً له (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ، فهو أمر مطلوب ومحبّب فى الشريعة المقدسة لقوله تعالى: (فَالّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتّبَعُوا النُّورَ الّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون)(۲) وعزّر بمعنى كرّم وبجّل.

فالاحتفال بمولده (صـلى الله عليه وآله وسـلم) يعنى ذكر أخلاقه العظيمة، وسجاياه النبيلة، والاِشادة بشرفه وفضله، وهى أُمور مدحه بها القرآن الكريم: (وَإِنّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيم) (۳)(وَرَفَعْنا لَكَ ذِكْرَكَ) .(۴)

---

۱ . البحار:۱۵|۳۴۲.

۲ . الاَعراف:۱۵۷.

۳ . القلم:۴.

۴ . الاِنشراح:۴.

(۳۶)

فالاحتفال بمولده الکریم هو احتفالٌ بالقیم الساميهٔ، وشکرٌ للّه علی منّه، وإظهار للحبّ الکامن فی النفوس له،وتکریم لمن کرمه اللّه تعالی وأمر بتکریمه واحترامه وحبّه ومودّته.وهو ردّعلی من یزعم بأنّذلک محرم لکونه بدعهٔ، لا یخلو من منکرات ومحرمات کالرقص والغناء. فالمسلمون درِجوا فی العصور الإسلامیهٔ الأُولی علی الاحتفال بذکری مولدهبإنشاد القصائد الرائعهٔ فی مدحه، وذکر خصاله ومکارم أخلاقه وإظهار السرور والفرح،والشکر للّه تعالی بلطفه وتفضّله به ص علی البشریهٔ.(۱)

ولذا کان لابدّ من أداء هذا الاحتفال فی کلّ وقت وزمان،فی حیاته وبعد مماتهص. ۲. فترهٔ طفولته (صلی الله علیه وآله وسلم)

استقر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی قبیلهٔ«بنی سعد» خمسهٔ أعوام زارته أُمّه خلالها ثلاث مرّات، وقامت حلیمهٔ برعایهٔ شوَونه خیر قیام،وبالغت فی کفالته والعنایهٔ به، کما حافظ فیها (صلی الله علیه وآله وسلم) علی فصاحته و بلاغته، وعندما رجع إلی أُمّه(علیها السلام) فکّرت بزیارهٔ المدینهٔ وقبر زوجها عبداللّه، ورافقتهم «أُمّ أیمن» حیث أمضوا هناک شهراً، رأی فیه النبیّ «صلی الله علیه وآله وسلم» بیت أبیه الذی توفّی فیه ودفن. إلّا أنّ أُمّه العزیزهٔ توفّیت أیضاً فی الطریق إلی مکهٔ بمنطقهٔ الأَبواء(۲) ممّا دفع الجمیع إلی إظهار المحبهٔ له والعنایهٔ به، خاصهًٔجدّه «عبد المطلب» الذی أحبه أکثر من أولاده_____.

۱ . للتوسع فی هذا الموضوع، یرجع إلی: معالم التوحید فی القرآن الکریم.

۲ . السیرهٔ الحلبیهٔ: ۱|۱۰۵.

(۳۷)

وربما کان یُتم النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی صالحه، فقد أراد اللّه تعالی منه أن یهیّئه لمواجههٔ المستقبل بشدائده و مصاعبه ومتاعبه،أو أراد ألا یکون فی عنقه طاعهٔ لأَحد، فنشأ حراً من کلّ قید، یصنع نفسه بنفسه، ولیتضح أنّ نبوغه لیس نبوغاً بشریاً عادیاً ومألوفاً، وأنّه لم یکن لوالدیه أیّ دخل فیه وفی مصیره، فتکون بالتالی عظمته الباهرهٔ نابعهٔ من مصدر الوحی ولیس من العوامل العادیهٔ المتعارفهٔ.

وقد فاجأت الحیاهُٔ نفس النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) الحزینهٔ بوفاهٔ جدّه العظیم«عبد المطلب» وهو فی الثامنهٔمن عمره، فبکی علیه «صلی الله علیه وآله وسلم» کثیراً وظلّت دموعه تجری حتی وُری فی لحده.(۱) کفالهٔ أبی طالب

کان أبو طالب أخاً لوالد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) من أُمّواحدهٔ، وقد تقبّل کفالهٔ النبیص وتحمّل المسوَولیهٔ بفخر واعتزاز.

وفی العاشرهٔ من عمره، شارک النبیّ (صلی الله علیه وآله وسلم) عمّه فی إحدی الحروب التی وقعت فی الأَشهر الحرم فسمّیت بحرب الفجار، إلّا أنّ «الیعقوبی» ینفی فی تاریخه اشتراک النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وأبی طالب فیها.(۲)

ورافق عمّه فی سفره إلی الشام وهو فی ربیعه الثانی عشر، شاهد فیها «مدین، ووادی القری، ودیار ثمود»، واطّلع علی مشاهد الشام وطبیعتها الجمیلهٔ.

---

۱ . تاریخ الیعقوبی :۲|۱۰ حول سیرهٔ عبد المطلب، أنّه کان موحداً لا وثنیاً، وإنّ الإسلام قد أخذ الکثیر من سننه.

۲ . تاریخ الیعقوبی:۲|۱۵.

(۳۸)

إلّا أنّ أحداث «بصری» غیّرت برنامج رحلهٔ أبی طالب، ودفعته إلی العودهٔ إلی مکّهٔ، وهی الأَحداث المرتبطهٔ بمقابلهٔ الراهب«بحیرا» بالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وما تنبّأ عنه بقوله: «إنّه کائن لابن أخیک هذا شأن عظیم، نجده فی کتبنا وما روینا عن آبائنا، هذا سیّد العالمین، هذا رسول ربّ العالمین یبعثه رحمهً للعالمین. احذر علیه الیهود لئن رأوه وعرفوا ما أعرف لیقصدُنّ قتله».(۱)

أمّا ما قیل عن تلک المقابلهٔ من آراء متطرفهٔ، وبأنّالراهب بحیرا علّم النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أُمور دینه التی درسها من کتب الإنجیل والتوراهٔ، فهو فریهٔ المستشرقین والکارهین للإسلام، إذ أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لم یمکث هناک أکثرمن أربعهٔ

أشهر هی فترة رحلة الشام عند العرب، ثمّ إذا کان هذا الراهب یمتلک هذه الکمیة من المعلومات الدینیة والعلمیة التی عرضها الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فلماذا لم یقم هو بنشرها، فیأخذ شهرته منها؟ ثمّ لماذا اختار محمّداً (صلی الله علیه وآله وسلم) دون غیره لیعرض علیه تلک المعلومات بالرغم من توافد القبائل علیه دوماً؟

إنّ الآیات القرآنیة تصرح بأنّ الأخبار الغیبیة وصلت إلی النبی ص عن طریق الوحی فقط، فلم یکن علی عِلم بها مطلقاً. کما أنّ کُتب التوراة والإنجیل لا تذکر أُموراً طیّبة عن الأنبیاء، فی حین أنّ القرآن الکریم یجلّهم ویعظمهم ویکرمهم،علی عکس ما جاء عنهم فی کتب هؤلاء.

ولذا لم یعقل أن یقتبس القرآن الکریم من تلک الکتب وبینهما بُعد المشرقین. کما أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لم یشرح تلک القصص والقضایا للناس قبل الوحی والرسالة: (قُلْ لَوْ شاءَ اللّهُ ما تَلوتُهُ عَلَیْکُمْ ولا أَدراکُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِیکُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُون) .(۲)

---

۱ . تاریخ الطبری:۲|۳۲؛ السیرة الحلبیة: ۱|۱۸۰.

۲ . یونس:۱۶.

فالآیة توَکد علی أنّ النبیّ (صلی الله علیه وآله وسلم) لبث فی قومه فترة طویلة لم یتلو فیها سورة من القرآن ولا آیة من آیاته، فکلّ ما أخبر به هو ممّا أوحی به اللّه تعالی إلیه بعد أن بعثه بالرسالة.(۱) ۳. فترة شبابه

کانت آثار الشجاعة والقوة بادیةً علی جبینه (صلی الله علیه وآله وسلم) منذ طفولته وصباه، ففی الخامسة عشرة من عمره قیل انّه شارک فی حرب الفجّار بین قریش و هوازن، وهی حرب الفجّار الرابعة التی استمرّت أربع سنوات، کان یناول فیها أعمامه النبال. وتکشف مشارکته فی تلک العملیات العسکریة وهو فی تلک السن، عن شجاعته وقدرته الروحیة الکبری، ولهذا کان المسلمون ـ فیما بعد ـ یحتمون بالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عند اشتداد المعرکة.

وفی مقابل هذا روی المؤرخ الیعقوبی (المتوفّی ۲۹۰هـ) فی تاریخه:

وقد روی أنّ أبا طالب منع أن یکون فیها أحدٌ من بنی هاشم. وقال هذا ظلم وعدوان وقطیعة واستحلال للشهر الحرام ولا أحضره ولا أحدٌ من أهلی. فأخرج الزبیر بن عبد المطلب متکرهاً وقال عبد اللّه بن جدعان التیمی وحرب ابن أُمیّة: لاـ نحضر أمراً تغیب عنه بنوهاشم فخرج الزبیر.(۲)

---

۱ . للتوسع فی الموضوع، راجع مفاهیم القرآن للشیخ جعفر السبحانی:۳|۳۲۱.

۲ . تاریخ الیعقوبی:۲|۱۲، طبع النجف.

کما أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) کان أحد المشارکین فی حلف الفضول، الذی اعتبر میثاقاً بین الجرهمیین یهدف إلی الدفاع عن حقوق الضعفاء والمظلومین. وقد أسّسه جماعة اشتُقّت أسماوَهم جمیعاً من لفظة «الفضل»، مثل: فضل بن فضالة، وفضل بن الحارث، وفضل بن وداعة. وقد نُقلت عبارات کثیرة عن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أشاد فیها بالحِلف،واعتز بمشارکته فیه: «لقد شهدتُفی دار عبد اللّه بن جدعان حِلفاً لو دعیت به فی الإسلام لأجبت».

کما أشاد به الإمام الحسین (علیه السلام) أیضاً، فضرب به المثل فی أخذ الحقّوردّه لصاحبه، مثلما طلب هو حقّه من «الولید بن عتبة»أمیر المدینة. ۴. فترة عمله

أمضی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) شطراً من حیاته قبل البعثة، فی رعی الغنم فی الصحاری، لعلّه لیصبح بذلک صبوراً فی تربیة الناس الذین سیُکلف بقیادتهم وهدایتهم، ویستسهل کلّ صعب فی هذا المجال. إذ کان لابدّ أن یتسلّح بسلاح الصبر، ویتجهّز بأداة التحمّل، ویتزوّد بقدرة الاستقامة علی طریق الهدف، وذلک حتی یمکنه إدارة البشر فی المستقبل. إذ أنّ ذلک لا یکون إلّابتعوید النفس علی هذه الصفات وحملها علی مشاق الاِعمال. کما أنّ عمله فی الصحراء والجبال، ساعده فی التخلّص بعض الشیء من آلامه الروحیة الناشئة من روَیة الاَوضاع المزریة والاَحوال المشینة التی کان علیها أهل مکة وما کانوا فیه من عادات سیئة وظلم وانحراف وطغیان. کما أنّعمله فی تلک البقاع، أعطاه فرصة طیبةللنظر فی خلق السموات والتطلع فی النجوم والکواکب وأحوالها، ثمّالاِمعان

(۴۱)

فی الآیات الدالة علی وجود اللّه سبحانه و تعالی، وقدرته و حکمته وعلمه وإرادته.

فبالرغم من أنّ قلوب الاَنبیاء تکون منورة بمصابیح المعرفة، ومضاءة بأنوار الاِیمان والتوحید، إلّاأنّهم لا یرون أنفسهم فی غنی عن النظر فی عالم الخلق والتفکّر فی الآیات الاِلهیة، إذ أنّه من خلال هذا الطریق یصلون إلی أعلی مراتب الاِیمان،ویبلغون أسمی درجات الیقین،وبالتالی یتمکّنون من الوقوف علی ملکوت السماوات والاَرضین.

وبعد هذا العمل الصحراویّ الجبلی، تعاطی (صلی الله علیه وآله وسلم) العمل التجاری، باقتراح من عمّه أبی طالب، الذی أرشده بالتوجه للعمل فی تجارة السیدة «خدیجة بنت خویلد» التی کانت تعمل بالتجارة الواسعة، فأصبحت غنیةً ذات مال کثیر وذات شرف عظیم، استخدمت الرجال فی إدارة أعمالها الکثیرة. فقال أبو طالب للنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) : «یابن أخی، هذه خدیجة بنت خویلد قد انتفع بمالها أکثر الناس، وهی تبحث عن رجل أمین،فلو جئتها فعرضتَ نفسک علیها لَاسرعتْ إلیک،وفضّلتک علی غیرک، لما یبلغها عنک من طهارتک».

إلاّـ أنّ إباء الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) وعلوّ طبعه منعاه من الاِقدام بنفسه علی ذلک فردَّ علیه :«فلعلّها أن ترسل إلیّفی ذلک» لَانّها تعرف أنّه المعروف بالاَمین بین الناس. وقد حدث ماأراده النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فقد بعثت إلیه قائلةً:«إنّی دعانی إلی البعثة إلیک ما بلغنی من صدق حدیثک وعظم أمانتک وکرم أخلاقک،وأنا أعطیک ضعف ما أعطی رجلًا من قومک، وأبعث معک غلامین یأتمران بأمرک فی السفر».(۱)

ولمّا علم عمّه أبو طالب بذلک قال له: «إنّ هذا رزق ساقه اللّه إلیک_____».

۱ . البحار:۱۶|۲۲؛السیرة الحلبیة: ۱|۱۳۲؛ الکامل فی التاریخ:۲|۲۴.

(۴۲)

وهکذا تمّ الاتفاق علی أن یقوم النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بالعمل فی أموالها وتجارتها علی نحو المضاربة لا الاِجارة، فقد ذکر «الیعقوبی»: إنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ما کان أجیراً لَاحد قط.(۱)

ولذا فإنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) حصل علی أرباح وفیرَة من أوّل تجارته إلی الشام. ولما مرّ فی الطریق علی دیار عاد وثمود، تذکر سفره الاَوّل مع عمّه إلی تلک المناطق. وعند وصولهم إلی مکّة، قال «میسرة» غلام السیدة خدیجة: یا محمّد لقد ربحنا فی هذه السفرة ببرکتک ما لم نربح فی أربعین سنة، فاستقبلْ بخدیجة وأبشرها بربحنا. فأسرع النبی ص وسبق القافلة متوجهاً نحو بیت خدیجة، التی استقبلته بحفاوة کبیرة، وسرّت بحدیثه وأخباره عن رحلته ومکاسبه التجاریة. ثمّ إنّ «میسرة» أخبرها بکلّما حدث وحصل لهم فی السفر، منذ خروجهم ودخولهم إلی البلاد، وخاصةً ما جری، بین النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» وأحد التجّار الذی جادله فی البیع طالباً منه أن یحلف باللات والعزّی، فرد علیه (صلی الله علیه وآله وسلم) : ماحلفت بهما قط، وإنّی لَامرُّ فأعرض عنهما. کما أخبرها عن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) حینما استراح فی ظلّ شجرة عندما کانوا فی بصری، فشاهده راهب فقال: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلاّـ نبی.ولما سأل عن اسمه من میسرة فقال: هو نبیّ وهو آخر الاَنبیاء، إنّه هو هو ومنزِّلُ الاِنجیل،وقد قرأتُ عنهُ بشائر

کثیرة.(۲)

وقد سلّم النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) کلّ ما ربحه واستلمه من مال إلی عمّه أبی طالب، لیوسّع به علی أهله، ممّا جعله فرِحاً مسروراً بما قام به ابن أخیه تجاهه_____.

۱ . تاریخ الیعقوبی:۲|۲۱.

۲ . البحار: ۱۶|۱۸؛ طبقات ابن سعد:۱|۱۳۰. (۴۳) ۵. زواجه (صلی الله علیه وآله وسلم)

فی هذا الوقت، فکّر (صلی الله علیه وآله وسلم) جدیاً فی أن یتّخذ شریکة لحیاته ویکوّن أُسرة، فکیف وقع اختیاره علی السیدة خدیجة التی رفضت کلّ مَن تقدّم إلیها من کبار الشخصیات القرشیة، أمثال: عقبة بن أبی معیط، وأبی جهل، وأبی سفیان؟ وکیف أدّی الارتباط بینهما والعلاقة العمیقة و الأُلفة والمحبة، إلی درجة أنّها وهبت کلّ ثروتها للنبیحتی ینفقها فی نشر الإسلام؟

کانت السیدة خدیجة من خیرة نساء قریش شرفاً وأقواهن عقلاً وأکثرهن فهماً، وقد قیل لها: سیدة قریش، وسمّیت الطاهرة لشدة عفافها، وذلک فی أیّام الجاهلیة.

وحین رفضت الزواج من سادة القوم قَبِلت بسید البشر لما عرفت عنه من کرم الأخلاق، وشرف النفس، والسجایا الکریمة، والصفات العالیة. وهی المرأة الثریة التی وإن عاشت فی الترف وأفضل العیش، إلاّ أنّها أصبحت فی بیت زوجها الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) الزوجة المطیعة الخاضعة الوفیة المخلصة، و سارعت إلی قبول دعوته واعتناق دینه بوعی وبصیرةٍ، مع علمها بما ینطوی ذلک علی مخاطر ومتاعب. ثمّ جعلت کلَّ ثروتها ومالها فی خدمة العقیدة والمبدأ، مشاطرة زوجها بذلک آلامَه ومتاعبَه ، وراضیة بمرارة الحصار فی شعب أبی طالب ثلاث سنوات، وهی فی سن الرابعة والستین.(۱)

وقد بلغ من خضوعها للرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) وحبها له، أنّها بعد أن تم الزواج بینهما قالت له: إلی بیتک، فبیتی بیتک وأنا جاریتک.(۲)

---

۱ . شرح نهج البلاغة: ۱۴|۵۹.

۲ . بحارالأنوار: ۱۶|۴.

(۴۴)

ویؤکد المؤرّخون أنّها هی التی اقترحت علی النبیالزواج، وکما یعتقد أکثر المؤرّخین، أنّ «نفیسة بنت علیّة» بلّغت رسالتها إلی النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» الذی تقبّل عرضها، فأخبرت السیدة خدیجة بذلک، فأرسلت بوکیلها «عمرو بن أسد» لتحدید ساعة مراسم الخطبة فی محضر الأقارب.(۱)

فشاور النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أعمامه وعلی رأسهم «أبو طالب»الذی خطب فی القوم یمدح النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ویطلب الزواج له من السیدة خدیجة قائلاً: «وله فی خدیجة رغبة ولها فیه رغبة، والصداق ما سألتم عاجله وآجله من مالی، ومحمّد من قد عرفتم قرابتَه».

ثمّ أجری عقد النکاح، ومهرها النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ۴۰۰ دینار، وقیل أصدقها عشرین بکرة.(۲)

وکان عمرها فی هذا الوقت أربعین عاماً، إذ أنّها وُلدت قبل عام الفیل بخمسة عشر عاماً، کما جاء عنها أنّها تزوجت قبل النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» برجلین، أوّلهما: «عتیق ابن عائذ»، ثمّ بعده: «أبو هالةالتمیمی». وقد توفی کلٌّ منهما بعد زواجه منها.(۳)

وقد تمیّزت السیدة خدیجة من نساء النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بأنّه لم یتزوّج علیها مدّة حیاتها، وبلغت لدیه مالم تبلغه امرأة قطّمن زوجاته.(۴) وممّا یدل علی سموّ مقامها وعلوّمنزلتها، أنّ أهل البیت «علیهم السلام» طالماً افتخروا بأنّخدیجة منهم، وإنّهم من خدیجة، فکانوا یعتزون بها ویشیدون بمکانتها. فالسیدة خدیجة (علیها السلام) هی مثال الشرف والعقل، والحبّ العمیق للرسول

۱ . تاريخ الخميس:۱|۲۶۴.

۲ . السيرة الحلبية:۱|۱۳۹.

۳ . الاستغاثة:۱|۷۰.

۴ . السيرة الحلبيّة: ۱|۱۶۹.

(۴۵)

(صلى الله عليه وآله وسلم) والوفاء والإخلاص، والتضحية بالغالى والنفيس فى سبيل الإسلام الحنيف، فهى أوّل من آمنت باللّه ورسوله،وصدقت محمّداً «صلى الله عليه وآله وسلم» وآزرته، فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) لا يسمع من المشركين شيئاً يكرهه، من إيذاء وتكذيب، إلّاوفرّج اللّه عنه بخديجة التى خفّفت عنه، بلطفها وعطفها وعنايتها به فى غاية الإخلاص والود.(۱)

لقد اكتسبت السيدة خديجة بفضل إيمانها العميق بالرسالة المحمّدية، وتفانيها فى سبيل الإسلام، وحرصها العجيب على حياة صاحب الرسالة، مكانةً سامية فى الإسلام، حتى أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ذَكَرَها فى أحاديثه الكثيرة، وأشاد بفضلها ومكانتها وشرفها، وذلك لإلفات نظر المرأة المسلمة إلى القدوة التى ينبغى أن تقتدى بها فى حياتها وسلوكها فى جميع المجالات والحالات، بالإضافة إلى ما يمكن أن تقدمه المرأة ـ و هى نصف المجتمع ـ من دعم جدّىٍّ للرسالة، مادياً كان أم معنوياً.

ومن أشهر الأحاديث التى نُقلت عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال عنها:«أتانى جبرائيل (عليه السلام) فقال يا رسول اللّه، إذا أتتك خديجة فاقرأ عليها السلام من ربها ومنّى، وبشّرها ببيت فى الجنّة من قصب لا صخب فيه ولا نصب».(۲)

وقال عنها (صلى الله عليه وآله وسلم) : «لا ـ واللّه ما أبدلنى اللّه خيراً منها، آمنَت بى إذ كفر الناس، وصدّقتنى إذ كذبنى الناس، وواسَتْنى فى مالها إذ حَرمنى الناس، ورزقنى اللّه منها أولاداً إذ حرَمَنى أولاد النساء».(۳)

كما روى أنس بن مالك، أنّالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أتى بهدية

۱ . أعلام النساء:۱|۳۲۸.

۲ . صحيح مسلم:۷|۱۳۳؛ مستدرك الحاكم:۳|۱۸۴.

۳ . أُسد الغابة:۵|۴۳۸؛ صحيح مسلم:۷|۱۳۴؛ صحيح البخارى: ۵|۳۹.

(۴۶)

قال:« اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنّها كانت صديقة لخديجة، إنّها كانت تحبّ خديجة».(۱)

كما قال عنها الإمام على (عليه السلام) : «كنتُ أوّل من أسلم، فمكثنا بذلك ثلاث حِجَج وما على الأرض خلق يصلّى ويشهد لرسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» بما أتاه، غيرى، وغير ابنة خويلد رحمها اللّه، وقد فَعَلَ».(۲)

وقد تحدّث عنها أيضاً الكثير من الشخصيات الإسلامية المتقدمة والمتأخرة، فقد ذكر عنها «محمد بن إسحاق»: «إنّ خديجة بنت خويلد وأبا طالب، ماتا فى عام واحد، فتتابع على رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) هلاك خديجة وأبى طالب، وكانت خديجة وزيرة صدق على الإسلام، وكان رسول اللّه يسكُن إليها».(۳)

ولكلّ ذلك، فإنّ وفاتها كانت من أعظم المصائب التى أحزنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ممّا دفعه أن يسمّى العام الذى توفّى فيه ناصراه وحامياه ورفيقا آلامه ـ زوجته خديجة، وعمّه المؤمن الصامد أبو طالب ـ بعام الحداد أو عام الحزن . فينزل عند دفنها فى حفرتها، ويُدخلُها القبر بيده فى الحجون، فيلزم بيته و يقل الخروج.(۴) ۶. أولاد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

لقد أنجبت خديجة لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ستة من الأولاد، اثنين من الذكور، أكبرهما القاسم وعبداللّه، وأربعة من

الاِناث. وذکر ابن هاشم، انّ أکبر بناته: رقیهٔ ثمّزینب ثمّ اُم کلثوم ، ثمّفاطمهٔ، وکلّهن أدرکنَ الاِسلام، أمّا الذکور فقد ماتوا قبل البعثهٔ.

---

۱ . سفینهٔ البحار:۱|۳۸۰.

۲ . شرح نهج البلاغهٔ:۱۴|۵۹.

۳ . بحارالاَنوار:۱۶|۱۰.

۴ . تاریخ الیعقوبی:۲|۳۵؛ تاریخ الخمیس: ۱|۳۰۱؛السیرهٔ الحلبیهٔ: ۱|۳۴۶.

(۴۷) تبنّی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لزید بن حارثهٔ

کان ممّن سباه العرب من حدود الشام وباعوه فی أسواق مکهٔ رقیقاً لاَحد أقرباء السیدهٔ خدیجهٔ ویدعی حکیم بن حزام. وقد أحبه النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» لذکائه وطهره،فوهبته خدیجهٔ له، حینما تزوّجت به «صلی الله علیه وآله وسلم» ، إلاّ أنّ أباه حارثهٔ الذی کان یبحث عنه لقیه عند النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» فطلبه منه، الاَمر الذی جعل النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) یخیّره بین المقام معه (صلی الله علیه وآله وسلم) والرحیل إلی وطنه، فاختار المقام مع الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) الذی أخرجه إلی الحجر الاَسود وأعتقه ثمّ تبناه أمام الملاَ قائلاً: «یامن حضر اشهدوا أنّزیداً ابنی».(۱_____)

۱ . الاِصابهٔ فی تمییز الصحابهٔ:۱|۵۴۵؛ الکامل فی التاریخ:۲|۲۲۵.

(۴۸) (۴۹)

الفصل الثالث

الفصل الثالث

البعثهٔ النبویهٔ ـ الحالهٔ الدینیهٔ فی الجزیرهٔ العربیهٔ عند البعثهٔ النبویهٔ

ـ إیمان النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وآباوَه وکفلاوَه قبل الاِسلام

ـ الوحی

ـ الموَمنون بالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) والدین الاِسلامی

ـ دعوهٔ الاَقربین

ـ الدعوهٔ العامهٔ

ـ الاَسالیب الفاشلهٔ أمام نجاح الدعوهٔ الجدیدهٔ (۵۰) (۵۱) ۱.الحالهٔ الدینیهٔ فی الجزیرهٔ العربیهٔ

إلی جانب عبادهٔ الاَصنام والاَوثان، ظهرت جماعهٔ من العرب، أنکروا عقائدها الباطلهٔ، واستاءوا من دینها، کما کان الیهود یتوعّدون أهل الاَصنام بالنبی قائلین: لیخرجن نبی فلیکسّرن أصنامکم. وجاء أیضاً أنّ الاَحبار من الیهود والرهبان من النصاری والکهّان من العرب، قد تحدّثوا بأمر رسول اللّهقبل مبعثه. وظهر کذلک من انتقد عبادتهم من فئهٔ العقلاء وأصحاب الفکر الثاقب، فکان ذلک بمثابهٔ جرس إنذار باقتراب سقوط دولهٔ الوثنیین وانقراضها واشتهر من هوَلاء بین العرب أربعهٔ:

۱. ورقهٔبن نوفل، الذی اختار النصرانیهٔ.

۲.عبید اللّه بن جحش، الذی أسلم عند ظهور الاِسلام.

۳.عثمان بن الحویرث، الذی تنصّر عند ملک الروم.

۴.زید بن عمرو بن نفیل، الذی قال: أعبد رب إبراهیم.(۱)

---

۱ . السيرة النبوية:۱|۲۲۵. (۵۲) ۲. مكانةالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عند قريش

حينما كان (صلى الله عليه وآله وسلم) فى عمر ۳۵ عاماً واجه اختلافاً كبيراً بين قريش، تمكن بحكمته من إزالة ذلك التخاصم،ممّا كشف عن مدى الاحترام الذى حظا به عند قريش. فعندما هُدمت الكعبة بسبب سيل عظيم، قام القوم بإعادة بنائها، إلّا أنّهم اختلفوا فى وضع الحجر الأَسود فى مكانه، فتنازع زعماء قريش فيمن يتولى وضعه،ممّا أخّر عملية البناء مدة خمسة أيّام، وكادت أن تنشب فيما بينهم بسببه حرب دامية، وربما طويلة،حتى قام فيهم شيخ منهم وقال:يامعشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أوّل من يدخُل من باب هذا المسجد يقضى بينكم فيه. فقَبِلُوا رأيه فكان أوّلَ داخل عليهم محمّد رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» فقالوا: هذا محمّد الأَمين، رضينا، هذا محمّد. فقال ص: هلمَّ إلىَّ ثوباً فأخذ الحجر ووضعه فيه و قال: لتأخذ كلّ قبيلة بناحية من الثوب ثمّ ارفعوه جميعاً. ثمّ وضعه (صلى الله عليه وآله وسلم) بيده فى مكانه.(۱) ۳. إيمان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) و آبائه وكفلائه قبل الإِسلام

تدلّ الدلائل التاريخية والعقلية والمنطقية، على أنّ النبى الأَكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يعبد غيرَ اللّه منذُ ولد حتى رحل إلى ربّه، وكذلك ما كان عليه آباؤه وكفلاؤه.

فجدّه عبد المطلب، طلب من اللّه وهو فى الكعبة أن يرد هجوم أبرهة ويهزم جيشه، فقد كان الموحّد الذى لا يلتجئ فى المصائب والمكاره إلى غير كهف اللّه. كما أنّه كان يستسقى بالتوسّل إلى اللّه تعالى. وقد اعترف المؤرّخون بذلك، فقد ذكر اليعقوبى: «ورفض عبد المطلب عبادة الأَوثان والأَصنام، ووحّد اللّه عزّوجلّ، ووفى بالنذر، وسنّ سناً نزل القرآن بأكثرها، وجاءت السنّة الشريفة

---

۱ . السيرة النبوية:۱|۱۹۲؛ فروع الكافى:۴|۲۱۷.

(۵۳)

من رسول اللّهبها،وهى الوفاء بالنذر، ومائة من الإِبل فى الدية، وألا تنكح ذاتُ محرم، ولا تؤتى البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق،والنهى عن قتل المؤودة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا والحدّعليه، والقرعة، وألاّ يطوف أحد بالبيت عرياناً،وتكريم الضيف،وألا ينفقوا إذا حجّوا إلاّ من طيب أموالهم،وتعظيم الأَشهر الحرم، ونفى ذات الرايات».(۱)

كل ذلك يؤكد تماماً توحيده وإيمانه باللّه واعترافه برسالة النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» .

وكذلك كان عمّه أبو طالب، فله مواقف كثيرة بارزة قبل البعثة، تكشف عن عمق إيمانه وتوحيده، فقد اعتبر حامى الدين والمدافع عن المسلمين، آمن بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) واعتبره فى قمة الكمال الإِنسانى، بالإِضافة إلى أنّه أحلّه من قلبه محلَ الابن والأَخ، فكان يصحبه معه إلى المصلّى، ويستسقى به، حيث كانت دعوته تُستجاب دون تأخير، كما اصطحبه معه فى سفره إلى الشام، كما أنّ دفاعه عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن مادياً، فلم يقصد من وراء ذلك كسباً مادياً من مال وثروة، كما لم يهدف للحصول على جاه ومقام وإحراز مكانة اجتماعية مرموقة، لأَنّه كان يمتلك فى المجتمع أعلى المناصب، فقد كان رئيساً لمكّة المكرّمة، بل إنّه فقد منصبه ومكانته بسبب موقفه الموالى للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وعدم الاستجابة لقومه فى تسليمه «صلى الله عليه وآله وسلم» لهم، ممّا استوجب سخط الزعماء عليه واستياءهم منه، وإظهار العداء له ولبنى هاشم عامة_____.

۱ . تاريخ اليعقوبى:۲|۹.

(۵۴)

فالقول بأنّ تضحية أبى طالب فى سبيل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنفس والنفيس كان بدافع علاقة القربى والعصبية القبلية، تصوّر باطل، إذ أنّذلك كان بدافع اعتقاده الراسخ برسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى اعتبره مظهراً كاملاً للفضيلة والإِنسانية، وأنّ دينه أفضل برنامج للسعادة. ولما كان يحب الحقيقة والكمال والحقّ، فقد كان من الطبيعى أن يدافع عن تلك الفضائل وينصرها بكلّ جهوده وقواه.(۱)

کما أنّ هناک مواقف محددهٔ توَکد المعنی السابق:

فقد أصدر تهدیداً بمحاربهٔ رجال قریش بالسلاح، إذا أقدموا علی أی سوء نحو النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فقد حافظ علی حیاته «صلی الله علیه وآله وسلم» لفترهٔ ۴۲ عاماً، ودافع عنه، وخاصهً فی سنوات البعثهٔ العشرهٔ، فهو قد تولی مهمهٔ کفالته والدفاع عنه والمحافظهٔ علی حیاته بصدق وإخلاص، بالنفس والمال، وإیثاره علی نفسه وأولاده والاِنفاق علیه من ماله، منذ صِغَره «صلی الله علیه وآله وسلم» وحتی الخمسین من عمره. ولذا کان لفقده أکبرُ الاَثر علی سیر الدعوهٔ الاِسلامیهٔ.

وهو ما دفع ابن أبی الحدید المعتزلی أن ینشد بیتین یوضح تضحیته هو وابنه علی (علیه السلام) :

و لولا أبو طالب وابنُه لما مثلُ الدّین شخصاً وقاما

فذاک بمکهٔ آوی وحامی وهذا بیثرب جسّ الحِماما(۲)

ویمکن التعرّف علی إیمانه و إخلاصه عن طریق أشعاره وخدماته القیّمهٔ فی

---

۱ . وقد أشار إلی کلّ ذلک فی قصائده وأشعاره. ونقل ابن هشام فی سیرته:۱|۳۵۲، ۱۵ بیتاً من قصیدته.

۲ . شرح نهج البلاغهٔ:۱۴|۸۴.

السنوات العشر الاَخیرهٔ من عمره، فمن قصائده المطولهٔ نختار البیتین التالیین:

لیعلم خیارُ الناس أنّ محمّداً نبیٌّ کموسی والمسیحِ بن مریم

أتی بهدی مثلما أتیا به فکلّ بأمر اللّه یهدی ویعصم(۱)

لقد کان إیمانه قویاً لدرجهٔ أنّه رضی بأن یتعرض کل أبنائه لخطر القتل والاغتیال لیبقی محمد (صلی الله علیه وآله وسلم) دون أن یمسّه أعداوَه بأیّ سوء. کما أنّه أوصی أولاده عند وفاته قائلاً: أُوصیکم بمحمّد خیراً فإنّه الاَمین فی قریش، وهو الجامع لکلّما أوصیکم به. کونوا له ولاهً، ولحزبه حماهً، واللّه لا یسلک أحد منکم سبیله إلّارَشَد، ولا یأخذ أحد بهدیه إلّاسعد.(۲)

وبینما کفّره البعض من علماء السنهٔ، إلّا أنّ منهم من حکموا بإسلامه وبإیمانه، مثل: «زینی دحلان» مفتی مکهٔ (المتوفّی ۱۳۰۴هـ)، وقد تمادی بعض منهم فی توسیع دائرهٔ الکفر فشملت آباء النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ، و کان ذلک من آثار الحکومات الاَمویهٔ والعباسیهٔ التی عملت بکلّ جهدها لتأکید کفر أبی طالب والاِعلام ضدّ إیمانه، لاَنّه کان والد الاِمام علی (علیه السلام) الذی اجتهدت الاَجهزهٔ الاِعلامیهٔ لتلک الحکومات فی الحط من شأنه دوماً، وخاصهً إنّ إسلامه مع أبیه کان یعد فضیلهٔ بارزهٔ من فضائله.

أمّا علماء الشیعهٔ الاِمامیهٔ والزیدیهٔ فقد اتّفقوا علی أنّه کان من أبرز المؤمنین برسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) ولم یخرج من الدنیا إلّابقلب یفیض إیماناً بالاِسلام وإخلاصاً للّه تعالی وحباً للمسلمین.(۳)

---

۱ . مجمع البیان:۷|۳۷؛ الحجهٔ:۵۷؛مستدرک الحاکم:۳|۶۲۳.

۲ . السیرهٔ الحلبیهٔ: ۱|۳۵.

۳ . یوضح هذا الجانب جیداً صاحب موسوعهٔ الغدیر، العلاّمهٔ الاَمینی.

وأمّا أقاربه وما قدّموه من أفعال وأقوال توَکد موقفه الاِیجابی، فإنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) دفنه بنفسه. کما أنّ الاِمام الحسین (علیه السلام) أجاب عندما سئل عن إیمانه قال: «واعجباً، إنّ اللّه تعالی نهی رسوله أن یقرّ مسلمهً علی نکاح کافرٍ، وقد کانت «فاطمهٔ بنت أسد» من السابقات إلی الاِسلام لم تزل تحت أبی طالب حتی مات».

وقال (عليه السلام) : «ألم تعلموا أنّ أمير المؤمنين على (عليه السلام) كان يأمر أن يحجّ عن عبد اللّه وأبيه».

وقال الإمام الصادق (عليه السلام) : «إنّمَثَل أبى طالب مَثَل أصحاب الكهف أسرّوا الإيمان وأظهروا الشرك، فآتاهم اللّه أجرهم مرّتين،وكذلك أبو طالب».(۱)

ومن المعروف، أنّه للتعرف على عقيدة فردٍ ونمط تفكيره،ينبغى الاعتماد على:

ـ دراسة آثاره العلمية والأدبية وما تركه من أقوال وكلمات.

ـ و أسلوب عمله وتصرفاته فى المجتمع.

ـ و آراء أقربائه ومعارفه حوله.

وكلّتلك الجوانب أكدت إسلام أبى طالب، حامى الرسول العظيم «صلى الله عليه وآله وسلم» ، فتسقط كلّ الأقاويل والأحاديث التى بثّها أعداؤه للحط من شأنه وإلصاق الكفر به.

وكذلك كان أبو النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عبد اللّه، فقد ذكر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إنّه انتقل فى الأرحام المطهّرة ممّا يؤكّد طهارة آبائه وأُمّهاته من كلّدنس وشرك.

وقد أشار الشيخ المفيد إلى أنّالإماميّة تتفق على أنّ آباء رسول اللّه «صلى

---

۱ . أُصول الكافى:۱|۴۴۸.

(۵۷)

الله عليه وآله وسلم» من لدن آدم إلى عبد اللّه بن عبد المطلب كانوا مؤمنين باللّه وموحّدين إيّاه، واحتجّوا فى ذلك بالقرآن و الأخبار. النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل البعثة

تدلّ الشواهد التاريخية بالإضافة إلى البراهين العقلية، على أنّه ص كان مؤمناً باللّه وموحّداً إيّاه قبل البعثة، فلم يعبد وثناً قط، ولم يسجد لصنم أبداً. وقد أجمع المؤرّخون على أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يخلو بحراء أشهراً كلّ عام يعبد اللّه تعالى فيه، فقد ذكر الإمام على (عليه السلام) : «ولقد كان يجاور فى كلّسنة بحراء، فأراه ولا يراه غيرى».(۱)

حتى وافاه جبرائيل (عليه السلام) بالرسالة فى هذا المكان وفى تلك الحال، وقد صرح بهذا أيضاً أصحاب الصحاح الستة، وجاء فى الأخبار أنّالرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» حجّقبل البعثة عدّة حجّات، وكان يأتى بمناسكها على وجه صحيح بعيداً عن أعين قريش، فقال الإمام الصادق (عليه السلام) : «حجّ رسول اللّه عشر حجّات مستتراً فى كلّها».(۲)

وكلّ تلك الوقائع أصدق دليل على إيمانه وتوحيده، وهو النبى الخاتم والأفضل من جميع الأنبياء والمرسلين بنصّ القرآن الكريم.

وجاء عن «العلّامة المجلسى»، أنّه قد وردت أخبار كثيرة أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يطوف ويعبد اللّه فى حراء، ويرعى الآداب المنقولة من التسمية والتحميد عند الأكل وغيره،فكيف يمكن للّه تعالى أن يهمل أفضل أنبيائه أربعين سنة بغير عبادة (۳)

---

۱ . نهج البلاغة: الخطبة ۱۹۲.

۲ . وسائل الشيعة:۸|۸۸.

۳ . بحار الأنوار:۱۸|۲۸۰.

(۵۸)

والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان مؤمناً موحّداً عابداً للّه ساجداً قائماً بالفرائض العقلية والشرعية، مجتنباً عن المحرمات، عالماً بالكتاب ومؤمناً به إجمالاً،وراجياً لنزوله إليه، إلى أن بعثه اللّه لإنقاذ البشرية عن الجهل وسوقها إلى الكمال.

فكـان (صـلى الله عليه وآله وسـلم) أفضـل الخلق وأكملهم خلقـاً وخُلقاً وعقلاً، وأنّه كان يعمل حسب ما يُلهَم سواء كان مطابقاً لشـرع ماقبله أم مخالفاً، وأنّ هاديه وقائده، منذ صباه إلى أن بُعِث هو نفس هاديه بعد البعثة.(۱) ۴. الوحى فى غار حراء

ويقع جبل حراء فى شـمال مكّة، ويسـتغرق الصعود إليه مدّة نصف ساعة، ويتكوّن من قطع صخرية لا أثر للحياة فيها. أمّا الغار فيقع فى شمال الجبل، وهو يحكى ذكريات رجل طالما تردّد عليه وقضـى الساعات والاَيّام والاَشهر فى رحابه، يتعبد اللّه ويتأمّل فى الكون وفى آثار قدرة اللّه وعظمته. إذ أنّ النبى ص كان يفكّر فى أمرين، قبل أن يبلغ مقام النبوة:

۱. ملكوت السـماوات والاَرض، فيرى فى ملامـح كـلّ من الكائنات نور الخالق العظيم وقـدرته وعظمته، فتفتـح عليه نوافـذ من الغيب تحمل إلى قلبه وعقله النور الاِلهى المقدّس.

۲.المسوَولية الثقيلة التى ستوضع على كاهله، فكان يفكر فى فساد حياة المجتمع المكى، وكيفية رفع كلّذلك وإصلاحه.

وأمّا الرسالة الاِلهية إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد أمر اللّه تعالى

---

۱ . للتوسع فى ذلك يراجع مفاهيم القرآن للموَلف:۵|۱۳۵.

جبرائيل (عليه السـلام) بأن ينزل على أمين قريش فى الغار ويتلو على مسامعه بضع آيات كبداية لكتاب الهداية والسـعادة، معلناً بذلك تتويجه بالنبوة ونصبه لمقام الرسالة، وطلب منه أن يقرأ، أو قال: يا محمّد اقرأ، قال: وما أقرأ؟ قال يا محمّد(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الّذى خَلَق* خَلَقَ الاِنْسـانَ مِنْ عَلَق*اقْرَأْ وَرَبُّكَ الاَـكْرَم* الَّذِى عَلَّمَ بِـالقَلَم* عَلَّمَ الاِنْسـانَ مـا لَمْ يَعْلَم) (۱) ثـمّ أوحى إليه ربّه عزّ وجـلّ مـا أمره به ثمّصـعد إلى العلوّونزل محمّد (صـلى الله عليه وآله وسلم) من الجبل، وقد غشيه من تعظيم جلال اللّه وورد عليه من كبير شأنه ما ركبه الحمى والنافض.

وقـد أوضـحت هذه الآيات برنامج النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) وبيّنت بشـكل واضح أنّ أساس الدين يقوم على القراءة والكتابة والعلم والمعرفة باستخدام القلم. ثمّ خاطبه الملك: «يا محمّد، أنت رسول اللّه، وأنا جبرائيل».

و قد اضـطرب الرسول (صـلى الله عليه وآله وسلم) لهذين الحدثين، لعظمة المسوَولية التى أُلقيت على كاهله، فترك غار حراء متوجّهاً إلى بيت السـيدة خديجـة(عليهـا السـلام) ، التى لاـحظت الاضـطراب و التعب على ملامحه فسألت عنه، فأجابها وحـدّثها بكلّ ما سـمع وجرى، فعظمت خديجـة(عليهـا السـلام) أمره ودعت له وقـالت: «أبشـر، فواللّه لاـ يخزيـك اللّه أبـداً». ثمّ ـدثرته فنـام بعض الشـىء. ثمّ انطلقت إلى بيت ورقـة تخبره بمـا سـمعته من زوجهـا الكريم، فأجابهـا: إنّـابن عمّك لصادق وإنّ هـذا لبـدء النبوة، وإنّه ليأتيه الناموس الاَكبر ـ أى الرسالة والنبوة ـ .(۲)

وقد اختلقت قصص كثيرة عن تخوّف النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

۱ . العلق:۱ـ۵.

۲ . طبقات ابن سعد:۱|۱۹۵.

واضـطرابه ممّا حـدث له فى الغار، ودسّت تلك الروايات فى التاريـخ والتفسـير عن قصـد وهدف أو دخلت فيها عن غير ذلك. فالنبى الكريم «صـلى الله عليه وآله وسلم» كانت روحه مهيّأة من جميع الجهات وبصورة كاملة لتلقّى السرّ الاِلهى ـ النبوة ـ وما لم تكن نفسيته كـذلك، فإنّ اللّه تعالى لم يكن ليمن عليه بمنصب النبوة ويختاره لمقام الرسالـة، لاَنّ الهدف الجوهرى من انبعاث الرسل و الاَنبياء هو هداية الناس وإرشادهم. وتدل تلك القصـص على أنّ ثمة يداً إسـرائيلية وراءها فصاغتها، ولهذا فإنّ أئمّة الشـيعة حاربوا هذه الاَساطير

بكلّقوّة وأبطلوها برمّتها. فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) : «إنّ اللّه إذااتّخذ عبداً رسولاً، أنزل عليه السكينهٔ والوقار، فكان يأتيه من قِبَل اللّه عزّوجلّ مثل الذى يراه بعينه».(۱)

وفسر العلاّمهٔ الكبير الطبرسى ذلك، بأنّ اللّه لا يوحى إلى رسوله إلّابالبراهين التيّرهٔ والآيات البيّنهٔ الدالهٔ على أنّ ما يوحى إليه إنّما هو من اللّه تعالى فلا يحتاج إلى شىء سواها ولا يفزع ولا يفرق.(۲)

أمّا بالنسبهٔ إلى يوم مبعثه، فإنّ هناك اختلافاً فيه مثلما اختلف فى يوم ولادته، فاتّفق علماء الشيعهٔ على أنّه بُعث بالرسالهٔ يوم ۲۷ من شهر رجب، وأنّنزول الوحى بدأ من هذا اليوم، بينما اشتهر عند السنّهٔ أنّه حدث فى شهر رمضان. فهناك فرق فى نزول القرآن جميعه على الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» ونزول الآيات الأُولى عليه يوم المبعث. فالآيات التى تصرح بنزول القرآن فى شهر رمضان فى ليلهٔ القدر المباركهٔ، لا تدل على أنّ يوم المبعث ـ الذى نزلت فيه بضع آيات ـ كان ذلك فى الشهر نفسه، لأنّ الآيات المذكورهٔ الدالّهٔ على

---

۱ . بحار الأنوار:۱۸|۲۶۲؛ الكافى:۱|۲۷۱.

۲ . مجمع البيان:۱۰|۳۸۴.

(۶۱)

أنّالقرآن نزل فى شهر رمضان تدل على أنّ مجموع القرآن لا ـ بعضه قد نزل فى ذلك الشهر، فى حين أنّه لم ينزل فى يوم المبعث سوى آيات معدودهٔ. كما أنّتفسيراً آخر يؤكّد أنّ للقرآن الكريم وجوداً جمعياً علمياً واقعياً،وهو الذى نزل على الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) مرهًٔ واحدهًٔ فى شهر رمضان، وآخر وجوداً تدريجياً كان بدء نزوله على النبى ص فى يوم المبعث،واستمر نزوله إلى آخر حياته الشريفهٔ على نحو التدريج. وهو ما قدّمه العلاّمهٔ الطباطبائى من تفسير(۱). كما أنّ ثمهٔ قولاً آخر ذهب إلى أنّ ابتعاث الرسولبالرسالهٔ فى شهر رجب، لا يلازم نزول القرآن فى ذلك الشهر حتماً.(۲)

وأبرز ما فى هذا الموضوع، أنّ الرسالهٔ المحمّديهٔ المباركهٔ، بشّر بها جميع الأنبياء المتقدّمين زمنياً على خاتم الأنبياء والمرسلين محمّد «صلى الله عليه وآله وسلم» وأشار القرآن إلى ذلك فى آيات كثيرهٔ.

والأمر الهامّ الآخر، إنّه كان خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبى بعده و لا رسالهٔ، حيث قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أرسلت إلى الناس كافهًٔ،وبى خُتِم النبيّون».(۳) ۵. أوائل المؤمنين بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والدين الإسلامى

بدأ انتشار الإسلام تدريجياً، وكان هناك سابقون كما كان هناك لاحقون،وعُدَّ السبق إلى الإيمان برسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى صدر الإسلام،معياراً للفضل، ولذا كان لابدّ من التعرف على هؤلاء السابقين. ومن المسلّمات، أنّ السيدهٔ خديجهٔ (عليها السلام) كانت أوّل امرأهٔ آمنت به فلم

---

۱ . تفسير الميزان: ۲|۱۴.

۲ . للمزيد من التوضيح و التوسع راجع البحار:۱۸|۱۸۴، ۲۵۳؛ الكافى:۲|۴۶۰.

۳ . طبقات ابن سعد:۱|۱۲۸.

(۶۲)

يختلف فى هذا أحد.(۱) وخاصّهٔ أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أكّد بنفسه ذلك فى قوله: «آمنت بى إذ كفر الناس، وصدّقتنى إذ كذّبنى الناس».(۲) فهى أوّل من التقته بعد نزول الوحى عليه فى الغار، فآمنت به وصدقته.

كما أنّعلى بن أبى طالب (عليه السلام) كان أوّل من آمن به من الرجال، حيث اتّفق العلماء كلّهم على ذلك، إذ أنّ الإمام (عليه

السلام) کان قد عاش فی کنف النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) حتی بعثه اللّه تعالی نبیاً فاتّبعه وآمن به وصدّقه.(۳) فکان ممّا أنعم اللّه به علی الإمام (علیه السلام) أنّه کان فی حجر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قبل الإسلام وهو دون الثامنهٔ. فحینما أجدبت مکهٔ وضواحیها وأصاب الناس أزمهٔ شدیدهٔ، وکان أبو طالب کثیر العیال، رأی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یخفّف عنه، فطلب من عمّه العباس أن یأخذ منه بعض عیاله، فکفل العباس جعفراً، وکفل رسول اللّهعلیاً، وقیل أنّحمزهٔ أخذ جعفراً، والعباسُ طالباً، وأبو طالب عقیلاً، وقال رسول اللّه «صلی الله علیه وآله وسلم» :«إخترت من اختار اللّه لی علیکم، علیاً».(۴)

ویظهر أنّ الهدف من ذلک کان هو أن یتربّی علی (علیه السلام) فی حجر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ویتغذّی من مکارم أخلاقه ویتبعه فی کریم أفعاله.

ویؤکد الإمام (علیه السلام) موقفه بقوله: «اللّهمّ إنّی أوّل من أناب وسمع وأجاب، ولم یسبقنی إلّا رسول اللّه بالصلاهٔ».(۵)

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۱|۲۴۰.

۲ . صحیح مسلم:۷|۱۳۴؛صحیح البخاری: ۵|۳۹؛ أُسد الغابهٔ:۵|۴۲۸؛ البحار:۱۶|۸.

۳ . السیرهٔ النبویهٔ: ۱|۲۴۶؛ البدایهٔ والنهایهٔ: ۲|۲۵.

۴ . مقاتل الطالبیین: ۲۶؛ الکامل:۱|۳۷؛ السیرهٔ النبویهٔ :۱|۲۴۵.

۵ . نهج البلاغهٔ:۲|۱۸۲.

کماجاء عن «عفیف الکندی» إنّه شاهد النبی صو زوجته و علیّاً «علیه السلام» یوَدّون الصلاهٔ أمام الکعبهٔ.(۱)

وجاء فی خطبهٔ له (علیه السلام) قوله: «أنا الصدیق الأکبر، لقد صلیت مع رسول اللّه قبل الناس سبع سنین، وأنا أوّل من صلّی معه».(۲)

کما أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أکّد ذلک أیضاً فی أحادیثه المتکررهٔ: «أوّلکم إسلاماً علی بن أبی طالب».(۳)

ومن أقوال الإمام علی (علیه السلام) فی ذلک، یذکر حکیم مولی زاذان،إنّه قال، سمعت علیاً یقول: «صلّیت قبل الناس سبع سنین، وکنّا نسجد ولا نرکع،وأوّل صلاهٔ رکعنا فیها صلاهٔ العصر». (۴)

و قال أیضاً: «بُعث رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) یوم الإثنین وأسلمت یوم الثلاثاء».(۵)

و قد أکّد هذا الموقف أکثر من ستین صحابیاً وتابعیاً أیّدوا القول الذی یذکر أنّ الإمام علیاً (علیه السلام) کان أوّل القوم إسلاماً.

و أشهر هوَلاء:

ـ أنس بن مالک : بُعث النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) یوم الإثنین وأسلم علیٌّ یوم الثلاثاء.

ـ بریدهٔ الأسلمی: ذکر نفس القول.

ـ زید بن أرقم: أوّل من أسلم مع رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) علی

---

۱ . الإصابهٔ:۲|۴۸۰.

۲ . خصائص النسائی: ۳؛ سنن ابن ماجهٔ:۱|۵۷؛ مستدرک الحاکم:۱|۱۱۲.

۳ . الغدیر:۳|۲۲۰.

۴ . شرح نهج البلاغهٔ :۳|۲۵۸.

۵ . مجمع الزوائد: ۹|۱۰۲.

بن أبى طالب، وأوّل من صلّى مع الرسول صعلىّ، وأوّل من آمن باللّه بعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) علىّ (عليه السلام) .

ـ عبد اللّه بن عباس: أوّل من صلّى علىّ.

لعلىّ أربع خصال ليست لاَحد هو أوّلُ عربىّ وأعجمىّ صلّى مع رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، كان علىّ أوّل من آمن من الناس بعد خديجة «عليه السلام» .

ـ سلمان الفارسى: أوّل هذه الاُمّة وروداً على نبيّها الحوض أوّلها إسلاماً، على بن أبى طالب (عليه السلام) .

ـ أبو رافع: مكث علىّ يصلّى متخفياً سبع سنين وأشهراً قبل أن يصلّى أحد.

ـ كما نقل نفس الاَقوال والاَعمال التى قام بها الاِمام (عليه السلام) كلّمن:

أبو ذر الغفارى، خباب بن الاَرت، المقداد بن عمرو الكندى، جابر بن عبد اللّه الاَنصارى، أبو سعيد الخدرى، حذيفة بن اليمان، عمر بن الخطاب، عبد اللّه بن مسعود، أبو أيّوب الاَنصارى، هاشم بن عتبة المرقال، مالك بن الحارث الاَشتر، عدى بن حاتم، محمد بن الحنفية، محمّد بن أبى بكر، عبد اللّه بن أبى سفيان، الحسن البصرى، الاِمام محمّد الباقر (عليه السلام) .(۱) ۶. دعوة الاَقربين

استمر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يدعو إلى دينه سرّاً مدّة ثلاثة أعوام، عمد فيها إلى بناء الكوادر وإعدادها من أفراد محدّدين، كانوا السبب فى أن ينجذب إلى الدين الجديد جماعة آخرون تقبّلت دعوته_____.

۱ . الصواعق المحرقة: ۷۲؛ تاريخ الخلفاء للسيوطى : ۱۱۲.

(۶۵)

واشتهر من بين السابقين إلى الاِيمان برسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» : (۱)

ـ السيدة خديجة بنت خويلد (عليها السلام)ـ على بن أبى طالب (عليه السلام)

ـ زيد بن حارثة ـ الزبير بن العوام

ـ عبد الرحمن بن عوف ـ سعد بن أبى وقاص

ـ طلحةبن عبيد اللّه ـ أبو عبيدة الجراح

ـ أبو سلمة ـ الاَرقم بن أبى الاَرقم

ـ عثمان بن مظعون ـ قدامة بن مظعون

ـ عبد اللّه بن مظعون ـ عبيدة بن الحارث

ـ سعيد بن زيد ـ خباب بن الاَرت

ـ أبو بكر بن أبى قحافة ـ عثمان بن عفان

وكان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يخرج مع بعض أتباعه إلى شعاب مكّة للصلاة فيها بعيداً عن أنظار قريش، إلاّ أنّ البعض منهم رأوهم يصلُّون، فحدث نزاعٌ قصيرٌ بين الطرفين،حين استنكروا فعلهم، وهو ما جعلَالنبى «صلى الله عليه وآله وسلم» يقرر اتّخاذ بيت «الاَرقم بن أبى الاَرقم» مكاناً للعبادة(۲) حيث آمن فى هذا البيت عددٌ آخر من المشركين، كان أبرزهم : عمار بن ياسر، وصهيب بن سنان الرومى.

وقد ركّز الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) جهده فى الدعوة السريّة، دون عجلة أو تسرّع، يعرض فيها دينه على كلّمن وجده أهلاً لتقبل المبادىَ السامية،

---

۱ . السيرة النبوية:۱|۲۴۵.

۲ . وكان البيت عند جبل الصفا عرف إلى فترة بدار الخيزران. أُسد الغابة:۴|۴۴؛ السيرة الحلبية:۱|۲۸۳.

(۶۶)

من الناحیهٔ الفکریهٔ، ففی خلال ثلاثهٔ أعوام اکتفی بالاتّصال الشخصیّ بمن وَجَدَه موَهلاً ـ وصالحاً للدعوهٔ ومستعداً لقبول الدین الجدید، ممّا ساعده فی أن یکسب فریقاً من الأتباع الذین اهتدوا إلی دینه بقبول دعوته.

أمّا زعماء قریش فإنّهم لم یعتنوا بالدعوهٔ الجدیدهٔ، کما لم یتعرضوا بأی عمل عدائی للرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) بل ظلوا ینظرون إلیه باحترام، مراعین قواعد الآداب والسلوک، فی الوقت الذی لم یتعرض فیه النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» أیضاً لأصنامهم وآلهتهم بسوء، ولا تناولها بالنقد والاعتراض بصورهٔ علنیهٔ، وذلک أنّ زعماء قریش کانوا متأکدین من أنّ دعوته ستنتهی فی العاجل بقولهم: إنّها أیّام وتنطفیَ بعدها شعلهٔ الدعوهٔ هذه فوراً، کما انطفأت من قبل دعوهٔ «ورقهٔ وأُمیّهٔ» اللّذین دعیا إلی نبذ الوثنیهٔ واعتناق المسیحیهٔ،ثمّنسی الأمر.

وقد جمع النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی السنوات الثلاث الأُولی، أربعین شخصاً، لم یکن فیهم کفایهٔ لأن یصبحوا قوهٔ دفاعیهٔ لحمایهٔ النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» ورسالته، ممّا جعله یسعی إلی دعوهٔ أقربائه، فکسر بذلک جدار الصمت،بالشروع فی دعوهٔ الأقربین ثمّ الناس أجمعین،فالنبی «صلی الله علیه وآله وسلم» کان یؤمن ویعتقد أنّ أی إصلاح وتغییر لابدّ أن یبدأ من إصلاح الداخل وتغییره،ومن هنا أمره اللّه تعالی بأن یدعو عشیرته الأقربین، الذین تمنّی أن یکوّنَ منهم سیاجاً قویاً یحفظه ویحفظ رسالته من الأخطار المحتملهٔ: (وَأَنْذِرْ عَشِیرَتَکَ الأَقْرَبِین) (۱) کما خاطبه بصدد دعوهٔ الناس عامهٔ ۵۴۳۲۱فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِکِینَ* إِنّا کَفَیْناکَ الْمُسْتَهْزِئِین) .(۲)

---

۱ . الشعراء:۲۱۴.

۲ . الحجر:۹۴ـ۹۵.

(۶۷)

وقد اتّخذ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أُسلوباً ممیزاً فی دعوهٔ أقربائه، إذ أنّه أعدّ لهم مائدهً کبری، لـ۴۵ فرداً من سراهٔ بنی هاشم ووجهائهم،لیکشف لهم أمر رسالته خلال تلک الضیافهٔ، إلاّ أنّالجو لم یناسب الحدث، فانفضّ المجلس دون تحقیق الغرض، ممّا اضطرّه إلی إعادتها فی الیوم التالی. فقام النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» بعد تناول الطعام، خطیباً فیهم وقال: «إنّ الرائد لا یکذب أهله، واللّه الذی لا إله إلاّ هو، إنّی رسول اللّه إلیکم خاصهً وإلی الناس عامهً، واللّه لتموتنّ کما تنامون، ولتبعَثُنّ کما تستیقظون،ولتحاسبنّ بما تعملون، وإنّها الجنهٔ أبداً والنار أبداً. یا بنی عبدالمطلب، إنّی واللّه ما أعلم شاباً فی العرب جاء قومه بأفضل ممّا جئتکم به، إنّی قد جئتکم بخیر الدنیا والآخرهٔ، وقد أمرنی اللّه عزّوجلّ أن أدعوکم إلیه، فأیّکم یؤمن بی ویؤازرنی علی هذا الأمر علی أن یکون أخی ووصیّی وخلیفتی فیکم؟» فقام علی (علیه السلام) وهو فی الثالثهٔ عشرهٔ أو الخامسهٔعشرهٔ من عمره قائلاً: «أنا یا رسول اللّه أکونُ وزیرُک علی ما بعثک اللّه». وبعدما تکرّر هذا الموقف ثلاث مرّات، أخذ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بید علیّ «علیه السلام» والتفت إلی القوم قائلاً: «إنّ هذا أخی ووصیّی وخلیفتی فیکم، فاسمعوا له وأطیعوا».

فضحک الجمیع مستهزئین،وقالوا لأبی طالب: قد أمرک أن تسمع لابنک وتطیعه وجعله علیک أمیراً.(۱)

إنّ هذا الإعلان عن وصایهٔ الإمام علی (علیه السلام) وخلافته فی مطلع عهد الرسالهٔ وبدایهٔ أمر النبوهٔ، یفید أنّ هذین المنصبین لیسا منفصلین، فقد

---

۱ . هذا ملخّص لتفصیل ما رواه أکثر المفسرین والمؤرّخین دون أن یشکّک فی صحته أحد، إلاّ ابن تیمیهٔ الذی اتخذ موقفاً فریداً من أهل البیت «علیهم السلام» راجع تاریخ الطبری:۲|۶۲؛ الکامل:۲|۴۰؛ مسند أحمد:۱|۱۱؛شرح نهج البلاغهٔ:۱۳|۲۱۰.

(۶۸)

أعلنهما الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) فى يوم إعلانه للدعوة والنبوة، ممّا يوَكد أنّ النبوة والإمامة يشكّلان قاعدة واحدة، وإنّهما حلقتان متصلتان لا يفصل بينهما شىء، كما أنّ موقف الإمام على (عليه السلام) يكشف عن مدى شجاعته الروحية، حينما أعلن بكلّ جرأة وشجاعة، موَازرة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى حضور قوم ضمّ شيوخهم وسادتهم،معلِناً استعداده للتضحية فى سبيل دينه،وهو غلام لم يتعد الخامسة عشرة.

وقد تناول «أبوجعفر الإسكافى» هذا الموقف موضحاً إذ كتب يقول:

هل يكلّف عمل الطعام،ودعاء القوم، صغيرٌ غير مميّز وغيرُ عاقل؟! و هل يوَتمن على سرّ النبوة طفل؟! و هل يُدعى فى جملة الشيوخ والكهول إلّا عاقل لبيبٌ وهل يضع رسول اللّه ص يده فى يده، ويعطيه صفقة يمينه بالاَخوة والوصية والخلافة، إلّا وهو أهلٌ لذلك، بالغُ التكليف، محتمل لولاية اللّه، وعداوة أعدائه، ما بالُهذا الطفل لم يأنس بأقرانه ولم يلصق بأشكاله، ولم يُر مع الصبيان فى ملاعبهم بعد إسلامه،ولم ينزَع إليهم فى ساعة من ساعاته، بل ما رأيناه إلّاماضياً على إسلامه، مصمّماً فى أمره، محقّقاً لقوله بفعله، ولصق برسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» من بين جميع من حضره، فهو أمينه وأليفه فى دنياه وآخرته.(۱)

(۶۹) ۷. الدعوة العامة وتطوّر ردود أفعال قريش تجاهها

بعد تلك السنوات الثلاث، عمد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى إعلان الدعوة جهراً، حين وقف ذات يوم على صخرة عند جبل الصفا منادياً بصوت عالٍ: «أرأيتكم إن أخبرتكم إنّالعدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدّقوننى؟» قالوا: بلى. قال: «فإنّى نذير لكم بين يدى عذاب شديد».(۱) فرد عليه أحدهم: تبّاً لك ألهذا دعوتنا؟ فتفرّق الناس على أثر ذلك. إلّا أنّه بعد فترة من الدعوة العامة، تشكلت جماعة قوية متعاطفة متحابّة، من السابقين واللاحقين، أو القدامى والجدد، كانت بمثابة إنذار لاَوساط الكفر والشرك والوثنية، وهم المخالفون،وقد تألّفت تلك الجماعة من قبائل مختلفة منعوا الكفّار من التعرض لهم، إذ لم يكن اتّخاذ أى قرار حاسم بحقّهم، أمراً سهلاً ومريحاً. ولذا قرر سادة قريش مواجهة قائد تلك الجماعة ومحركهم، بوسائل الترغيب والترهيب، بالإغراء والتطميع، والإيذاء والتهديد، واستمرت برامج قريش و موقفها من الدعوة بهذه الاَساليب طيلة عشر سنوات هى عمر الدعوة العامة فى مكة، حتى اتّخذوا قرارهم النهائى بالتخلّص منه بقتله،فى الوقت الذى تمكن (صلى الله عليه وآله وسلم) من إبطال موَامرتهم وإفشالها بالهجرة إلى المدينة.

وقد بدأوا التحرك فى مطالبة كفيله (صلى الله عليه وآله وسلم) أبى طالب بأن يبعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عنهم قائلين له: يا أبا طالب إنّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلّل آباءنا، فإمّا أن تكفّه عنّا، وإمّا أن تُخلّى بينا و بينه. إلّا أنّأبا طالب رَدّهم بقولٍجميلٍ حكيم.(۲)

ولكن الدين الجديد انتشر بقوّة بين العرب، والقادمين إلى مكّة خلال الاَشهر الحرم، فأدرك طغاة قريش أنّ محمّداًبدأ يفتح له مكاناً فى قلوب جميع القبائل، فكثّر أنصاره منها، الاَمر الذى دفعهم إلى مقابلة أبى طالب مرةً أُخرى، ليذكّروه إشارة وتصريحاً، بالاَخطار التى أحدقت بهم وبعقائدهم نتيجة نفوذ الإسلام وقوّته : إنّا واللّه لا نصبرُ على هذا من شتم آبائنا وعَيب آلهتنا حتى تكفّه

---

۱ . السيرة الدحلانية بهامش السيرة الحلبية:۱|۱۹۴.

۲ . السيرة النبوية: ۱|۲۶۴.

(۷۰)

عنّا أو ننازله وإيّاك فى ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين. فسكّن غضبهم وأطفأ ثائرَتهم وهدّأ خواطرهم، ليتم معالجة هذه المشكلة بطريقةٍ أفضل.

فأتی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وأخبره بأمرهم، فردّ علیه بالجواب التاریخی الخالد، والذی یعتبر من أسطع وألمع السطور فی حیاهٔ قائد الإسلام الأکبر محمّد (صلی الله علیه وآله وسلم) :

«یا عمّ، واللّه لو وضعوا الشمس فی یمینی والقمرَ فی یساری علی أن أترک هذا الأمر حتی یظهِرَه اللّه، أو أهلک فیه، ماترکته». ممّا أثر فی عمّه بتلک الکلمات العظیمهٔ، فأظهر استعداده الکامل للوقوف إلی جانبه قائلاً: إذهب یا ابن أخی فقل ما أحببتَ ،فواللّه لا أُسْلِمَکَ لشیءٍ أَبداً».

وحاولت قریشٌ مساومهٔ أبی طالب مرهً أُخری، للتخلّص من النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» ودعوته، إلاّ أنّه رفض أی نوع من المساومهٔ فی هذه القضیهٔ، محافظاً علی محمّدودینه.

فسلکوا طریقاً آخر، ووسیلهٔ أجدی لإثناء النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عن المضی فی دعوته،وهی تطمیعه بالمناصب والهدایا والأموال والفَتَیات الجمیلات:فإن کنتَ إنّما جئتَ بهذا الحدیث تطلبُ به مالاً جمعنا لک من أموالنا حتی تکون أکثر مالاً، وإن کنتَ إنّما تطلب الشرفَ فینا فنحن نسوِّدُکَ ونشرِّفک علینا،وإن کان هذا الذی یأتیک تابعاً من الجنّ قد غلب علیک،بذلنا أموالنا فی طِبّک. إلاّ أنّ الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) قال لعمّه: «یا عمّ أریدهم علی کلمهٔ واحدهٔ یقولُونها،تدین لهم العرب، وتوَدّی إلیهم بها العجم الجزیهٔ».

(۷۱)

قالوا: ما هی؟ قال: «لاإله إلاّاللّه». فقاموا فزعین قائلین: (أجعل الآلهۀ إلهاً واحداً إِنْهذا لشیء عجابٌ) .(۱) ۸. استخدام الأسالیب المتعدّدهٔ لمنع انتشار الدعوهٔ الجدیدهٔ

بعد استخدام أُسلوب الأخذ والردّ مع النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عن طریق کفیله، وعدم جدواه، اضطرّت قریش إلی تغییر أُسلوبها ونهجها مع الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی منع انتشار دینه، مهما کلّف الثمن. فقرّروا اتخاذ سلاح السخریهٔ والاستهزاء، والإیذاء والتهدید.

وکان أبو طالب من جانب آخر، قد طلب من بنی هاشم جمیعاً القیام بحمایهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ، فلبّوا نداءه سواء بدافع الإیمان أو الرحم، إلاّ أنّ ذلک لم یمنع من إیقاع الأذی بالرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) کلّما وجدوا الفرصهٔ السانحهٔ، وخاصهً إذا وجدوه وحیداً بعیداً عن أعین حماته.

إنّ التاریخ یشهد بأنّ وجود رجال ذوی بأس شدید وقوهٔ بین صفوف المسلمین، مثل «حمزهٔ» الذی أصبح فیما بعد أحد کبار قادهٔ الإسلام، کان لهم أثر کبیر فی حفظ الإسلام وحمایهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ودعم جماعته.فقد جاء عنه: لما أسلم حمزهٔ عرفت قریش أنّ رسول اللّه «صلی الله علیه وآله وسلم» قد عزّ وامتنع، فکفّوا عمّا کانوا یتناولون منه.(۲)

أمّا أسالیب قریش فتعددت فی الإیذاء والإیقاع بالرسولوجماعته، فقد کمن أبو جهل للرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) حینما وقف للصلاهٔ بین الرکن الیمانی والحجر الأسود، لیضربه بحجر، إلاّ أنّه رجع عن عزمه دون أن ینفّذ خطته، مجیباً أصحابه فی ذلک: قمت إلیه لأفعل به ما قلت لکم البارحهٔ، فلمّا دنوتُ منه

---

۱ . السیرهٔ الحلبیهٔ:۱|۳۰۳؛ تاریخ الطبری:۲|۶۵.

۲ . الکامل: ۲|۵۶.

(۷۲)

عرض لی دونه ما لا رأیت مثله فی حیاتی، فترکته.(۱)

ولا شکّ أنّ قوهً غیبیهً أدرکت الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی تلک اللحظهٔ وحفظته، کما وعده اللّه تعالی قائلاً: (إِنّا کَفَیْناکَ

الْمُسْتَهْزِئين) (۲) فالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) کان یواجهُ فی کلّیوم نوعاً خاصاً من الاَذی والمضایقهٔ من هوَلاء الاَشرار، وأشهرهم: عقبهٔ بن أبی معیط الذی شتمه وضربه، فکان أشدّ خصومه بغضاً له (صلی الله علیه وآله وسلم) . وعمّه أبو لهب الذی تعرض النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لاَذاه مع زوجته اُمّ جمیل، فقد کان النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) یجاورهم فقاموا بإیذائه وإزعاجه، بإلقاء الرماد والتراب علی رأسه الشریف، ونشر الشوک علی طریقه أو عند باب بیته. والاَسود بن عبد یغوث، أحد المستهزئین، والولید بن المغیرهٔ، شیخ قریش وحکیمها وأکبر الملاّک فیها، وأُمیهٔ وأُبیّ، ابنا خلف، وأبو جهل(أبو الحکم بن هشام)، و العاص بن وائل، والد عمرو بن العاص الذی وصف النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بالاَبتر.

وعندما فشلت أسالیب قریش وأسلحتها الصدیئهٔ فی القضاء علی الدین الجدید وأهله، عمدوا إلی استخدام سلاح جدید لعلّه یکون أقوی من سوابقه، للحیلولهٔ دون انتشار الاِسلام واتساع رقعته، وقطع علاقته بالمجتمع العربی، وهو سلاح الدعایهٔ ضدّ رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) . و من أسالیبه:

الاتّهامات الباطلهٔ، وقد أقرّوا استخدامها فی دار الندوهٔ، حین طرحوا فکرتها علی «الولید بن المغیرهٔ»(۳) الذی کان ذا مکانهٔ ممیزهٔ عندهم، فقال: یا معشر قریش، إنّه قد حضر هذا الموسم وإنّ وفود العرب ستقدم علیکم فیه، وقد سمعوا بأمر صاحبکم هذا فأجمعوا فیه رأیاً واحداً ولا تختلفوا فیکذب بعضکم بعضاً ویرد

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۱|۲۹۸.

۲ . الحجر:۹۵.

۳ . أبو خالد بن الولید.

قولکم بعضه بعضاً، ورأی ألاّ یقولوا عنه کاهن أو مجنون أو ساحر. و هکذا تحیّروا فی ما ینسبون إلی رسول اللّهص حتّی اتّفقوا علی أن یقولوا: إنّه ساحر جاء بقول هو سحر یفرق بین المرء وأبیه وأخیه وزوجته وعشیرته، والدلیل علی ذلک ما أوجده من خلاف وانشقاق وتفرّق بین أهل مکّهٔ الّذین عرفوا بالوحدهٔ والاِتفاق.(۱)

کما أشاعوا عنه الجنون، وأنّما یقوله ویقرأه ما هو إلاّ من نسج الخیال ومن أثر الجنون الذی لا یتنافی مع الزهد والاَمانهٔ.

وقد ردّالقرآن الکریم علی جمیع تلک الاتهامات فی آیات کثیرهٔ وفنّدها.

وقد استمر أُسلوبهم فی الاتهام والتشویش علی شخصیهٔ النبی الاَکرم (صلی الله علیه وآله وسلم) والرسالهٔ المحمدیهٔ بکلّالصور والمظاهر، فوصفوه بالکاهن، والساحر، والمجنون، وأنّه معلّم من قبل نصرانی، وکذّاب و مفتر و شاعر، وما یقوله أضغاث أحلام.

ولما لم تأت کلّتلک الاتهامات بالنتیجهٔ المرجوّهٔ، ولم تنفع فی الاِیقاع به، لمعرفهٔ الناس بالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وصفاته وأخلاقه منذ سنین بعیدهٔ، اتجهوا إلی أُسلوب آخر، وهو معارضهٔ القرآن الکریم عن طریق «النضر بن الحارث» أحد أعداء الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) الذی تعلم فی العراق شیئاً من أساطیر الفرس وحکایاتهم، لیقصّ منها علی الناس فیلهیهم عن السماع لرسول اللّهوالاِصغاء للقرآن الکریم. إلاّأنّ ذلک لم یدم طویلاً، فقد سأمت قریش أحادیثه فتفرقت عنه.

فاتجهوا إلی أُسلوب المجادلات الجاهلیهٔ والمآخذ السخیفهٔ علی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) ورسالته، وهی تبرز تکبّرهم وعنادهم وجهلهم التی

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۱|۲۷۰.

طبعوا علیها. ومن أمثال هذه الوسیلهٔ الاعتراض علی النبیّ «صلی الله علیه وآله وسلم» للاَمور التالیهٔ :

۱.عدم نزول القرآن علی أحد أثریائهم.

۲.عدم إرسال الملائکهٔ إلیهم.

۳. تبدیل الآلهٔ بإله واحد.

۴.جدّد الحیاهٔ یوم القیامهٔ.

۵.عدم تملّکه لمعجزات متعدّدهٔ کما کان لموسی (علیه السلام) .

وفی الوقت نفسه قدموا مقترحات لِإصلاح الوضع بینهم وبین النبی الکریم (صلی الله علیه وآله وسلم) مثل:

ـ أن یقوم بعبادهٔ أصنامهم سنهٔ، علی أن یعبدوا إلهه سنهٔ أُخری.

ـ تبدیل القرآن علی ألاّ یحتوی علی شجب عبادهٔ الاَوثان.

ـ مطالب مادیهٔ عجیبهٔ مستحیلهٔ ومتناقضهٔ، کأن یفجر لهم ینابیع، أو یأتی باللّه سبحانه وتعالی.

وعندما قدم وفدٌ مسیحیٌ تکوَّن من عشرین رجلاً من قبل أساقفهٔ الحبشهٔ لتقصّی الحقائق فی مکهٔ والتعرّف علی الإسلام، وزیارهٔ النبی الاَکرم «صلی الله علیه وآله وسلم» فی مکّهٔ، فجالسوه فی المسجد وکلّموه وسألوه بعض المسائل، حتی عرض علیهم دینه وقرأ علیهم آیات من القرآن الکریم، فتأثرت نفوسهم وآمنوا به وصدّقوه.

وکان أبو جهل قد شاهد ما حدث فوبَّخهم علی موقفهم وبما عملوا دون أن یوَدّوا عملهم کوفد من بلدهم، إلاّ أنّهم لم یردوا علیه إلاّ بخیر. فکان لهذا الموقف أثره السیء فی قریش دفعهم إلی تکوین وفد من «النضر بن الحارث وعقبهٔ ابن أبی معیط» للسیر إلی أحبار یهود المدینهٔ وسوَالهم عن دین الرسول «صلی الله

(۷۵)

علیه وآله وسلم» فأخبرهم الیهود أن یسألوه عن ثلاث، إذا عرفها فهو نبی مرسل، وإن لم یفعل فهو متقوّل.

۱. عن فتیه ذهبوا فی الدهر الاَوّل.

۲. عن رجل طوّاف.

۳. عن الروح، ماهی؟

فأجابهم الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) بالآیات القرآنیهٔ، عن الروح فی الآیهٔ ۸۵ من سورهٔ الإسراء، وأصحاب الکهف وذی القرنین فی سورهٔ الکهف.

فالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قابل تلک الآراء الشاذهٔ والمقترحات الموَذیهٔ بصبر عظیم وثبات هائل، حرصاً منه علی إبلاغ رسالته. وبعد هذه الخطهٔ الفاشلهٔ، نفذوا خطهٔ أُخری وهی: منع کلّ من رغب فی الإسلام وقدم إلی مکّهٔ للتعرف علی النبیوالاتّصال به، وذلک بنشر الجواسیس فی الطرقات للتعرض لهوَلاء ومنعهم من الوصول إلی النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» ، وممّن تعرضوا له فی الطریق: الشاعر الاَعشی، الذی قدم إلی مکّهٔ لیهدی للرسول أبیاتاً شعریهٔ ویعلن إسلامه علی یدیه، فأقنعوه بالعودهٔ إلی بلده بعد أن أخبروه أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) یحرم الخمر، وکان الاَعشی یحب الخمر والنساء. وقد مات فی نفس العام فلم یفد علی رسول اللّه «صلی الله علیه وآله وسلم» .(۱) کما تعرّضوا للطفیل بن عمرو الدوسی الذی خشیت قریش أن یقوم بالاتصال بالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وهو شاعر حکیم، صاحب نفوذ وکلمهٔ مسموعهٔ فی قبیلته، فخوّفوه من کلام النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وسحره. إلاّ أنّه عندما سمع شیئاً من أقوال الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) دون وعی منه، أحسن القولَ فأسلم وشهد شهادهٔ الحقّ، ورجع إلی بلاده داعیاً قومه إلی

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۱|۳۸۶.

(۷۶)

الاِسلام، إلی أن تمّ اتصاله بالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بخیبر فبقی معه حتی قبض (صلی الله علیه وآله وسلم) ثمّ شارک المسلمین بعد ذلک فی معارک الیمامهٔ زمن الخلفاء الراشدین، وقتل فیها.(۱)

وتطورت وسائل وأسالیب قریش فی التخلّص من دعوهٔ النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» وإیقاف زحف تلک الدعوهٔ الاِسلامیهٔ واتّساعها فی مدّهٔ غیر طویلهٔ، إلی فرض حصار اقتصادی قویّ علی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) والمسلمین، تُقطع به کلّالشرایین الحیویهٔ لهم، فتحدّ بذلک من سرعهٔ انتشار الدین،وتخنق موَسسه وأنصاره. ولهذا وقّع زعماء قریش فی دار الندوهٔ میثاقاً کتبه:«منصور بن عکرمهٔ» و علّقوه فی جوف الکعبهٔ، وتحالفوا علی الالتزام ببنوده حتی الموت، وذلک فی السنهٔ السابعهٔ من البعثهٔ. وقد ضم المیثاق البنود التالیهٔ:

۱. عدم التعامل التجاری مع النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وأنصاره.

۲.عدم التزاوج منهم.

۳. عدم التحدّث معهم أو تناول الطعام معهم.

۴. وأن یکونوا یداً واحداً علی محمّد (صلی الله علیه وآله وسلم) وأنصاره.

فما کان من «أبی طالب»إلاّ أن طلب من بنی هاشم وبنی المطلب، الاستعداد للدفاع عن رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) والحفاظ علی حیاته وسلامته، علی أن یستقرّوا خارج مکّهٔ فی شعب بین جبال مکّهٔ عُرِفَ بشعب أبی طالب، والذی شمل بعض البیوت البسیطهٔ، کما عیَّن بعض الرجال فی جوانب مختلفهٔ ومتفرقهٔ، لمراقبهٔ الطرق وحراسهٔ المکان تحسباً لاَی طارئ.(۲)

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۱|۳۸۲.

۲ . السیرهٔ النبویهٔ:۱|۳۵۰؛ تاریخ الطبری:۲|۷۸.

(۷۷)

ویشهد التاریخ أنّ أقوی العوامل فی ثبات أقلیهٔ وصمودها فی وجه الاَکثریهٔ هو: قوهٔ الاِیمان و الاعتقاد، وهذا ما تجلّی فی أبی طالب و بنی هاشم فی هذه المأساهٔ.

فقد استمر الحصار ثلاثهٔ أعوام، جاع فیها الاَطفال والکبار متحمّلین قسوهٔ الحال، فکان یعیشُ الفردُ منهم علی تمرهٔ واحدهٔ طوال الیوم، وربما تقاسمها اثنان.

ولمّا کان لایُسمح لهم بالخروج من الشعب إلاّ فی الاَشهر الحرم حیث یسود الاَمن فی أنحاء الجزیرهٔ العربیهٔ، فیخرج بنو هاشم للشراء والبیع ثمّ العودهٔ إلی الملجأ، فإنّالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) کان یستغل هذا الموسم فی نشر دینه ودعوته. إلاّ أنّ تجّار قریش کانوا یزیدون فی سعر السلعهٔ إذا أرادها مسلمٌ، علی أن یقوم أبو لهب والولید بن المغیرهٔ بتعویض خسارهٔ هوَلاء التجار. کما أنّهم عینوا الجواسیس علی الطرق الموَدیهٔ للشعب حتی یمنعوا الاتّصال بالمسلمین. إلاّ أنّ بعضاً من أنصار النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) کان یوصل الطعام إلیهم سراً خلال اللیل کما أنّ قریشاً کانوا یصادرون مال کلّمن أراد التعامل مع أصحاب الشعب، فی الوقت الذی اشتدّ إیذاوَهم لمن أعلن إسلامه.

ولکنّهم تأکدوا بعد فترهٔ لیست قلیلهٔ بأنّ حصارهم هذا لم یأت بنتیجهٔ مرجوهٔ، ولم یتحقّق هدفهم منه و من غیره من الوسائل والاَسالیب، ففکروا فی نقض المیثاق بأیّ شکل. فقد صرّح «زهیر بن أبی أُمیّهٔ» فی مجلس قریش فی المسجد الحرام بعدما اتّفق مع عدد آخر من المعارضین لمقاطعهٔ بنی هاشم:

يا أهل مكّة، أنأكل الطعام ونلبس الثياب، وبنو هاشم هلكى لا يُباع لهم ولا يُبتاع منهم؟ واللّه لا أقعد حتى تُشَقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة.

وقام «المطعم بن عدى» إلى الصحيفة ليشقّها، فوجد أنّ الاِرضة قد أكلتها إلاّ

(۷۸)

عبارة :«باسمك اللّهم» فأسرع « أبو طالب» إلى الشِّعب يخبر الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بما جرى، وانفكّ الحصار وعاد المحاصرون إلى منازلهم مرّة أُخرى. وكان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عَلِم بأمر تقطيع الصحيفة والاِرضةالتى أكلتها إلاّ اسم اللّه، فأخبر أبا طالب بذلك، الذى قام بإخبار زعماء قريش بذلك، واتّفق معهم على: إن كان حقّاً ما ذكر الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» فاتّقوا اللّه وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم والجور وقطيعة الرحم، وإن كان باطلاً دفعته إليكم، فإن شئتم قتلتُموه وإن شئتم استحييتموه.وفقالوا: رَضينا ، وتعاقدوا على ذلك. إلاّ أنّهم نقضوا اتّفاقهم و نكثوا عهدهم لما شاهدوا وتأكدوا ما قاله النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بل ازدادوا شراً وعناداً، ورجع بنو هاشم مرّة أُخرى إلى الشِّعب محاصَرين فيه فترة أُخرى، حتى نقضها «هشام بن عمرو» فانتهى الحصار الاقتصادى لبنى هاشم فى منتصف شهر رجب من السنة العاشرة للبعثة النبوية الشريفة.

وإلى جانب ذلك، فإنّ أفراداً من المسلمين تعرّضوا لاِيذاء قريش وتحمّلوا أشدّ أنواع العذاب، واشتهر منهم:

۱. بلال الحبشى، الذى كان غلاماً لـ«أُميّة بن خلف» و هو أشدّ أعداء النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فعمد إلى تعذيب هذا الغلام انتقاماً و تشفياً من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أنّه تردد ـ أى أُميّة ـ من إلحاق الاَذى به (صلى الله عليه وآله وسلم) خوفاً من عشيرة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الحامية له.(۱)

۲. وعمار بن ياسر، الذى كان والده من السابقين إلى الاِسلام، فعمد المشركون إلى إيذائهم وتعذيبهم بعد ما انضموا إلى المسلمين، فكانوا يُخرِجون «عماراً وياسر وسمية» فى وقت الظهيرة ويبقونهم طويلاً تحت أشعة الشمس، حتى مات ياسر، كما طعن أبو جهل بالرمح سُميّة فى قلبها فماتت، فاعتُبرا أوّل

---

۱ . قتله بلال بالاِضافة إلى ابنه بعد أن أُسر فى معركة بدر.

(۷۹)

شهيدين فى الاِسلام.(۱)

أمّا عمّار فقد استخدم التقية للاِبقاء على نفسه، حيث تظاهر بترك الدين الاِسلامى حسب طلبهم، فانصرفوا عنه وتركوه. ولما ندم على فعله، طَمأنَه النبىُّ (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال له: «كيف تجد قلبك؟» قال: مطمئن بالاِيمان. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إن عادوا فَعُدْ».

۳. «عبد اللّه بن مسعود» الذى أبدى استعداداً للقيام بتلاوة القرآن جهراً على مسامع قريش فى المسجد الحرام، فقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمن الرَّحيم* الرَّحْمن* عَلَّم القُرآن) فقام إليه الجميع يضربونه فى وجهه وهو يقرأ حتى أُدمى جسمه ووجهه فتركوه، وهو مسرور بما عمله فى تمكين قريش من الاستماع إلى كتاب اللّه تعالى وآياته المباركة.(۲)

۴.وأبو ذر، أيضاً جاهر بالدين حين كان المسلمون يدعون سراً، فقد نادى فى المسجد: أشهد أن لا إله إلاّ اللّه وأنّ محمّداً عبده ورسوله.(۳) ويؤكد التاريخ أنّ نداءه هذا كان أوّل نداء تحدّى جبروت قريش وظلمها، أطلقه رجل غريب عن مكّة وأهلها. فهجم عليه جماعة من قريش وضربوه بشدّة حتى أنقذه«العباس بن عبد المطلب» من الموت. بحجّة أنّه من غفار، وتمر تجارة قريش على بلده، فخافوا على تجارتهم فأمسكوا عنه.

ولما لم يحن الوقتُ بعد للدخول فى مواجهات ساخنة مع المشركين، فإنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمره بأن يلحق بقومه

یدعوهم للاِسلام:«إلحق

---

۱ . بحار الاَنوار:۱۸|۲۴۱؛ السیرهٔ الحلبیهٔ:۱|۳۰۰.

۲ . السیرهٔ النبویهٔ:۱|۳۱۴.

۳ . حلیهٔ الاَولیاء: ۱|۱۵۸، طبقات ابن سعد:۴|۲۲۵؛ الاستیعاب:۴|۶۳.

(۸۰)

بقومک فإذا بلغک ظهوری فأتنی».

وقد تمکن من التأثیر فی قومه، فأسلم أبواه، ونصف رجال قبیلته ـ غفار ـ ثمّ أسلم ا لباقی بعد هجرهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) إلی المدینهٔ، ثمّ تبعتها قبیلهٔ «أسلم» التی وفدت علی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) واعتنقوا الاِسلام.

وقد التحق «أبو ذر» بالرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی المدینهٔ وأقام بها (۱) و هو أوّل المجاهرین بالاِسلام، ورابع أو خامس من أسلم، فکان من

السابقین والاَوّلین، الذین لهم مکانهٔ عظیمهٔ عند اللّه تعالی ومقاماً لا یضاهی_____.

۱ . الدرجات الرفیعهٔ:۲۲۵ـ ۲۳۰.

الفصل الرابع

الفصل الرابع موقف النبیّ (صلی الله علیه وآله وسلم)

من إیذاء الکفّار للمسلمین

ـ الهجرهٔ إلی الحبشهٔ

ـ الاِسراء والمعراج

ـ سفره (صلی الله علیه وآله وسلم) إلی الطائف

ـ المرحلهٔ الجدیدهٔ فی الدعوهٔ ونتائجها: بیعهٔ العقبهٔ

ـ الهجرهٔ الکبری

ـ الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی المدینهٔ (۸۲) (۸۳) مواجههٔ المسلمین أمام أفعال قریش

۱ . الهجرهٔ إلی الحبشهٔ

تعتبر هجرهٔ فریق من المسلمین إلی الحبشهٔ دلیلاً ـ بارزاً علی إیمانهم وإخلاصهم العمیق لدینهم وربّهم، فقد قرّر فریق من الرجال والنساء، بهدف الحفاظ علی عقیدتهم، والتخلّص من أذی قریش، والاِقامهٔ فی مکان آمن یقیمون فیه شعائرهم بحریهٔ ویعبدون اللّه الواحد، أن یغادروا مکهٔ إلی جههٔ تحقّق أهدافهم، فنصحهم النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بالاِتجاه إلی الحبشهٔ قائلاً: «لو خرجتم إلی أرض الحبشهٔ، فإنّ بها ملکاً لا یُظلم عنده أحد، وهی أرض صِدقٍ حتّی یجعل اللّه لکم فَرَجاً ممّا أنتم فیه».

لماذا اختار الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) تلک الاَرض؟ ویتضح السّر إذا درسنا أوضاع الجزیرهٔ العربیهٔ والمناطق المجاورهٔ لها. فالهجرهٔ إلی المناطق العربیهٔ التی سکنها المشرکون والوثنیون کانت تنطوی علی خطر کبیر علی هوَلاء الاَفراد من المسلمین، إذ أنّهم سیمتنعون عن قبولهم فی أرضهم إرضاءً لقریش أو وفاءً وتعصّباً لدین الآباء. وکذلک لم تصلح المناطق التی عاش بها الیهود

(۸۴)

والنصاری لذلک إذ أنّ الصراع المذهبی والطائفی کان شائعاً بینهما، فلم تکن الاَوضاع لتسمح بدخول طرف ثالث فی حلبهٔ الصراع،

کما أنّ هوَلاء الفریقین ـ الیهود والنصاری ـ کانوا یحتقرون العنصر العربی أساساً، ممّا یمنع التعایش معهم.

أمّا المناطق الخارجیهٔ، فإنّ الیمن کانت تحت حکم الفرس، الذین لم یقبلوا بدعوهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فیما بعد، حتی إنّ إمبراطور فارس طلب من عامله علی الیمن، القیام بالقبض علی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) وإرساله إلیه. وکذلک الحیرهٔ فقد کانت تحت النفوذ الاِیرانی وسیطرته. أمّا الشام فکانت بعیدهً عن مکّهٔ المکرّمهٔ، لم تصلح للجوء المسلمین إلیها، کما أنّها کانت سوقاً لقریش تربط سکانها بهم روابط وعلاقات وثیقهٔ، وهی علاقات اقتصادیهٔ قویهٔ.

ولذا فإنّ الفریق الموَمن غادر مکهٔ لیلاً فی غفلهٔ من المشرکین نحو میناء جدّهٔ للسفر عبر مینائها إلی أرض الحبشهٔ، حیث وصلوا فی الوقت الذی کانت فیه سفینتان تجاریتان علی أُهبهٔ الاِقلاع، فبادرالمسلمون إلی رکبوها لقاء نصف دینار عن کلّ راکب. وکان الفریق مکوناً من عشرهٔ أو خمسهٔ عشر شخصاً، بینهم أربع من النسوهٔ المسلمات، ولم یکونوا من قبیلهٔ واحدهٔ، بل انتمی کلّ واحد منهم إلی قبیلهٔ معینهٔ. وقد حدث ذلک فی شهر رجب فی السنهٔ الخامسهٔ من مبعث النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) .(۱)

و قد حاول المشرکون فی مکّهٔ اللحاق بهم، فبعثوا جماعهٔ من رجالهم لاِعادتهم إلی مکّهٔ، إلّا أنّ السفینهٔ کانت قد غادرت المیناء. وکان روَساء «دار الندوهٔ» بمکهٔ وأقطابها، یعلمون جیدا أضرار هذه الهجرهٔ وآثارها علی أوضاعهم،

---

۱ . بحار الاَنوار: ۱۸|۴۱۲.

ولذا اهتموا فی إعادتهم فوراً إلی دیارهم.

وقد تبعت هذه الهجرهٔ، خروج جماعهٔ أُخری بلغ عددها ۸۳ فرداً علی رأسهم: «جعفر بن أبی طالب » ابن عمّ الرسولحیث تمّت بحریّهٔ، وقد اصطحبوا فیها نساءهم وأولادهم،إلی أرض الحبشهٔ أیضاً. وقد وجد المسلمون أرضها کما وصفها النبی ص: عامرهً، وبیئهٔ آمنهٔ حرهٔ، تصلح لعبادهٔ اللّه تعالی بحرّیهٔ وأمان. وبیّنت «السیدهٔ أُمّ سلمهٔ» الوضع بقولها: «لما نزلنا أرض الحبشهٔ، جاورنا بها خیر جار، النجاشی، أمننا علی دیننا، وعبدنا اللّه تعالی، لا نُوَذی، ولا نسمع شیئاً نکرهه».

وقد حدثت هذه الهجرهٔ فی رجب من السنهٔ الخامسهٔ من النبوهٔ، وهی السنهٔ الثانیهٔ من إظهار الدعوهٔ، فأقاموا شعبان ورمضان، وقدموا فی شوال، لما بلغهم أنّ قریشاً أسلمت فعاد منهم قوم وتخلف آخرون.(۱) إلّا أنّ ذلک کان کذباً، فلم یدخل منهم مکّهٔ إلّاالقلیل، وعادت الاَکثریهٔ إلی الحبشهٔ ثانیهٔ. وکان ممّن دخل مکّهٔ منهم: «عثمان بن مظعون» الذی دخل بجوار الولید بن المغیرهٔ، ولکنّه ردّ علیه جواره فاختار جوار اللّه لیواسی المسلمین ویشارکهم آلامهم ومتاعبهم، ممّا جعله یتلقّی فیما بعد شیئاً من تعذیب الکفّار وأذیتهم فأصابوا عینه.

وحینما علمت قریش ما أصبح فیه المسلمون المهاجرون من أمن وحرّیهٔ ، ثار فیهم الحسد، وتوجّسوا خیفهٔ من نفوذهم هناک فی الحبشهٔ، التی اعتبرت أرضها الآن قاعدهٔ قویهٔ لهم، کما أنّهم تخوفوا من اعتناق نجاشی الحبشهٔ لدینهم، فیکسبوا تأییده، ممّا یدفعه إلی محاربهٔ مکّهٔ فیما بعد للقضاء علی حکومهٔ

---

۱ . الکامل فی التاریخ:۲|۵۲.

المشرکین الوثنیین فی شبه الجزیرهٔ العربیهٔ. ولذا فقد اجتمع الاَقطاب فی «دار الندوهٔ» للتشاور فی هذا الاَمر الخطیر، فاستقر رأیهم علی إرسال وفد منهم إلی البلاط الحبشی لاستمالهٔ القواد والوزراء بالهدایا القیمهٔ، لاِخراج المسلمین من أرضهم، فقد تحدّدت تعلیماتهم إلی رئیس الوفد: عمرو بن العاص، وعبد اللّه بن أبی ربیعهٔ: ادفعا إلی کلّ بطریقٍهدیته قبل أن تکلّما النجاشی فیهم، ثمّقدّما إلی

النجاشی هداياه، واسألاه أن يسلمهم إليكما قبل أن يكلّمهم.

وحينما توجّها إلى الملك الذی تقبّل الهدايا، قالا له: أيّها الملك إنّه قد ضوی ـ أی لجأ ليلاً ـ إلى بلدك منّا غلمان سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فی دينك،وجاءوا بدينٍ ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشرافُ قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردَّهم إليهم، فهم أبصر بهم وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

وقد شجعهم على قولهم هذا بطارقتُه الذين حصلوا على الهدايا من قبل، إلّا أنّ النجاشی الحكيم العادل رفض إجابهٔ مطالبهم دون أن يرجع إلى المسلمين فيری رأيهم. وعندما حضروا أمامه بقيادهٔ «جعفر بن أبی طالب » الناطق باسمهم، سأله الملك: ما هذا الدين الذی فارقتم فيه قومَكم ولم تدخلوا فی دينی ولا فی دين أحد من هذه الملل؟

فقال جعفر بن أبی طالب بعد أن وصف حالهم قبل الإسلام وكيف أنّ اللّه هداهم بالنبی (صلی الله عليه وآله وسلم) : وأمرنا أن نعبد اللّه وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاهٔ والزكاهٔ والصيام، فصدّقناه وآمنا به واتّبعناه على ما جاء به من اللّه، فعبدنا اللّه وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحلّ لنا،

(۸۷)

فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا إلى عبادهٔ الأوثان، وأن نستحلّ ما كنّا نستحلُّ من الخبائث، فلمّا قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا فی جوارك، ورجونا ألا نُظلَم عندك أيّها الملك.(۱)

وقد أثّرت كلمات «جعفر» البليغهٔ وحديثه العذب تأثيراً عجيباً فی نفس النجاشی حتی أغرورقت عيناه بالدموع،وخاصهٔ عندما قرأ عليه بعض الآيات القرآنيهٔ التی تخص عيسی و مريم «عليهما السلام» فبكی النجاشی وبكی أساقفتُه معه، وقال: «إنّ هذا والذی جاء به عيسی ليخرج من مشكاهٔ واحدهٔ»، ويقصد أنّ القرآن والإنجيل كلام اللّه و أنّهما شیء واحد. ثمّ التفت نحو موفدی قريش قائلاً: انطلقا فلا واللّه لا أسلمَهم إليكما.

إلّا أنّ «عمرو بن العاص» فكّر فی حيلهٔ جديدهٔ تخلّصهم من موقفهم السّیء والمخزی، وهی: أن يخبر الملك بما يسیء إلى المسيح (عليه السلام) فقال فی اليوم التالی للملك: إنّهم يقولون فی عيسی بن مريم قولاً عظيماً. ولكنَّ جعفراً أجاب الملك فی ذلك: نقول فيه الذی جاءنا به نبيّنا (صلی الله عليه وآله وسلم) ، هو عبد اللّه ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول. ممّا سرّالنجاشی و رضی به وقال: هذا واللّه هو الحقّ. وقال للمسلمين: اذهبوا فأنتم آمنون فی أرضی، من سَبَّكُم غُرِم، ما أحبّ أنّ لی دبراً من ذهب، وإنّی آذيت رجلاً منكم. ثمّ ردّعلی وفد قريش هداياهم قائلاً: فلا حاجهٔ لی بها، فواللّه ما أخذ اللّه منّی الرشوهٔ حين ردّ علیّ ملكی فآخذ الرشوهٔ فيه، وما أطاع الناس فیّ فأطيعهم فيه.(۲) لا فخرجوا من عنده خائبين مقبوحين_____.

۱ . أوّل الخطاب فی ص ۲۰ من الكتاب.

۲ . السيرهٔ النبويهٔ: ۱|۳۳۸؛ إمتاع الأسماع : ۲۱؛ بحار الأنوار: ۱۸|۴۱۴.

(۸۸) ۲. الإسراء والمعراج

بدأ النبی (صلی الله عليه وآله وسلم) رحلته الفضائيهٔ من بيت «أُمّ هانیَ» أُخت الإمام علی (عليه السلام) (۱) إلى بيت المقدس فی فلسطين، والّذی يسمّی المسجد الأقصی، وتفقّد بيت لحم مسقط رأس السيّد المسيح (عليه السلام) ومنازل الأنبياء وآثارهم، وصلّی عند كلّ محراب ركعتين. ثمّ بدأ فی القسم الثانی من رحلته، المعراج إلى السماوات العلی، فشاهد النجوم والكواكب، واطّلع على نظام العالم العلوی، وتحدّث مع أرواح الأنبياء والملائكهٔ، واطلع على مراكز الرحمهٔ والعذاب ـ الجنّهٔ والنار ـ ورأی درجات أهل الجنّهٔ، و تعرّف على أسرار الوجود و رموز الطبيعهٔ، ووقف على سعهٔ الكون وآثار القدرهٔ الإلهيهٔ المطلقهٔ، ثمّ واصل رحلته حتی بلغ سدرهٔ المنتهی، فوجدها مسربلهٔ بالعظمهٔ المتناهيهٔ والجلال العظيم. وهنا كان قد انتهی برنامج الرحلهٔ، فأُمر بالعودهٔ من حيث أتی، فمرّ فی

طریق عودته، علی بیت المقدس ثانیهٔ، ثمّ توجه نحو مکّهٔ، مارّاً علی قافلهٍٔ تجاریهٍٔ خاصّهٔ بقریش، وبعیرٌ لهم قد ضلّ فی البیداء یبحثون عنه، وشرب من مائهم، ثمّ ترجّل عن مرکبته الفضائیهٔ ـ البراق ـ فی بیت اُمّ هانیَ، قبل طلوع الفجر. فأخبرها بما حدث، کما کشف عنه فی أندیهٔ قریش صباح نفس تلک اللیلهٔ. إلّا أنّ قریشاً کعادتها کذّبته وأنکرته، علی أساس عدم استطاعهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) القیام بذلک فی لیلهٔ واحدهٔ، وطلبوا منه أن یصف بیت المقدس، فوصفه النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وصفاً شاملاً، مع ما شاهده فی الطریق، وخاصهٔ

---

۱ . مجمع البیان:۶|۳۹۵؛السیرهٔ النبویهٔ:۱|۳۹۶.

(۸۹)

عیر قریش، التی أکد لهم بأنّها الآن فی موقع التنعیم، فلم تمض لحظات حتی طلعت علیهم العیر، فحدّثهم أبو سفیان بکلّما أخبرهم به الرسول من ضیاع بعیرهم فی الطریق والبحث عنه.(۱)

وقد اختلفت الاَقوال عن وقت حدوث الاِسراء والمعراج، فادّعی «ابن هشام و ابن إسحاق» انّه وقع فی السنهٔ العاشرهٔ من البعثهٔ الشریفهٔ، وذهب المورّخ «البیهقی» انّه حدث فی السنهٔ الثانیهٔ عشرهٔ منها، بینما قال آخرون إنّه وقع فی أوائل البعثهٔ، فی حین أنّ فریقاً رابعاً أکد وقوعه فی أواسطها.وربما یقال فی الجمع بین هذه الاَقوال انّه کان لرسول اللّهمعارج متعدّدهٔ.

وهناک اعتقاد أنّ المعراج الذی فرضت فیه الصلاهٔ وقع بعد وفاهٔ أبی طالب (علیه السلام) فی السنهٔ ۱۰ من البعثهٔ. والذین تصوّروا أنّالمعراج وقع قبل هذه السنهٔ مخطئون، لاَنّ النبی ص کان محصوراً فی شعب أبی طالب منذ عام ۸ وحتی ۱۰، فلم یکن المسلمون مستعدّین لوضع التکالیف علیهم. و أمّا سنوات ما قبل الحصار، فعلاوهٔ علی ضغوط قریش علی المسلمین، والتی کانت مانعاً من فرض الصلاهٔ علیهم، فإنّ المسلمین کانوا قلّهٔ، ولم یکن نور الاِیمان وأُصول الاِسلام قد ترسخت بعد فی قلوب ذلک العدد القلیل، ولذا یستبعد أن یکونوا قد کلّفوا بأمرٍ زائدٍ مثل الصلاهٔ فی مثل تلک الظروف.

أمّا ما ورد فی بعض الاَخبار والروایات، بأنّ الاِمام علیّاً (علیه السلام) صلّی مع الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) قبل البعثهٔ بثلاث سنوات، فلیس المراد منها الصلاهٔ المکتوبهٔ، بل کانت عبارهٔ عن عبادهٍٔ خاصهٍٔ غیر محدّدهٔ، أو کان المراد

---

۱ . بحار الاَنوار: ۱۸|۲۸۳و ۴۱۰.

(۹۰)

منها الصلوات المندوبهٔ والعبادات غیر الواجبهٔ.(۱)

وأمّا بالنسبهٔ لما قیل وذکر عن معراج النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) جسمانیاً أو روحانیاً، فقد قیل فیه الکثیر، بالرغم من أنّ القرآن الکریم والاَحادیث النبویهٔ توَکّد أنّ ذلک حدث جسمانیاً، إلّا أنّ بعض الآراء تری أنّذلک وقع روحانیاً، أی أنّ روح النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) طافت فی تلک العوالم ثمّ عادت إلی جسده (صلی الله علیه وآله وسلم) مرّهٔ اُخری، وذهب آخرون إلی أنّ کلّ ذلک حدث فی عالم الروَیا، وروَیا الاَنبیاء صادقهٔ.(۲) وربما دلّ تکذیب قریش وانزعاجها واستنکارها لحدیث الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) علی أنّذلک حدث جسمانیاً. وإذا کان المراد من المعراج الروحانی هو التفکیر فی عظمهٔ الحقّ وسعهٔ الخلق والتدبیر فی مخلوقات اللّه ومصنوعاته ومشاهدهٔ جماله وجلاله، فلا شکّ أنّ ذلک لیس من خصائص رسولنا الاَکرم (صلی الله علیه وآله وسلم) بل إنّ کثیراً من الاَنبیاء والاَولیاء امتلکوا هذه المرتبهٔ ، بینما أعتبره القرآن الکریمُ من خصائصه (صلی الله علیه وآله وسلم) ونوع من الامتیاز الخاصّ بهص. کما أنّحالهٔ التفکیر فی عظمهٔ الخالق والاستغراق فی التوجه إلیه، کانت تتکرر للرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» فی کلّ للیلهٔ، ولیس لیلهٔ بعینها کما جری وحدث فی المعراج.

أمّا فی العلم الحدیث، فإنّ القوانین الطبیعیهٔ والعلمیهٔ الحالیهٔ لا تتلاءم مع معراج النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وذلک للأسباب التالیهٔ:

۱. إنّ الابتعاد عن الأرض یتطلب التخلّص من جاذبیتها، أی إبطال مفعولها، والنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) کان قد خرج عن محیط الجاذبیهٔ وأصبح فی حالهٔ انعدام الوزن، فکیف تمکن أن یطوی هذه المسافات بدون الوسائل

---

۱ . یراجع فی ذلک الکافی:۳|۴۸۲.

۲ . نقل العلاّمهٔ الطبرسی فی تفسیر مجمع البیان إجماع علماء الشیعهٔ علی جسمانیهٔ المعراج:۶|۳۹۵.

(۹۱)

والأدوات اللازمهٔ، وعدم توافر الغطاء الواقی، الذی یصون الجسم من التبعثر والذوبان بفعل السرعهٔ الهائلهٔ؟

۲. و کیف تمکن من العیش و الحیاهٔ فی أعالی الجو بدون وجود أوکسجین؟

۳. و کیف تمکن أن یصون نفسه من الأشعهٔ الفضائیهٔ والأحجار السماویهٔ؟

۴. و إذا کان الإنسان یعیش تحت ضغط معین من الهواء لا یوجد فی الطبقات العلیا من الجو، فکیف حافظ علی حیاته هناک؟

۵. لا یستطیع أیّ جسم أن یتحرّک بسرعهٔ تفوق سرعهٔ النور، التی هی ۳۰ ألف کم فی الثانیهٔ، فکیف استطاع النبیالسیر بتلک السرعهٔ الهائلهٔ ویرجع إلی الأرض سالمَالجسم؟!

و الجواب علی ذلک سهل ویسیر، فإنّ البشر استطاع بأدواته وآلاته العلمیهٔ والتکنولوجیهٔ أن یعالج مشکلات عدیدهٔ فی مجال ارتیاد الفضاء، مثل مشکلهٔ الأشعهٔ الفضائیهٔ وانعدام الغاز اللازم للتنفس، کما أنّ العلماء یخطّطون للعیش علی سطح الکواکب کالقمر والمریخ، وبذا فإنّ العلم یؤکّد سهولهٔ ارتیاد الفضاء وعدم استحالته، فإذا کان البشر فی إمکانه أن یقوم بذلک عن طریق الأدوات والآلات العلمیهٔ، فإنّ الأنبیاء یمکنهم فعلَها بواسطهٔ قدرهٔ اللّه سبحانه و تعالی وفعله. فالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عرج بعنایهٔ وقدرهٔ اللّه الذی خلق الوجود کلّه، وأقام هذا النظام البدیع. فجمیع العلل الطبیعیهٔ والموانع الخارجیهٔ مسخَّرهٔ للّه تعالی وخاضعهٔ لإرادته، ومطیعهٔ لأمره. وکأنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) یخبر البشریهٔ وحتی الّذین یعیشون فی هذا القرن: إنّنی فعلت هذا بدون أیّهٔ وسیلهٔ، وإنّ ربّی قد منّ علیّوعرّفنی علی نظام السماوات والأرض، وأطلعنی بقدرته وعنایته علی أسرار الوجود و رموز الکون.

(۹۲)

وقال الإمام موسی الکاظم (علیه السلام) فی ذلک: «إنّ اللّه یوصَف بمکان ولا یجری علیه زمان، ولکنّه عزّ وجلّ أرادَ أن یشرف به ملائکته وسکان سماواته، ویکرمهم بمشاهدته، ویریه من عجائب عظمته ما یخبر به بعد هبوطه، ولیس ذلک علی ما یقوله المشبِّهون ، سبحان اللّه تعالی عمّا یصفون».(۱) ۳. سفر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) إلی الطائف

توفیت السیدهٔ خدیجهٔ(علیها السلام) بعد وفاهٔ أبی طالب، بشهر وخمسهٔ أیّام، فی السنهٔ العاشرهٔ من البعثهٔ.(۲) وهی التی سمّاها الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» عام الحداد أو الحزن. ومنذ هذا الوقت واجه (صلی الله علیه وآله وسلم) ظروفاً صعبهٔ قاسیهٔ قلّما واجهها من قبل. فقد اصطدم منذ بدایهٔ السنهٔ الحادیهٔ عشرهٔ بأحوال قاسیهٔ مفعَمهٔ بالعداء والحقد والأخطار التی هدّدت حیاته الشریفهٔ، بل افتقاد إمکانیهٔ نشر الدعوهٔ.فلمّا هلک أبو طالب، نالت قریش من رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) من الأذی ما لم تکن تطمع به فی حیاهٔ أبی طالب، حتی اعترضه سفیهٌ من سفهاء قریش فنثر علی رأسه تراباً. وفی البیت عندما بکت ابنته علی وضعه هذا قال: «ما نالت منّی قریش شیئاً أکرهه حتی مات أبو طالب».(۳)

وقد دفع هذا الأمر المتردّی، أن یبحث الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) عن بیئهٔ أُخری أفضل من بیئته لنشر الدعوهٔ فیها، فاختار الطائف التی کانت تعتبر مرکزاً هاماً آنذاک،فقرر السفر إلیها وحیداً لمقابلهٔ زعماء ثقیف، لعلّه یکسب نجاحاً فی مهمته أو أنصاراً

جدداً_____.

۱ . علل الشرائع:۵۵؛ البحار:۱۸|۳۴۷؛ تفسیر البرهان:۲|۴۰۰.

۲ . تاریخ الخمیس:۱|۳۰۱.

۳ . السیرهٔ النبویهٔ:۱|۴۱۵، بحار الاَنوار: ۱۹|۵.

(۹۳)

إلاّ ـ أنّ عرضه لم یوَثر فیهم، بل إنّهم ردّوا علیه بصبیانیهٔ أوضحت تملّصهم من قبول الدعوهٔ أو اعتناق الدین، بل أنّهم تمادوا فی سلوکهم العدوانی فأحاط به جمعٌ کبیر منهم یسبّونه ویصیحون به، فالتجأ إلی بستان «عتبهٔ وشیبهٔ ابنی ربیعهٔ» للتخلّص من هوَلاء السفهاء، وعمد إلی ظل جلس فیه وهو یتصبب عرقاً، فقد ألحقوا الاَذی بمواضع عدیدهٔ من بدنه الشریف، کما أنّ رجلیه سالت منهما الدماء، ولما دعا اللّه سبحانه وتعالی أن یعینه علی هوَلاء الاَشرار، فقد تقدّم إلیه ابنا ربیعهٔ ـ اللّذان کانا ینظران إلیه و یریان ما لقی من سفهاء أهل الطائف ـ بطبق من عنب قدمه إلیه (صلی الله علیه وآله وسلم) غلام لهما اسمه «عداس النصرانی» من أهل نینوی، فلمّا رأی ما یعلمه الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) من علوم عن المسیح (علیه السلام) أسلم علی یدیه.

إلاّ أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لم یتمکن من الرجوع إلی مکّهٔ بسهولهٔ، حیث خاف أذی المشرکین، ممّا جعله یترک «نخلهٔ» وهی واد بین الطائف ومکهٔ، إلی حراء، فالتقی رجلاً ـ من بنی خزاعهٔ طلب منه أن یخبر «المطعم بن عدی» بحالته، ویسأله أن یجیر رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) حتی یدخل مکهٔ فی أمان.

ورغم أنّ «المطعم» کان وثنیاً، إلاّ أنّه قبل أن یجیره «صلی الله علیه وآله وسلم» فدخل الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) مکهٔ لیلاً، ونزل فی بیت «مطعم» و بات فیه، ثمّ دخل فی الصباح مع أهل بیته إلی المسجد الحرام ثمّ إلی منزله.(۱)

ولم ینس الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) عمله الطیب هذا، بل تذکّره حتی بعد وفاهٔ المطعم، إذ أنّه أعلن فی معرکهٔ بدر عن استعداده للاِفراج عن جمیع

_____

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۱|۳۸۱؛ بحار الاَنوار: ۱۹|۷.

(۹۴)

الاَسری لو کان حیّاً، تقدیراً لما قام به من إجارهٔ وخدمهٔ کبیرهٔ له.

وکان النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) یستخدم کلّوسیلهٔ وطریقهٔ لنشر دعوته، فکان یقوم بالدعوهٔ فی کلّوقت وکلّ مکان، منتهزاً الفرص المناسبهٔ لذلک، مثل استغلاله لاَسواق العرب الشهیرهٔ: عکاظ والمجنهٔ وذی المجاز، حیث کان الخطباء والشعراء یقفون فیها لیلقوا ما عندهم من شعر وخطب، وفکان النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) یقف علی مکان مرتفع خاطباً: «قولوا لا إله إلاّاللّه تفلحوا، وتملکوا بها العرب، وتذلّ لکم العجم، وإذا آمنتم کنتم ملوکاً فی الجنهٔ».(۱)

کما أنّه کان یلتقی فی مواسم الحج بروَساء القبائل وأشرافها یعرض علیهم دینه، ویدعوهم إلی اللّه سبحانه، ویخبرهم بأنّه نبی مرسل، ویقول ابن هشام فی ذلک: کان (صلی الله علیه وآله وسلم) لا یسمع بقادم من العرب إلی مکهٔ له اسم وشرف إلاّتصدّی له فدعاه إلی اللّه وعرض علیه ما عنده_____.

۱ . طبقات ابن سعد: ۱|۲۱۶.

(۹۵) المرحلهٔ الجدیدهٔ فی الدعوهٔ و نتائجها الموَثرهٔ ۴. بیعهٔ العقبهٔ

سکنت یثرب قبیلتا الاَوس والخزرج فی القرن الرابع المیلادی یعد هجرتهم من الیمن، وهم من القحطانیین . کما سکن بجانبهم الیهود القادمین من شمال الجزیرهٔ العربیهٔ. وکثیراً ما کان یحضر منهم جماعهٔ إلی مکّهٔ، فکان النبییلتقی بهم ویتصل معهم عارضاً علیهم دینه،

وقد كان لهذه اللقاءات والاتّصالات أثرها فيما بعد ودافعاً لهجرة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى يثرب، فقد كان حجاجهم ينقلون أخباره (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أهاليهم، ممّا مكنهم التعرف عليه وعلى أهدافه. وقد تمّت تلك الاتّصالات فيما بين سنوات ١١، ١٢، ١٣ من البعثة.

ومن أشهر من تشرّف بمقابلة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : «سويد بن الصامت» الذى أسلم ونشر الإسلام بين قومه، إلّا أنّ الخزرج قتلته قبل يوم بعاث.(١) و «إياس بن معاذ» الذى رأى فى إسلام أهله تخلّصاً من النزاع والتناحر بينهم، ليصبحوا بفضل الدين الجديد إخوة تزول بينهم أسباب العداء والقتال.

وكذلك تمّت مبايعة ستة أفراد من الخزرج والإيمان به وبالإسلام:إنّا قد

---

١ . بعاث، موضع جرت فيه حرب بين الأَوس والخزرج.

تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشرّ مثل ما بينهم، فعسى أن يجمعهم اللّه بك، فسنقدم عليهم فندعوهم إلى أمرك،ونعرض عليهم الذى أجبناك إليه من هذا الدين، فإن يجمعهم اللّه عليه، فلا رجل أعزّمنك.(١)

وكان لهوَلاء تأثيرهم الإيجابى فى أهل يثرب، حيث أسلم عددٌ منهم، وقدم فى السنة التالية ١٢ من البعثة، اثنا عشر رجلاً منهم، عقدوا مع النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» بيعة العقبة، وهى أوّل بيعة فى الإسلام، وكان أبرزهم: أسعد بن زرارة، وعبادة الصامت.

وكان نصّ البيعة، بعد الاعتراف بالإسلام والإيمان باللّه وبرسوله: «بايعنا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) على ألّا نشرك باللّه شيئاً، ولا نسرق ولا نزنى،ولا نقتل أولادنا، ولا نأتى ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولا نعصيه فى معروف» ويرد عليهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إن وفيتم فلكم الجنة، وإن غشيتم من ذلك شيئاً فأمركم إلى اللّه عزّوجلّ، إن شاء عذّب وإن شاء غفر».

وطلبوا من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يرسل إليهم من يعلّمهم القرآن والدين، إذ أنّهم نشطوا فى نشر الإسلام بعد عودتهم إلى يثرب، فبعث إليهم: «مصعب بن عمير» الداعية النشط الذى تمكن من أن يجمع المسلمين فى غياب الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويوَمهم ويصلّى بهم.(٢)

وهكذا فقد أحدث تقدُّم الإسلام فى يثرب، هيجاناً كبيراً، وشوقاً عجيباً فى نفوس المسلمين من أهلها، فانتظروا حلول موسم الحجّ للإلتقاء بالرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» ، فخرجت قافلة كبيرة منهم ضمت ٥٠٠ نفر، فيهم ٧٣ مسلماً

---

١ . تاريخ الطبرى:٢|٨۶؛ السيرة النبوية: ١|۴٢٧؛ بحار الأَنوار: ١٩|٢۵.

٢ . السيرة النبوية:١|۴٣۴؛ بحار الأَنوار: ١٩|٢۵.

بينهم امرأتان، فالتقوا بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى واعدهم بالعقبة:«موعدكم العقبة فى الليلة الوسطى من ليالى التشريق»، وهى الليلة ١٣ من شهر ذى الحجّة، فاجتمع بهم مع عمّه «العباس بن عبد المطلب» بعد أن مضى ثلث الليل ونام الناس، حتى لا يشعروا بخروجهم.

فتكلّم فيهم العباس قائلاً: إنّمحمّداً منّا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا، فهو فى عزّمن قومه ومنعة فى بلده، وإنّه قد أبى إلّا الانحياز إليكم واللحوق بكم، فإن كنتم ترون أنّكم وافون له بما دعوتموه إليه، ومانعوه ممّن خالفه، فأنتم وما تحملتم من ذلك، وإن كنتم ترون أنّكم مسلّموه وخاذلوه بعد الخروج إليكم، فمن الآن فدعوه، فإنّه فى عزّومنعة من قومه وبلده.

ثمّتكلّم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فتلا القرآن ودعا إلى اللّه ورغّب فى الإسلام ثمّ قال: «أبايعكم على أن تمنعونى ممّا

تمنعون منه نساءکم وأبناءکم». فبایعوه علی ذلک و هم فی حماس وسرور عظیم.

کما أنّالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عاهدهم علی أن یبقی معهم، ویکون بجانبهم فی سلمهم وحربهم: «أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم» ثمّ قال لهم: «أخرجوا إلیّمنکم اثنی عشر نقیباً لیکونوا علی قومهم بما فیهم». فأخرجوا منهم اثنی عشر نقیباً، فقالص: «أنتم علی قومکم بما فیهم کفلاء ککفالهٔ الحواریین لعیسی بن مریم، وأنا کفیل علی قومی ـ أی المسلمین ـ فأُبایعکم علی أن تمنعونی ممّا تمنعون نساءکم وأولادکم». فقالوا: نعم. فبایعوه علی ذلک».

وکان النقباء ، ۹ من الخزرج و۳ من الاَوس، وقد انفضّ الجمع بعد ذلک، بعد أن وعدهم الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یهاجر إلیهم فی الوقت المناسب.(۱_____)

۱ . بحار الاَنوار: ۱۹|۲۵؛السیرهٔ النبویهٔ:۱|۴۴۱؛طبقات ابن سعد:۱|۲۲۱.

(۹۸)

أمّا بخصوص قبول أهل یثرب الدین الاِسلامی أسرعَ من أهل مکّهٔ الذین رفضوه خلال ثلاثهٔ عشر عاماً، فإنّ هناک عاملین هامین کان لهما التأثیر المباشر القویّ فی ذلک:

۱. وجود الیهود بالمدینهٔ، وقیامهم بنشر الاَخبار عن ظهور نبی جدید ودین جدید، ممّا هیّأ أهلها لقبول هذا الدین الذی کانوا ینتظرونه، الاَمر الذی جعلهم أسرع فی تقبلهم للدعوهٔ خلال البیعهٔ الاُولی، حین قال بعضهم لبعض: واللّه إنّه للنبیّ الذی توعّدکم به الیهود فلا یسبقنکم إلیه.

۲. کما أنّالحروب الطویلهٔ التی جرت بین أطراف أهل یثرب، والتی استمرت مائهٔ وعشرین عاماً، قد أنهکتهم وکادت أن تذهب بما تبقّی من رمقهم، فملّوا الحیاهٔ، وفقدوا کلّأمل فی تحسن الاَحوال والاَوضاع، فبحثوا عن مخلّص لما هم فیه من حالهٔ سیئهٔ ومشکلات مزمنهٔ. ولهذا تمنّوا أن یضع النبی ص حداً لاَوضاعهم المتردیهٔ فقالوا: «عسی أن یجمعهم اللّه بک، فإن جمعهم اللّه بک فلا رجل أعزّ منک».

وقد أحدث کلّذلک خوفاً عجیباً فی قلوب قادهٔ قریش وسادهٔ مکهٔ المشرکین المتغطرسین، إذ أنّ ذلک یعنی أنّالمسلمین وجدوا قاعدهٔ قویهٔ فی قلب الجزیرهٔ العربیهٔ، تجمع کلّ طاقات المسلمین المبعثرهٔ، و تعمل معاً فی نشر دینهم وعقیدتهم، ممّا سیشکل خطراًجدیداً یهدّدهم فی الصمیم،ولهذا بادَرتْ قریشٌ فی الاتّصال بالخزرجیّین للاستفسار عمّا حدث فی العقبهٔ. فحلف لهم المشرکون من أهل یثرب أنّه لم یحدث ما یوَذیهم أو یهدد مصالحهم،ولم یعلموا عنه، وهم فی قولهم صادقون، إذ أنّهم لم یعلموا بما حدث فی العقبهٔ.

وحاولوا إلقاء القبض علیهم قبل خروجهم من مکّهٔ، إلّا أنّهم کانوا قد

(۹۹)

توجهوا قبل ذلک نحو المدینهٔ، فظفروا بـ«سعد بن عبادهٔ» الذی تولّوا ضربه بعد ربط یدیه إلی عنقه، حتی خلّصه منهم: «المطعمُ بن عدی».(۱)

وفی المدینهٔ المنورهٔ، کان قد أسلم فیها کلُّ قبیلهٔ «بنی عبد الاَشهل» قبل أن یروا النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فأصبحوا من الدعاهٔ إلی الاِسلام والمدافِعین عن عقیدهٔ التوحید، بفضل نشاط الدعاهٔ: مصعب بن عمیر، وأسعد بن زرارهٔ، اللّذین أثّرا فی إسلام قادهٔ القبیلهٔ: أُسید بن حضیر وسعد بن معاذ، ثمّ إسلام الباقی.(۲)

وعندما اشتدّإیذاء قریش للمسلمین بعد إسلام جماعهٔ من أهل یثرب، طلب بعضُهم النجاهٔ بنفسه والهجرهٔ إلی أیّمکان، فاستمهلهم الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» وقال: «لقد أخبرت بدار هجرتکم وهی یثرب، فمن أراد الخروج فلیخرج إلیها».(۳)

وبذا فقد ترک المسلمون مکّهٔ وهاجروا إلی المدینهٔ تدریجیاً، حتّی لا تعلم بهم قریش، إلّا أنّ زعماءها فطنوا لسرهم، فمنعوا السفر والتنقل لاَیّ مسلم، وإعادهٔ کلّ من وجدوه أثناء الطریق، وحبس زوجهٔ کلّ مسلم أراد الهجرهٔ. ولکن لحسن الحظ، لم یثمر کلّ ذلک،

فإنّ معظم المسلمين تمكّنوا من الفرار والهجرة إلى يثرب، ما عدا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والإمام على (عليه السلام) و أبو بكر، وعدد قليل من المسجونين والمرضى من المسلمين. حتى حان الوقت الذى أقرّ فيه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الهجرة من مكة فى شهر ربيع الأوّل من السنة ١٣ من البعثة النبوية المباركة. ۵. الهجرة الكبرى

اجتمع روَساء قريش فى دار الندوة، للتشاور فيما حدث أخيراً، من تجمع

---

١ . السيرة النبوية:١|۴۴٩.

٢ . إعلام الورى :۵٩؛ بحار الأنوار:١٩|١٠.

٣ . طبقات ابن سعد:١|٢٢۶.

(١٠٠)

القوى والعناصر الإسلامية وتمركزها فى المدينة، فاتّخذوا قراراً قاطعاً وحاسماً وخطيراً، وهو القضاء على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والتخلص منه بقتله، بواسطة اشتراك جميع القبائل فى هذا العمل الإجرامى حيث قال المقترح: فتختاروا من كلّ قبيلة رجلاً قوياً ثمّتسلحوه حساماً عضباً،وليهجموا عليه بالليل ويقطّعوه إرباً إرباً، فيتفرّق دمه فى قبائل قريش جميعها، فلا يستطيع بنو هاشم و بنو المطلب مناهضة قبائل قريش كلّها فى صاحبهم، فيرضون حينئذٍ بالدية منهم. فاستحسن الجميع هذا الرأى واتّفقوا عليه، ثمّ اختاروا القَتَلَة، على أن يوَدّوا مهمتهم بالليل أثناء الظلام.(١)

إلاّ أن جبرائيل (عليه السلام) نزل على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبلغه بموَامرة المشركين فقرأ عليه قول اللّه تعالى: (وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيثبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يخرجُوكَ وَيمكرونَ وَيَمْكرُ اللّهُ واللّهُ خيْر الماكِرين) .(٢)

ثمّ إنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قرر أن ينام شخص فى فراشه ليتصوّر المشركون أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) موجود فى منزله لم يبرحه، فيرتكز عملهم على محاصرة البيت دون الاهتمام بمراقبة الطرقات فى نواحى مكة. فنام الإمام على (عليه السلام) فى فراش النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وحاصر المنزل أربعون فرداً من قريش، وخرج النبى ص من الباب دون أن يشعر به أفراد قريش المكلّفون بقتله، حينما قرأ (صلى الله عليه وآله وسلم) سورة «يس» إلى قوله: (فَهُمْ لا يُبْصِرُون) . وخروج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذه الصورة والكيفية، فسّره البعض بأنّ القوم المحاصرين كانوا نياماً لحظة خروجه، إلاّ أنّ آخرين يرون إنّه خرج من البيت عن طريق الإعجاز والكرامة دون أن يروه ويحسّوا به.

وقبيل طلوع الفجر عند ساعة الصفر، هجم المتآمرون على فراش النبى

---

١ . طبقات ابن سعد: ١|٢٢٧؛ السيرة النبوية:١|۴٨٠.

٢ . الأنفال:٣٠. ليثبتوك: ليسجنوك.

(١٠١)

(صلى الله عليه وآله وسلم) ففوجئوا بوجود الإمام على (عليه السلام) يكشف عن نفسه، فغضبوا وندموا على انتظارهم الطويل حتّى الفجر، ولاموا أبا جهل الذى منعهم من دخول البيت فحمّلوه مسوَولية فشل الخطة، ولكنّهم أسرعوا فى وضع خطه جديدة لترتيب أمر ملاحقته والقبض عليه.

وكان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبو بكر قد أمضيا ليلة الهجرة وليلتين أُخريين فى غار ثور الواقع فى جنوب مكة، وذلك ليعمّى على قريش فلا يتبعوا أثره، إذ أنّ الطريق إلى المدينة يقع فى شمال مكّة.

وبالنسبة إلى مصاحبة أبى بكر للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فهى مسألة تاريخية غامضة، فيعتقد البعض أنّها كانت بالصدفة، أى أنّه

تقابل معه فی الطریق فاصطحبه معه إلی غار ثور، بینما یری آخرون أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ذهب فی نفس اللیلهٔ إلی منزل أبی بکر فخرجا فی منتصف اللیل إلی الغار.(۱) فی حین أنّفریقاً ثالثاً یذهب إلی أنّ أبا بکر جاء إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فأرشده الإمام علی (علیه السلام) إلی مخبأ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) .

أمّا قریش فقد بادرت إلی بثّ العیون والجواسیس فی طرقات مکّهٔ، ومراقبهٔ مداخلها ومخارجها، وبعثت القافلهٔ تقتص أثره ص فی کلّمکان وخاصهٔ طریق مکهٔ ـ المدینهٔ، کما عیّنت مائهٔ من الإبل جائزهٔ لمن یقبض علیه «صلی الله علیه وآله وسلم» ویردّه إلیهم، أو لمن یأتی عنه بخبر صحیح.

وقد تمکّن المتتبعون لأثر قدم الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) من الوصول إلیه عند باب الغار، إلاّ أنّهم استبعدوا وجودهما فیه، نظراً لنسج العنکبوت وبیض الحمام. فاستمرّت محاولات البحث ثلاثهٔ أیّام بلیالیها دون جدوی_____.

۱ . تاریخ الطبری:۲|۱۰۰.

وقد تردّد علی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) خلال تواجده فی الغار: علی (علیه السلام) وهند بن أبی هالهٔ (ابن خدیجهٔ) حسب روایهٔ الشیخ الطوسی فی أمالیه، وعبد اللّه بن أبی بکر وعامر ابن فهیرهٔ راعی أغنام أبی بکر، حسب روایهٔ کثیر من المورّخین.

والنقطهٔ الهامهٔ فی هذه القضیهٔ هی مفاداهٔ الإمام علی (علیه السلام) النبیّ بنفسه. وتعریض حیاته لخطر الموت فی سبیل الدین والإسلام وحیاهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ، فهو نموذج رائع من الحبّ الحقیقی للحقّ، وقد مدحه اللّه تعالی فی کتابه العظیم قائلاً: (وَمِنَ النّاسِ مَنْ یَشْرِی نَفْسَهُ ابْتِغاء مَرْضاتِ اللّهِ وَاللّهُ رءُوفٌ بِالْعِباد) .(۱)

وقد دفعت هذه العملیهٔ التضحویهٔ الکبری کبار علماء الإسلام إلی اعتبارها واحدهٔ من أبرز وأکبر فضائل الإمام (علیه السلام) وإلی وصفه بالفداء والبذل والإیثار، واعتبار الآیهٔ المذکورهٔ فی شأنه من المسلمات قلّما بلغ الحدیث فی التفسیر والتاریخ إلیها.(۲)

وقد طلب النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) من الإمام علی (علیه السلام) أن یبتاع بعیرین له ولصاحبه، فقال أبو بکر: قد کنت أعددتُ لی ولک یا نبی اللّه راحلتین نرتحلهما إلی یثرب، فدفع إلیه الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) ثمنهما.(۳)

کما أوصی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) علیاً (علیه السلام) بأن یوَدّی أمانته علی أعین الناس، وأمره بترتیب رحلهٔ الفواطم: فاطمهٔ الزهراء(علیها السلام) ، وفاطمهٔ بنت أسد أُمّ الإمام علی (علیه السلام) وفاطمهٔ بنت الزبیر، ومن یرید الهجرهٔ معه من بنی هاشم إلی یثرب، وما یحتاجون له من زاد وراحلهٔ_____.

۱ . البقرهٔ:۲۰۷.

۲ . مسند أحمد:۱|۸۷؛ کنز العمال:۶|۴۰۷؛ الغدیر:۲|۴۷.

۳ . الکامل:۲|۷۳؛ السیرهٔ الحلبیهٔ:۲|۵۳.

وقد هیّأ الإمام (علیه السلام) أوّلاً ـ ثلاث رواحل ودلیلاً أمیناً یدعی «أریقط» للترحال إلی المدینهٔ، فخرج النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) مع صاحبه متوجهَین إلی یثرب سالکَین الخط الساحلی.

ومن هذه اللیلهٔ یبدأ تاریخ المسلمین، حیث بدأوا یقیسون کلّ ما یقع من الحوادث بذلک العام فیحددون تاریخه وزمان حدوثه.

ففی العام الأوّل للهجرهٔ، حقق المسلمون انتصاراً عظیماً وباهراً، وتأسّست لهم فیه حکومهٔ مستقلهٔ، وتخلّصوا من التشرذم والتبعثر، وتمرکزت قواهم وعناصرهم فی نقطهٔ واحدهٔ وبیئهٔ حرهٔ، لا أثر فیها للکبت والاضطهاد، ممّا جعلهم لکلّ ذلک یتخذون هذا العام مبدأ لتاریخهم.

فالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بنفسه جعل التاریخ الهجری، وإنّ أی إعراض وتجاهل له واختیار تاریخ آخر مکانه، إعراض عن

سنة رسول الإسلام الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) ومخالفة لما رسمه للمسلمين. وأمّا ما اشتهر بين المؤرّخين من أنّ الخليفة «عمر بن الخطاب» هو الذى جعل هجرة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مبدأ للتاريخ باقتراح وتأييد الإمام على (عليه السلام) فهو غير صحيح، لأنّ شيئاً من الإمعان والتبصّر فى مراسلات النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» ومكاتباته المدرجة فى كتب التاريخ والسيرة والحديث، تثبت أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو الذى اعتمد تلك الحادثة الكبرى كمبدأ للتاريخ، فقد أرّخ رسائله وكتبه إلى أُمراء العرب وزعماء القبائل وغيرهم من الشخصيات البارزة، بذلك التاريخ الهجرى، فهناك كثير من الكتب أُرّخت قبل السنة ۱۶ أو ۱۷ من الهجرة، وقد يكون فى السنة الخامسة الهجرية.

كما أنّ أصحابه (صلى الله عليه وآله وسلم) أرّخوا فى أيّام حياته، الحوادث الإسلامية بهجرته، فقالوا: وقع كذا فى شهر كذا من الهجرة، فمثلاً قيل: حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فى شهر شعبان، ستة عشر شهراً أو ۱۷ شهراً أو ۱۸ شهراً.

(۱۰۴)

وفى السنة الخامسة من الهجرة ، أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بإحلال السنة الهجرية مكان الشهر الهجرى. ۶. وصول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة

تمكّن «سراقة بن مالك» من اللحاق بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبى بكر وهما فى الطريق إلى المدينة، فدعا عليه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فجمح به فرسُه وطرحه أرضاً، فعرف أنّ ذلك من دعاء النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» عليه، فاعتذر له وطلب منه السماح له بالعودة على ألّا يخبر أحداً بمكانهما وموقعهما. ففعل، وردّ كلّ من بحث عنهما فى الطريق.

أمّا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد وصل إلى قباء فى ۱۲ من شهر ربيع الأوّل، يوم الاثنين،ونزل على : «كلثوم بن الهرم» شيخ بنى عمرو بن عوف، ولبث فى قباء إلى آخر الاسبوع، وبنى فيها مسجداً.(۱)

وانتظر لحين قدوم الإمام على (عليه السلام) والسيدة فاطمة (عليها السلام) حيث كان قد لحق به الكفّار وحاولوا محاربته، إلّا أنّه (عليه السلام) تمكن من التخلص منهم، فتركه القوم خائفين من غضبه وقوته، فواصل سيره باتّجاه المدينة، حيث وصلها فى منتصف شهر ربيع الأوّل.

ولمّا انحدر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من ثنية الوداع ـ وهى منطقة قريبة من المدينة ـ و حطّ قدمه على تراب يثرب، استقبله الناس رجالاً ـ ونساء، كباراً و صغاراً، استقبالاً عظيماً، ورحّبوا به أعظم ترحيب، مردّدين أناشيد فرحين به: طلع البدر علينا من ثنيات الوداع_____.

۱ . تاريخ الخميس: ۱|۳۳۸.

(۱۰۵)

وأصرّ القوم على النزول عند أحدهم، إلّا أنّ النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» كان يقول عن ناقته: «خلّوا سبيلها فإنّها مأمورة». فانتهت الناقة إلى أرض واسعة كانت ليتيمين من الخزرج يقال لهما: «سهل و سهيل» كانا فى حجر أسعد بن زرارة، فبركت على باب «أبى أيّوب خالد بن يزيد الأنصارى»، فاغتنمت أُمّ أيّوب الفرصة وبادرت إلى رحل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فحلّته وأدخلته منزلها، وعندما تنازع القوم فى أخذه، قال الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» : «أين الرحل؟» فقالوا: أدخلته أُمّ أيّوب فى بيتها، فقال «صلى الله عليه وآله وسلم» : «المرء مع رحله».

وقد اتّفق كُتّاب السيرة على أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) دخل المدينة يوم الجمعة، حيث صلّى الجمعة فى بنى سالم بن عوف، وهى أوّل جمعة جمعها (صلى الله عليه وآله وسلم) فى الإسلام، وخطب أوّل خطبة فى المدينة كان لها الأثر العميق فى قلوب أهلها ونفوسهم. (۱۰۶) (۱۰۷)

القسم الثانى المدينة المنورة ـ يثرب

الفصل الخامس الاَحداث السنهٔ الاولی و الثانیهٔ

اشاره

الفصل الخامس الاَحداث السنهٔ الاولی و الثانیهٔ فی المدینهٔ المنوّرهٔ

حوادث السنهٔ الاُولی من الهجرهٔ

الفصل الخامس الاَحداث فی المدینهٔ المنوّرهٔ

ـ السنهٔ الاَولی من الهجرهٔ

ـ بناء مسجد فی المدینهٔ المنوّرهٔ

ـ الموَاخاهٔ بین المهاجرین والاَنصار

ـ معاهدهٔ التعایش السلمی مع الیهود

ـ السنهٔ الثانیهٔ من الهجرهٔ

ـ تغییر اتّجاه القبلهٔ

ـ معرکهٔ بدر ونتائجها الاِیجابیهٔ

ـ العملیات العسکریهٔ الصغری

ـ زواج السیّدهٔ فاطمهٔ الزهراء (علیها السلام) . (۱۱۰) (۱۱۱) حوادث السنهٔ الاُولی من الهجرهٔ کان أوّل عمل رأی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یقوم به قبل أی عمل آخر، هو أن یبنی محلاً ـ للمسلمین لیتسنّی لهم أن یعبدوا اللّه فیه ویذکروه فی أوقات الصلوات، مضافاً إلی أنّه کان هناک حاجهٔ أکیدهٔ لمرکز یجتمع فیه أعضاء حزب الاِسلام ـ حزب اللّه ـ کلّ أُسبوع فی یوم معیّن، ویتشاوروا فی مصالحهم وشوَونهم، بجانب أدائهم صلاهٔ العید فیه مرّتین کلّعام. ولم یکن المسجد فی عهد الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) للعبادهٔ فحسب، بل لتُلقی فیه العلوم والمعارف الاِسلامیهٔ والتربویهٔ، إضافهٔ إلی الاُمور القضائیهٔ والفصل بین الخصومات وإصدار الحکم علی المجرمین، فکان بمنزلهٔ المحکمهٔ فی هذا الیوم. کما استخدمه الشعراء فی إلقاء قصائدهم أمام الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) الذی اتّخذه قاعهٔ لاِلقاء خطبه الحماسیهٔ والجهادیهٔ فی تعبئهٔ المسلمین ضدّ الکفّار والمشرکین. ممّا یبین أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أراد بذلک أن یعلن للجمیع أنّ دینه لیس مجرّد أمر معنوی لا یتصل بالاُمور الدنیویهٔ، بل هو دین شامل کامل یهتم بالتقوی وشوَون المعیشهٔ والاَوضاع الاجتماعیهٔ.

(۱۱۲)

وقد استمرت أغلبیهٔ المساجد علی هذا المنوال حتی مطلع القرن ۴ هـ حیث کانت تتحول فی غیر أوقات الصلاهٔ إلی مراکز لتدریس العلوم المتنوعهٔ، بل إنّها حتی بعدما فصلت المراکز العلمیهٔ عن المساجد فیما بعد، بقیت المدارس تبنی بجانب المساجد، الاَمر الذی جسّد الصلهٔ الوثیقهٔ والارتباط الاَقوی بین العلم والدین.

وفی بناء المسجد اشترک النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بنفسه فی عملیهٔ البناء، ینقل الحجارهٔ واللبن،ویردّد وهو یعمل: «لا عیش إلّاعیش الآخرهٔ، اللّهم ارحم الاَنصار والمهاجرهٔ». وکان «عمار بن یاسر» ممّن عمل بشدّهٔ و قوّهٔ مع الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی البناء، إذ کان یحمل اللبن والاَحجار بدل النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وبدل الآخرین، حتی شکا إلیه «صلی الله علیه وآله وسلم» فعلهم وقال: یا رسول اللّه قتلونی یحملون علیّ ما لا یحملون. فقال له النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) : «ویح ابن سمیهٔ لیسوا

بالذين يقتلونك، إنّما تقتلك الفئة الباغية».(۱)

وبنى كذلك بجانب المسجد صُفَّة يسكن فيها الفقراء والمهاجرون المحرومون، وكلف «عبادة بن الصامت» بأن يعلّمهم الكتابة وقراءة القرآن.

ثمّ بعد ذلك بنيت منازله ومنازل أصحابه حول المسجد.

وفى هذه البيئة الجديدة، واجه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث مشكلات أو قضايا أساسية:

۱. قريش و الوثنيين فى شبه الجزيرة العربية.

۲. اليهود فى المدينة أو خارجها، مع توافر الاَموال لديهم.

۳. الاختلاف بين المهاجرين والاَنصار، و بين الاَنصار أنفسهم ـ الاَوس

---

۱ . السيرة الحلبية: ۲ | ۷۱؛ تاريخ الخميس:۱|۳۴۵.

والخزرج ـ أى الجبهة الداخلية.

وقد تمكّن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من التغلّب على تلك المشكلات والقضايا بأساليب حكيمة وسياسية محنّكة. فبالنسبة إلى التناقضات بين فئات المجتمع، فقد عالجها بالموَاخاة بين المهاجرين والاَنصار، حينما جمعهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال لهم: «تآخوا فى اللّه أخوين أخوين». فأصبح هذا التآخى والوحدة بين الاَطراف المتنازعة، طريقاً لحلّ المشكلات الاُخرى. كما اختار عليّاً (عليه السلام) أخاً لنفسه وقال: «يا علىّ أنت أخى فى الدُّنيا والآخرة».

أمّا مشكلة يهود يثرب، فإنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أدرك أنّه ما لم تصلح الاَوضاع الداخلية فى المدينة، ومالم يضم اليهود إلى جانبه، أى أن يقيم وحدة سياسية متوسعة، فإنّ شجرة الاِسلام لن تتمكن من النمو، بالاِضافة إلى أنّه لن يتمكن من معالجة القضية الاُخرى وهى خطر قريش. ومن هنا رأى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يتقدّم بالتفاهم معهم بعقد معاهدة تعايش سلمى ودفاع مشترك بين الاَنصار والمهاجرين، يوقّع عليها اليهود أيضاً.

وتعتبر هذه المعاهدة من أهمّ الاَعمال،ومسنداً تاريخياً قوى الدلالة، تكشف عن مدى التزام الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بمبادئ الحرية و العدالة، كما تكشف عن حنكته السياسية حيث استفاد من هذه الوسيلة من أجل إيجاد جبهة متحدة قوية فى وجه الحملات الخارجية، فهى فى الواقع واحدة من أكبر الانتصارات السياسية التى أحرزتها الحكومة الاِسلامية الناشئة فى ذلك الوقت، بل هى أعظم معاهدة تاريخية على الاِطلاق. وهى نموذج كامل لرعاية الاِسلام وحرصه على مبدأ حرية الفكر والاعتقاد، وضرورة التعاون، وتوضيح

حدود صلاحيات واختيارات القائد ومسوَولية الموقعين عليها.وقد احترم فيها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) دين اليهود وثرواتهم فى إطار شرائط معينة.

وبالاِضافة إلى التعاهد مع يهود يثرب، فإنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عقد مع طوائف اليهود الاُخرى: بنى قريظة ، بنى النضير، وبنى قينقاع، معاهدات مماثلة فيما بعد، كان من أهمّ بنودها:

ـ عدم الاعتداء على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) و أصحابه، فإن فعلوا فإنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فى حلّ من سفك دمائهم وسبى ذراريهم ونسائهم والاستيلاء على أموالهم.

إلاّ أنّ اليهود تميّزوا بمجادلة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وطرح الاَسئلة العويصة عليه بغية إحراجه وزعزعة إيمان المسلمين به «صلى الله عليه وآله وسلم» ، و لكن جميع تلك المخططات باءت بالفشل، و قلّ تأثيرها فى صفوف المسلمين، بل إنّها ساعدت فى

الواقع على إقبال بعضهم على الإسلام، كما حدث لعبد اللّه بن سلام الذى كان من علماء اليهود و أحبارهم، أعلن إسلامه بعد سلسلة مناظرات و مجادلات مطوّلة، كما التحق بعده عالم آخر منهم هو «المخيريق».

ولم يكتف اليهود بذلك أنّهم استخدموا أُسلوب الموَامرات والدسائس مثل: «فَرِّق تسد» لإضعاف المسلمين، وذلك باستغلال رواسب الماضى بين الأَوس والخزرج، وإثارة العداء بينهم، وإقامة العلاقات السرية مع مشركى الأَوس والخزرج والمنافقين، واشتراكهم صراحة فى اعتداءات قريش على المسلمين فى الحروب التى دارت بين الطرفين، فقدموا كلّ‌دعم ومساندة للوثنيين والعمل لصالحهم، كما اشتهروا بنقض العهود والمواثيق، الأَمر الذى أدّى إلى وقوع مصادمات وحروب مستمرة بينهم و بين المسلمين، نتج عنه إنهاء الوجود

(۱۱۵)

اليهودى فى المدينة.

أمّا المشكلة الأَخيرة والمرتبطة بإعتداءات قريش، فإنّ الفصل القادم يتناولها بالتفصيل.

وقد أقام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى المدينة، منذ ربيع الأَوّل من السنة الأُولى للهجرة إلى شهر صفر من السنة الثانية. وأسلم فى هذه الفترة من تبقّى من الأَوس و الخزرج، و لم يبق دار من دور الأَنصار إلّا أسلم أهلُها، ماعدا بعض الفروع و العوائل ممّن بقوا على شركهم، إلّا أنّهم أسلموا بعد معركة بدر.(۱)

---

۱ . السيرة النبوية:۱|۵۰.

(۱۱۶)

أحداث السنة الثانيةمن الهجرة

أحداث السنة الثانيةمن الهجرة تميّزت هذه الفترة بالاستعراضات العسكرية، و المناورات الحربية، واستعراض القوّة، التى أمر بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) منذ الشهر الثامن من الهجرة حتى رمضان من السنة الثانية، وهى أوّل مناورات عسكرية فى تاريخ المسلمين.

كما تميزت الفترة بحدثين عظيمين كان لهما الأَثر الكبير فى حياة المسلمين وهما: واقعة بدر الكبرى، وتغيير جهة القبلة.

وقد راج فى كتابات الموَرّخين وكتاب السيرة، مصطلح الغزوة،والسريّة. فالغزوة هى تلك العمليات العسكرية التى كان يقودها النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» بنفسه. أمّا السريّة فهى مجموعات عسكرية صغيرة يقودها أحد قوّاده ، دون أن يشترك فيها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وقد أعد أوّل لواء عسكرى بقيادة «حمزة بن عبد المطلب» حيث سيّره النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مع ثلاثين فرداً إلى سواحل البحر الأَحمر حيث تمر فى طرقاته قوافل قريش التجارية. ولم يحدث أىّ قتال بينهم.

وبعث النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بسرية أُخرى بقيادة «عبيدة بن

(۱۱۷)

الحارث بن عبد المطلب» فى ستين فرداً بهدف التعرض لقافلة قريش التجارية. إلّا أنّ قتالاً لم يجر بين الأَطراف.

كما بعث سرية قادها «سعد بن أبى وقاص» لرصد تحركات قريش. أمّا فى شهر صفر من السنة ۲ هـ فقد أناب على المدينة «سعد بن عبادة» وقاد بنفسه مجموعة من المهاجرين والأَنصار لملاحقة ركب قريش التجارى واعتراضه، حتى بلغ «الأَبواء»، ولكنّه رجع دون أن يلقى أحداً منهم.(۱)

وخرج أيضاً فى شهر ربيع الأَوّل من السنة نفسها مع ۲۰۰ فرد حتى وصل إلى «بواط» قرب ينبع، ـ على بعد ۹۰ كم من المدينة ـ ولكنّه

لم یظفر بقافلهٔ قریش بقیادهٔ «أُمیّهٔ بن خلف».

کما أنّه خرج فی شهر جمادی الأُولی لاعتراض أکبر قافلهٔ تجاریهٔ لقریش خارجهٔ من مکهٔ نحو الشام،بقیادهٔ «أبی سفیان» إلّا أنّه لم یلتق بهم فی «ذات العشیرهٔ».

أمّا «عبد اللّه بن جحش» فقد بعثه الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی شهر رجب علی رأس أفراد، لملاحقهٔ قافلهٔ قریش التجاریهٔ، فنزل نخلهٔ ـ بین مکهٔ والطائف ـ و تقابل مع قافلهٔ قرشیهٔ بقیادهٔ ـ «عمرو بن الحضرمی» فباغتهم المسلمون و قاتلوهم واستولوا علی أموالهم بالإضافهٔ إلی القبض علی أسیرین.

إلّا أنّ الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) انزعج لحدوث القتال فی شهر رجب الحرام، وخاصهٔ عندما استغلت أطراف عدّهٔ کالیهود وقریش هذه القضیهٔ للتشهیر بالرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) وإنّه استخدم الشهر الحرام فسفک فیه الدماء وأخذ الأموال.

---

۱ . تاریخ الخمیس:۱|۳۶۳.

وکذلک المسلمون فقد عابوا علی عبد اللّه بن جحش فعلَته هذه. إلّا أنّ آیهٔ قرآنیهٔ نزلت فأبعدت تلک المخاوف والحیرهٔ التی أصبح فیها المسلمون.

وقد غنم المسلمون منها، فکانت أوّل غنیمهٔ حصل علیها المسلمون، وأمّا الأسیران فلم یقبل النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) إطلاق سراحهما إلّا بعد أن تطلق قریش سراح أسیرین مسلمین، فتم تبادل الأسری بین الطرفین.(۱)

وبذا فإن الهدف من تلک العملیات العسکریهٔ الصغری، وإرسال القوات الصغیرهٔ، کان هو تحصیل وجمع المعلومات عن العدو ورصد تحرکاته وخططه، ولیس کما ادّعی المستشرقون، إنّها لمصادرهٔ أموال قریش والسیطرهٔ علیها لتقویهٔ نفسه. إذ أنّ السرایا لم یتعد عدد أفرادها عن الستین أو الثمانین رجلاً، بینما کان یحرس قوافل قریش أعداد أکبر من ذلک، کما أنّالهدف منها لم یکن لمجرّد القتال وسفک الدماء أو الانتقام، لأنّ الأعداد لم تکن کافیهٔ لإجراء قتال أو حرب مع العدو.ویؤکد ذلک انزعاج النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) من حدوث القتال الذی جری بین «ابن جحش» و بین أفراد من قریش، لأنّه: «ما أمرهم رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) بالقتال فی الشهر الحرام ولا غیر الشهر الحرام، وإنّما أمرهم أن یتحسّسوا أخبار قریش».(۲)

کما أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لم یستخدم فی تلک الغزوات الصغری أحداً من الأنصار، وذلک أنّهم بایعوه فی «العقبهٔ» علی الدفاع عن المسلمین، فالمعاهدهٔ بینهم کانت دفاعیهٔ، وقد تعهدوا بموجبها بالدفاع عن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) إذا قصده عدو، وبالرغم من ذلک، فإنّه إذا خرج بنفسه قائداً للعملیات، فإنّه کان یأخذ معه جماعهٔ من الأنصار، تقویهٔ لروابط الإخوهٔ والوحدهٔ بین المهاجرین والأنصار_____.

۱ . المغازی:۱|۱۳؛ السیرهٔ النبویهٔ:۱|۶۰۳.

۲ . المغازی:۱|۱۶.

ویؤکد ذلک إنّه (صلی الله علیه وآله وسلم) لم یشرکهم فی عملیات قتالیهٔ هجومیهٔ ابتداء، إلّاما حدث بعد ذلک فی معرکهٔ بدر.

و هکذا فإنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) استهدف من تلک السرایا والعملیات العسکریهٔ التفتیشیهٔ، وعقد الاتفاقات و المعاهدات العسکریهٔ مع القبائل المتواجدهٔ علی خطوط التجارهٔ المکیهٔ، هو إعلام قریش بقوّهٔ المسلمین عسکریاً، وإنّ جمیع طرق التجارهٔ المکیهٔ أصبحت فی متناول یده، بحیث غدا فی إمکانه أن یشل إقتصاد مکهٔ و یهدد خطوطهم، خاصهٔ أنّ التجارهٔ کانت عمود الإقتصاد المکی وأمراً حیویاً لهم،ولذا کان علی قریش فی هذه الحالهٔ أن تعید النظر فی مواقفها العدائیهٔ، وحساباتها فی ضوء الأحوال الجدیدهٔ، فتترک

للمسلمین حریهٔ الدعوهٔ والعقیدهٔ، وتفتح لهم الطریق لزیارهٔ بیت اللّه الحرام، ونشر التوحید فی أنحاء الجزیرهٔ العربیهٔ وخاصهٔ الحجاز. ۱. تغییر اتّجاه القبلهٔ

أمّا الحدث الآخر الهام فی هذه الفترهٔ فکان تحویل القبلهٔ إلی الکعبهٔ، فقد تمّ فی الشهر ۱۷ من الهجرهٔ، أی فی شهر رجب، حین أصبحت قبلهٔ للمسلمین بمعنی انّهم غدوا یتوجهون إلی المسجد الحرام أثناء الصلوات بدل بیت المقدس، فقد صلّی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) ۱۳ عاماً فی مکّهٔ نحو بیت المقدس. ولمّا زاد إیذاء الیهود للرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) بعد تنامی قوّهٔ المسلمین وانتشار الإسلام، وقولهم: «أنت تابع لنا تصلّی إلی قبلتنا»(۱) فاغتمّ

---

۱ . أو قولهم: مادری محمد وأصحابه أین قبلتهم حتی هدیناهم. مجمع البیان:۱|۲۵۵.

(۱۲۰)

الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) لذلک وشق علیه، فانتظر فرجاً و وحیاً من جانب اللّه، حتی نزلت الآیهٔ: (قَدْنَرٰی تَقَلُّبَ وَجْهِکَ فِی السَّماءِ فَلَنُوَلِّیَنَّکَ قِبلَهً تَرضاها) .(۱) فکان تغییر القبلهٔ واحداً من مظاهر الابتعاد عن الیهود و اجتنابهم، کما أنّاتّخاذ الکعبهٔ قبلهٔ، کان من شأنه کسب رضا العرب واستمالهٔ قلوبهم، وترغیبهم فی الإسلام، تمهیداً لاعتناق دین التوحید، ونبذ الأصنام، وخاصهٔ أنّالکعبهٔ کانت موضع احترام العرب وتقدیسهم منذ أن رفع النبی إبراهیم (علیه السلام) قواعدها.

وقد تمّ التحویل خلال الرکعهٔ الثانیهٔ من صلاهٔ الظهر، حین أخذ جبرائیل (علیه السلام) ید النبیص وأداره نحو المسجد الحرام،فتبعه الرجال والنساء فی المسجد، فتوجه الرجال مکان النساء واتخذت النساء مکان الرجال.(۲) ۲. معرکهٔ بدر

کان من أسالیب النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی الحروب، جمع المعلومات حول استعدادات العدو، ومدی تهیّئه و مکان تواجده و تمرکزه، ومعنویات أفراده، وهی مسائل تحظی بالأهمیهٔ فی المجال العسکری حتی الیوم. وحیث إنّ المعلومات التی تجمعت لدی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) توکد أنّ قافلهٔ کبری لقریش شارک فیها کلّ أهل مکّهٔ بأموالهم، ویحمل بضائعها ألف بعیر،وتقیّم بخمسین ألف دینار، ویقودها أبو سفیان بن حرب، فی أربعین رجلاً، وحیث إنّ أموال المسلمین کانت قد صودرت فی مکهٔ علی أیدی قریش، فإنّ الوقت کان مناسباً للمسلمین لاستعادهٔ أموالهم، بالاحتفاظ بأموال قریش إلی أن یعیدوا إلیهم أموالهم المصادرهٔ، وإلّا فإنّهم یتصرفون فی هذا المال کغنائم

---

۱ . البقرهٔ:۱۴۴.

۲ . بحار الأنوار: ۱۹|۲۰۱.

(۱۲۱)

حرب یقسمونها فیما بینهم.

ولذا فإنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) خرج فی ۳۱۳ رجلاً، کان منهم ۸۲ من المهاجرین، و ۱۷۰ من الخزرج،و۶۱ من الأوس، فی یوم الاثنین الثامن من شهر رمضان، قاصداً تحقیق ذلک الهدف، وعقد رایتین سلم إحداهما إلی مصعب بن عمیر و الأخری وهی العقاب إلی الإمام علی (علیه السلام) ، فوصل إلی «وادی ذفران».(۱)

ونظراً لتخوف أبی سفیان من التعرض لهجوم من جانب المسلمین، فقد أرسل أحد رجاله إلی مکّهٔ یستغیث بهم لنصرته، ممّا دعا أهلها إلی الاستعداد والتجهّز للخروج بقیادهٔ روَسائهم وعظمائهم. وکان ذلک مفاجأهٔ للنبی «صلی الله علیه وآله وسلم» الذی لم یعدّ رجاله للحرب والمواجههٔ العسکریهٔ، بل لهجوم یحصل منه علی الأموال المصادرهٔ. فعقد مجلساً للشوری استطلع فیه آراء رجاله فی الانسحاب من الموقع إلی المدینهٔ، أو مجابههٔ العدو القائم عسکریاً؟ فاتّفق الجمیع علی المواجههٔ بالسیر لملاقاهٔ العدو رغم عددهم القلیل،

فتحرکوا نحو بدر.(۲)

وبالأُسلوب العسکری السلیم عرف النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) مکان العدو، وعددهم وزعماءهم کما عرف موعد وصولهم إلی ماء بدر. فقال لأصحابه: «هذه مکهٔ قد ألقت إلیکم بأفلاذ کبدها».(۳)

إلاّ أنّ أبا سفیان علم بملاحقهٔ المسلمین له ومطاردتهم لقافلته،فابتعد عن بدر عند رجوعه من الشام واتّخذ جههٔ ساحل البحر الأحمر،وبعث أحدهم یخبر قریشاً بإمکانیهٔ الإفلات من ید محمّد (صلی الله علیه وآله وسلم) وأصحابه،ولکنّ

---

۱ . کانت تمر به قافلهٔ قریش التجاریهٔ، ویقع علی مرحلتین من بدر.

۲ . المغازی للواقدی:۱|۴۸؛ السیرهٔ النبویهٔ:۱|۶۱۵.

۳ . السیرهٔ النبویهٔ:۱|۶۱۷.

(۱۲۲)

«أبا جهل» أصرّ علی مواصلهٔ التقدم نحو یثرب وعدم الرجوع إلی مکهٔ قائلاً: واللّه لا نرجع حتی نرد بدراً، فنقیم علیه ثلاثاً، فننحر الجُزُر ـ الأباعر ـ و نطعم الطعام ونسقی الخمر، وتعزف لنا القیان والمغنیات،وتسمع بنا العرب وبمسیرنا وجمعنا،فلا یزالون یهابوننا أبداً بعدها. وکان لکلماته أثرها فی تشجیعهم علی السیر نحو المدینهٔ، فنزلوا فی بدر.

أمّا فی الجانب الإسلامی فقد تقدّم الحباب بن المنذر باقتراح،علی السیر إلی أدنی ماء من القوم، ودفن العین والآبار، وبناء حوض یُملأ بالماء یستخدمونه للشرب، کما اقترح سعد بن معاذ بناء برج عسکری یقود منه النبیالعملیات العسکریهٔ، ویشرف علی سیرها،فیکون مأمناً له من کید الأعداء.

أمّا قریش فقد تحرکت باتجاه بدر صباح یوم ۱۷ من شهر رمضان، فاستطلعوا أخبار المسلمین، فعرفوا عددهم وعدتهم. إلاّ أنّه حدث انقسام فی الرأی بینهم، حول الموقع، حین دعا بعض زعمائهم إلی ترک الموقع والعودهٔ إلی مکهٔ دون إجراء أی قتال أو إبداء أی عمل عدائی ضدّ المسلمین، کان من بینهم: عتبهٔ بن ربیعهٔ، الذی طلب منهم العودهٔ إلی مکّهٔ دون حرب، إلاّ أنّ أبا جهل تمکّن من تغییر الموقف لصالح الحرب فحمّسهم للقتال.

وکان التقلید المتّبع عند العرب فی الحروب، أن یُبدأ القتال بالمبارزات الفردیهٔ، ثمّتقع بعدها الحملات الجماعیهٔ، فدعا ثلاثهٔ من صنادید قریش، المسلمین إلی المبارزهٔ وهم: عتبهٔ ، و شیبهٔ، وهما ابنا ربیعهٔ بن عبد شمس، والولید بن عتبهٔ بن ربیعهٔ، فخرج إلیهم من المسلمین ثلاثهٔ من الأنصار هم: عوف و معاذ ابنا الحارث، و عبد اللّه بن رواحهٔ. إلاّ أنّ قریشاً رفضت منازلتهم وطلبت أفراداً من مکهٔ، فأمر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عبیدهٔ بن الحارث وحمزهٔ و علیاً

(۱۲۳)

بالمبارزهٔ. فبارز حمزهٔ شیبهٔ، وبارز عبیدهٔ عتبهٔ، وعلیّ بارز الولید، ثمّ اتّجه حمزهٔ وعلی بعد الفراغ من قتل خصمیهما إلی عتبهٔ وقتلاه. وبعد هذه المبارزهٔ بدأ الهجومُ العام وتزاحفوا،فعدّل النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) الصفوف ورجع إلی العریش ـ برج القیادهٔ ـ فکان ینزل بین الحین والآخر ویحرضهم علی القتال والمقاومهٔ، فقد کان لکلماته أثرها العمیق فی النفس، والشوق إلی الجنّهٔ بالشهادهٔ.

أمّا خسائر الحرب، فی الأرواح والأموال، فإنّ المسلمین فقدوا ۱۴ رجلاً، بینما قُتل من المشرکین سبعون، وأُسر منهم سبعون، کان من أبرزهم: النضر بن الحارث، عقبهٔ بن أبی معیط، وسهیل بن عمرو، و العباس بن عبد المطلب، وأبو العاص بن الربیع ـ صهر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) .

وقد دفن شهداء بدر فی جانب من أرض المعرکهٔ،ولا تزال قبورهم موجودهٔ، أمّا قتلی المشرکین فأمر الرسولبإلقائهم فی البئر، ووقفص علیها فخاطب القتلی قائلاً: «یا أهل القلیب، بئس عشیرهٔ النبی کنتم لنبیکم، کذبتمونی وصدقنی الناس، وأخرجتمونی وآوانی الناس

وقاتلتمونی ونصرنی الناس، ثمّقال: هل وجدتم ما وعدکم ربّکم حقّاً، فإنّی قد وجدت ما وعدنی ربّی حقّاً».(۱)

ثمّ صلّی العصر بالناس وغادر أرض المعرکهٔ ـ أرض بدر ـ قبل غروب الشمس،وقسّم الغنائم بینهم أثناء الطریق علی قدم المساواهٔ ومنح ذوی الشهداء أسهماً منها، کما وزع خمسها علی المشارکین فی المعرکهٔ، فربما لم تکن آیهٔ

---

۱ . السیرهٔ النبوّیهٔ:۱|۶۳۹؛ السیرهٔ الحلبیهٔ:۲|۱۸۰. إنّ مسألهٔ محادثهٔ الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» مع روَوس الشرک فی البئر من مسلّمات التاریخ والحدیث، وقد أشار إلیه کثیر من المورّخین والمحدّثین، أبرزهم:صحیح البخاری ج ۵ فی معرکهٔ بدر ؛ صحیح مسلم:۸، کتاب الجنهٔ؛ سنن النسائی:۴، باب أرواح المؤمنین؛ مسند الإمام أحمد:۲|۱۳۱؛ المغازی:۱|۱۱۲؛ بحار الأنوار:۱۹|۳۴۶.

(۱۲۴)

الخمس قد نزلت بعد آنذاک، أو فعل ذلک لمصلحهٔ خاصهٔ.

کما قرر أسهماً لأشخاص لم یحضروا المعرکهٔ، لأسباب خاصهٔ بهم منعتهم من الاشتراک فیها، أو لمهمات خاصهٔ أُنیطوا بها فی المدینهٔ والطرقات. وبعث عبد اللّه ابن رواحهٔ، وزید بن حارثهٔ، إلی المدینهٔ یبشرون أهلها بالانتصار، إلّا أنّهما علما هناک بوفاهٔ ابنهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) زوجهٔ عثمان بن عفان، فامتزجت الأفراح بالأحزان، فی الوقت الذی تخوف فیه المشرکون والیهود والمنافقون من الانتصار الکبیر من جانب آخر.

أمّا بالنسبهٔ لاشتراک العباس بن عبدالمطلب فی المعرکهٔ، فإنّ ذلک کان أمراً خاصاً، لأنّه کان قد أسلم وکتم إسلامه مخافهٔ قومه وکره خلافهم مثل أخیه أبی طالب، فکان یساعد النبی ص ویخبره بمخططات العدو ونوایا وتحرکاته واستعدادته، مثلما عمل فی معرکهٔ أُحد.

وفی مکهٔ، تحولت بیوتها إلی مأتم کبیر وناحت قریش علی قتلاها، إلّا أنّأبا سفیان منعهم من النوح والبکاء علی القتلی، وحثّهم علی الاستعداد للثأر والانتقام من محمدوأصحابه، فقال: الدهن والنساء علیّ حرام حتی أغزو محمّداً.

وقد ساعدت عوامل کثیرهٔ فی انتصارالمسلمین ببدر، کان أهمّها:

۱.عدم معرفهٔ المسلمین بما لدی المشرکین من إمکانیّات بشریهٔ و قتالیهٔ، فواجهوا الأمر الواقع وتعاملوا من دون أن یثبطهم شیء.

۲. تقلیل عد المسلمین فی أعین المشرکین، وعدد المشرکین فی أعین المسلمین فی أوّل القتال، و تکثیر عدد المسلمین فی أعین الکفّار أثناء الحرب.

(۱۲۵)

۳. الأُمور الغیبیهٔ ، مثل مساعدهٔ المطر ونزوله فی هذه الفترهٔ، ومساعدهٔ الملائکهٔ، وتثبیت قلوب المؤمنین بواسطهٔ هؤلاء الملائکهٔ، وإلقاء الرعب فی قلوب الکفّار، حیث تشیر الآیات القرآنیهٔ فی سورهٔ الأنفال وآل عمران إلی کلّ ذلک. نتائج وآثار معرکهٔ بدر

أعلن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قراراً تاریخیاً بعد المعرکهٔ خاصاً بأُسلوب المعاملهٔ مع الأسری، وذلک بأنّ من علّم منهم عشرهٔ من الصبیان، الکتابهٔ والقراءهٔ، کان ذلک فداوَه ویخلی سبیله دون أن یوَخذ منه مال.(۱) وإنّ من دفع فدیهٔ قدرها ۴۰۰۰ درهم إلی ألف، خلّی سبیله، و من کان فقیراً لا مال له، أفرج عنه دون فداء. وإن الباب مفتوح أمامهم للدخول فی الإسلام لینعموا فی کنفه مع المسلمین.

ولقد أحدث هذا القرار ردّ فعل کبیر لدی عائلات مکهٔ، دفعهم إلی تقدیم الفداء إلی المسلمین لإطلاق سراحهم. وکان «أبو العاص بن الربیع» من ضمن الأسری، وهو زوج زینب ابنهٔ الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) التی تزوّجها فی الجاهلیهٔ، وثبت علی دینه بعد إیمان بنات النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) کلّهم، فبعثت زینب فی فدائه بمال فیه قلادهٔ کانت هدیهٔ أُمّها السیدهٔ خدیجهٔ«علیها السلام» لها لیلهٔ زفافها، فلمّا رأی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) القلادهٔ، تذکّر زوجته الوفیهٔ وبکی بشدهٔ، ممّا أثر فی المسلمین

فأطلقوا سراحه دون أخذ الفديهٔ. وأخذ (صلى الله عليه وآله وسلم) على أبى العاص الميثاق بأن يخلّى سبيل زينب ويبعثها إلى المدينهٔ ففعل، مع إعلانه الاِسلام فيما بعد.

ويعتبر تعليم الوَلادـ من قبل الاُسارى المتعلمين، أوّل عمليهٔ تعليميهٔ لمكافحهٔ الاُمّيهٔ، وهى أعظم خطوهٔ حضاريهٔ وثقافيهٔ.

---

۱ . السيرهٔ الحلبيهٔ:۲|۱۹۳.

(۱۲۶)

كما أنّه كان لانتصار المسلمين أثر كبير على المراكز السياسيهٔ المتناثرهٔ فى شبه الجزيرهٔ العربيهٔ، فكما كان له أثره القوى على قريش وأهلها، فإنّه هدد مراكز أُخرى فى المدينهٔ وخارجها، كاليهود الذين أبدوا تخوفهم من تطور قوّهٔ المسلمين، وخاصّهٔ يهود بنى قينقاع، الذين بدأوا بتدبير المؤامرات،وممارسهٔ الاَعمال العدوانيهٔ ضدّ المسلمين، وإعلان الحرب الباردهٔ بنشر الاَكاذيب وبث المعلومات المزيفهٔ، وإطلاق الشعارات القبيحهٔ لتحقيرهم وتخريب سمعتهم وإضعاف معنوياتهم. إلاّ أنّهم بذلك، كانوا قد أعلنوا نقضهم لمعاهدهٔ التعايش السلمى التى عقدها معهم الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) إبان قدومه إلى المدينهٔ. وبالرغم من ذلك فإنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) حاول النصيحهٔ بأن يتعايشوا معهم دون إظهار أىّ عمل تخريبى أو سيّئ، وذلك لاَنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن يريد أن يرفع السلاح ويحاربهم حتى يحافظ على الاَمن والاستقرار فى يثرب، إذ لم يكن من المصلحهٔ تفجير الموقف فى هذه الفترهٔ الحرجهٔ، إلاّ ـ أنّهم أصروا على موقفهم العدائى، دون أن يقتنعوا بالتغيير أو التخلّى عن مؤامراتهم، ممّا اضطر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى استخدام السلاح والقوهٔ فى الفرصهٔ المناسبهٔ، وقد حدثت تلك المناسبهٔ، عندما اعتدى يهودىٌ على امرأهٔ عربيهٔ فى السوق، بإظهار عورتها والضحك عليها، فقتله رجلٌ مسلمٌ، فاجتمع عليه عددٌ من اليهود فقتلوه، ممّا اعتبر الشرارهٔ الاُولى فى إعلان الحرب عليهم. فسارعوا إلى حصونهم وقلاعهم خوفاً من هجوم المسلمين،فحاصرهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) خمسهٔ عشرهٔ ليلهٔ،قذف اللّه فى قلوبهم الرعب ففقدوا القدرهٔ على المقاومهٔ، ونزلوا عند حكم النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» وهو الجلاء عن المدينهٔ، على أن يتركوا أسلحتهم وأموالهم ودروعهم، فخرجوا من المدينهٔ إلى منطقهٔ «أذرعات» فى أطراف الشام.(۱)

---

۱ . المغازى:۱|۱۷۷؛ طبقات ابن سعد:۲|۲۸.

(۱۲۷)

واضطرت قريش فى هذه السنهٔ إلى أن تغيّر طريقها التجارى إلى الشام، خوفاً من تعرض المسلمين لهم، فاتفقت على أن تتخذ طريق العراق، إلاّ أنّالمسلمين علموا بذلك، فأرسل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) زيد بن حارثهٔ فى مائهٔ نفر، تمكّنوا من الاستيلاء على القافلهٔ، وتقسيم الاَموال على المسلمين، بعد فرار القوم.

ولاَهميهٔ معركهٔ بدر التى هى من المعارك الكبرى للاِسلام، اكتسب المشاركون فيها منزلهٔ خاصهٔ بين المسلمين، فقد دعوا بالبدريين.

۳. العمليّات العسكريّهٔ الصغيرهٔ

و قد جرت فى هذه السنهٔ أيضاً عدّهٔ غزوات، كان أهمها:

غزوهٔ قرقرهٔ الكُدْر : قرقرهٔ الكدر ناحيهٔ بين المعدن و المدينهٔ يسكنها قبيلهٔ بنى سلم حيث بلغ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنَّ القبيلهٔ المذكورهٔ تتهيّأ للهجوم على يثرب فخرج ص بنفسه لتأديبهم،إلاّ أنّهم تفرقوا.

غزوهٔ السويق: وذلك عندما قتل أبو سفيان رجلاً من الاَنصار وأجيراً له، وحرق بيتاً وزرعاً، على أساس أنّ له نذراً للثأر من المسلمين بعد معركهٔ بدر، بأن لا يقارب زوجته مالم يثأر لقتلى بدر.. فهاجمه المسلمون، إلاّ أنّه فرّ و ترك وراءه أكياس السويق.(۱)

غزوهٔ ذى أمّر: و هو واد بطريق المدينهٔ، وقد جرت عندما أعدّت قبيلهٔ غطفان هجوماً على المدينهٔ، فخرج الرسوللمحاربتهم، ولكنّهم

فرّوا وهربوا. وأراد أحدهم أن يتخلّص من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو مستريح تحت

---

١ . المغازى:١|١٨٢؛ طبقات ابن سعد:٢|٣٠.

(١٢٨)

شجرة فى وادى ذى أمّر، إلّا أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) تمكّن من السيطرة عليه بفعل معجزة إلهية، فأسلم الرجل. ۴. زواج السيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

تقدّم أشراف العرب للزواج من السيّدة فاطمة سيّدة النساء(عليها السلام) إذ تصوّروا أنّ كونهم ذوى ثروة ومكانة اجتماعية مرموقة تؤهلهم لذلك ولا يُرد لهم طلب، ولكنّهم أخطأوا فى تصوّرهم، فلم يعلموا أنّزوج فاطمة(عليها السلام) لا يكون إلا كفؤها فى التقوى والفضل والإيمان والإخلاص، وليس المال والثروة والجاه. و لمّا كان الرسول ص يرد الخطّاب بقوله: «أمرها بيد اللّه» فقد أدركوا أنّ زواجها ليس سهلاً و بسيطاً. إلّا أنّ الإمام على (عليه السلام) حينما تقدّم إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يخطبها وافق على طلبه وقال: «يا علىّ إنّه قد ذكرها قبلك رجال فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة فى وجهها، ولكن على رسلك حتى أخرج إليك».

فدخل على السيّدة الزهراء(عليها السلام) قائلاً : «إنّ على بن أبى طالب من قد عرفت قرابته، وفضله وإسلامه، وإنّى قد سألت ربّى أن يزوّجك خير خلقه وأحبّهم إليه، وقد ذكر من أمرك شيئاً، فما ترين؟».

فسكتت السيدة فاطمة(عليها السلام) ولم ير الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» فى وجهها كراهة، فقال: «اللّه أكبر، سكوتها إقرارها».(١)

ولما لم يكن الإمام علىّ (عليه السلام) يملك مالاً أمره النبى ص ببيع درعه لصرفه على نفقات الزواج، وكان مهرها ۵۰۰ درهم، وسكن أوّل الأمر فى منزل أحد الصحابة بصورة موقتة، وعمل فرحاً وزفافاً جميلاً، وأطعم فيه كلّالمسلمين_____.

١ . بحار الأنوار:۴۳|٩٣.

(١٢٩)

ونقل ابن بابويه، أنّالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر بنات عبد المطلب ونساء المهاجرين والأنصار أن يمضين فى صحبة فاطمة (عليها السلام) وأن يفرحن ويرجزن ويكبّرن ويحمدن ولا يقولن ما لا يرضى اللّه. ثمّدعا لهما النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : «اللّهمّ إجمع شملهما، وألّف بين قلوبهما، واجعلهما وذرّيتهما من ورثة جنّة النعيم، وارزقهما ذرّيةً طاهرةً طيّبةً مباركةً، واجعل فى ذرّيتهما البركة، واجعلهم أئمّة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك. اللّهمّ إنّهما أحبّخلقك إلىّ فأحبّهما، واجعل عليهما منك حافظاً، وإنّى أُعيذهما بك وذرّيتهما من الشيطان الرّجيم».(١)

فكانت أفضل زيجة فى الإسلام وأكثرها خير وبركة، إذ أنجبا أفضل الأولاد والبنات وأطهرهم: الحسن والحسين السبطان، وزينب «عليهم السلام» التى اشتهرت فى نصرة أخيها بكربلاء.

أمّا ما دسّه أصحاب الأقلام المأجورة و ذوو النفوس الضعيفة والقلوب الحاقدة من أباطيل و ترّهات حول وجود خلاف و تنازع بين الزوجين الطاهرين، فتكذّبه الأحاديث الكثيرة عن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) حول مكانتهما و عُلوّ شأنهما، نقتطف منها ما يلى:

ـ «أحبّ الناس إلى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) من النساء فاطمة ومن الرجال علىّ».

ـ «خير رجالكم على بن أبى طالب، وخير نسائكم فاطمة بنت محمّد».(٢_____)

١ . بحار الأنوار:۴۳|٩۶ـ ١١۴.

٢ . للمزيد من الإطّلاع، راجع سيدالمرسلين:٢|١١٠ ـ ١٢٠.

الفصل السادس أحداث السنهٔ الثالثهٔ و الرابعهٔ من

اشاره

الفصل السادس أحداث السنهٔ الثالثهٔ و الرابعهٔ من الهجرهٔ

أحداث السنهٔ الثالثهٔ من الهجرهٔ

أحداث السنهٔ الثالثهٔ من الهجرهٔ

الفصل السادس ۱. أحداث السنهٔ الثالثهٔ من الهجرهٔ ـ الدفاع عن الحریهٔ والکرامهٔ

ـ معرکهٔ أُحد

ـ غزوهٔ حمراء الاَسد ۲. أحداث السنهٔ الرابعهٔ من الهجرهٔ ـ النتائج السلبیهٔ لمعرکهٔ أُحد

ـ غزوهٔ بنی النضیر

ـ غزوهٔ ذات الرقاع

ـ تحریم الخمر (۱۳۲) (۱۳۳) أحداث السنهٔ الثالثهٔ من الهجرهٔ ۱. معرکهٔ أُحد

وهی سنهٔالدفاع عن الحریهٔ والکرامهٔ، وقد وقعت فیها معرکهٔ أُحد التی تعدّمن أعظم المعارک فی الاِسلام.

فقد قرر کفّار قریش إعلان الحرب علی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) علی أن تتکفّل قریش نفقاتها، فأعدّت ۴ آلاف مقاتل، إضافهٔ إلی النساء اللائی هدفوا من اشتراکهن: تحریض الرجال علی القتال، والصمود وعدم الفرار، وإشعال الحماس فی النفوس، وإنّ فرار الرجال یعنی أسرهن، فتصبح الغیرهٔ والحمیهٔ سبباً للمقاومهٔ والصمود. کما اشترک فی الجیش عدد من العبید والرقیق طمعاً فی العتق الذی وعدوا به متی ما نصروا أسیادهم، مثل وحشی الحبشی.(۱)

إلاّ أنّ العباس بن عبد المطلب الذی عاش بین قریش کاتماً إیمانه، کتب تقریراً مفصلاً عن تلک الاستعدادات وأرسله مع رجل غفاری إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)

---

۱ . بحار الاَنوار:۲۰|۹۶.

الذی أخبر أصحابه بالاَمر. ثمّ عقد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی یوم الجمعهٔ اجتماعاً عسکریاً للتشاور مع القادهٔ وأهل الخبرهٔ فی وسائل مواجههٔ العدو، فأشار «عبد اللّه بن أُبی بن سلول» ـ من منافقی المدینهٔ ـ بالقتال داخل المدینهٔ، أی لا یخرج المسلمون منها بل یقاتلونهم حرب الشوارع. إلاّ أنّ فتیان المسلمین شجبوا هذا الرأی وأقروا الخروج من المدینهٔ لملاقاهٔ العدو، بعد أن أیّد الرأی السابق أکابر أصحاب الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) من المهاجرین والاَنصار. وکان حمزهٔ و سعد بن عبادهٔ علی رأس القائلین بلقاء العدو خارج المدینهٔ، فأیّد النبیرأی الاَکثریهٔ بالخروج للحرب، إذ أنّ محاصرهٔ العدوّ للمدینهٔ وسیطرته علی مداخلها وطرقاتها وسکوت جنود الاِسلام علی ذلک،من شأنه أن یقتل الروح القتالیهٔ والفروسیهٔ فی أبناء الاِسلام المجاهدین.

وکان جیش الکفّار قد وصل أطراف المدینهٔ، حتی استقر قرب جبل أُحد، یوم الخمیس، الخامس من شهر شوال، فاستعد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بأن لبس لامته والدرع وتقلّد السیف واعتمّ، فخرج من بیته، ممّا آثار المسلمین وهزّهم بشدّهٔ حتّی تصوّر بعضهم أنّهم قد أجبروه (صلی الله علیه وآله وسلم) علی الخروج، فطلبوا منه المعذرهٔ وإجراء أیّ فعل یقصده، فقال (صلی الله علیه وآله وسلم) : «ما ینبغی لنبی إذا لبس لامته أن یضعها حتی یقاتل».(۱) ثمّ صلّی الناس الجمعهٔ، وخرج علی رأس ألف مقاتل قاصداً أُحد.

وکان (صلی الله علیه وآله وسلم) قد رفض اشتراک جماعهٔ من الیهود الذین تحالفوا مع «عبد اللّه بن أَبیّ بن سلول» معهم، فانعزل عن الجیش وعاد بثلث الناس کلّهم من الاَوس المتحالفین معه، إلی المدینهٔ، بحجّهٔ أنّ الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» أخذ برأی الفتیهٔ والشباب. ولذا لم یشترک الیهودُ والمنافقون فی هذه الحرب_____.

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۲|۲۳؛ المغازی:۱|۲۱۴؛ طبقات ابن سعد:۲|۳۸.

(۱۳۵)

وفی یوم السبت ۷ من شهر شوال، اصطف الجیش الاِسلامی أمام قوی الشرک المعتدیهٔ، فجعل ظهره إلی جبل أُحد کمانع طبیعی یحفظ الخلف، ووضع جماعهٔ من الرماهٔ عند ثغرهٔ فی الجبل، علیهم «عبد اللّه بن جبیر» وطلب منهم الالتزام بالموقع: «إلزموا مکانکم لا تبرحوا منه إن کانت لنا أو علینا فلا تفارقوا مکانکم».

إلاّ أنّ المسلمین انهزموا بعد انتصارهم فی بدایهٔ المعرکهٔ نتیجهٔ تجاهل هوَلاء الرماهٔ لاَوامر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) حین أخلوا هذا الموقع الاستراتیجی.

وکانت قریش قد أعدّت تسعهٔ رجال شجعان من بنی الدار لحمل الرایهٔ، قتلهم الاِمام علی (علیه السلام) جمیعاً، کما قتل غلامهم حین برز أیضاً.(۱) وبذا فإنّ النتیجهٔ الاَوّلیهٔ کانت هزیمهٔ الکفّار مخلِّفین وراءهم غنائم وأموالاً کثیرهٔ، فانتصر المسلمون علی عدوّهم القوی عدداً وعدّهٔ، لاَسباب منها:

ـ أنّهم قاتلوا فی مرضاهٔ اللّه، ونشر عقیدهٔ التوحید، دون أن یهدفوا إلی مصلحهٔ مادیهٔ.

ولکنّهم انهزموا بعد انتصارهم الساحق لاَسباب کان أهمها:

ـ تغیّر أهدافهم، فقد اتجهت أنظارهم إلی الغنائم فی أرض المعرکهٔ، ونسوا أوامر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وتعالیمه بالتمسّک بها مهما حدث. وخاصهٔ أُولئک الرماهٔ الحامین ظهر المسلمین علی جبل أُحد، حین ترکوا مواقعهم ونزلوا إلی الساحهٔ یریدون جمع الغنائم قائلین: «ولِمَ نقیم هنا من غیر شیء وقد هزم اللّه العدو، فلنذهب ونغنم مع إخواننا». وهو الاَمر الذی استغله «خالد بن الولید» الذی کان آنذاک مع المشرکین و کان یترصّد خلوّ الثغرهٔ من الرماهٔ، فقتل

---

۱ . بحار الاَنوار:۲۰|۸۱.

(۱۳۶)

باقی الرماهٔ وکانوا عشرهٔ من خمسین، ثمّ هاجم المسلمین الغافلین عن الوضع السّیئ والذین انشغلوا بجمع الغنائم، فتفرقت جموعهم، و اجتمع جنود قریش الهاربون فقاتلوا المسلمین قتالاً ضاریاً، حتی قُتِلَ منهم سبعون رجلاً. وعندما قتل أحد أبطال المشرکین من قریش، حامل لواء الاِسلام : «مصعب بن عمیر» ظنّ أنّه الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فصاح: قتلت محمداً. فانتشر الخبر بین المسلمین وقریش الذین سرّوا بذلک فصاحوا: ألا قد قتل محمد. فاضطر المسلمون ـ بعد انفراط القیادهٔ ، وإشاعهٔ الفوضی والهرج والمرج فی الجیش ـ إلی أن یهرب معظمهم إلی الجبل تارکین أرض المعرکهٔ، إلاّعدداً قلیلاً منهم.

وکان خمسهٔ من صنادید قریش قد تعاهدوا علی أن یضعوا نهایهٔ لحیاهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) مهما کلّفهم الاَمر، وهم:

۱.عبد اللّه بن شهاب، الذی جرح جبههٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) .

۲.عتبهٔ بن أبی وقاص، الذی رمی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بأحجار فکسر رباعیته.

۳. ابن قمیئهٔ اللیثی، الذی رمی وجنتی الرسول وجرحهما.

۴.عبد اللّه بن حمید، الذی حمل علی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فقتله أبو دجانهٔ بطل الاِسلام.

۵.أُبی بن خلف، الذی قتله الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) بیده عندما حمل علیه.

وقد دلّت مواقف الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) فى هذه المعركة وغيرها على شجاعته وقوّته، وقد أكدها الإمام على (عليه السلام) قائلاً: «كنّا إذا احمرّ البأس، اتّقينا برسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يكن أحد أقرب منّا إلى العدو منه».(۱)

---

۱ . شرح نهج البلاغة، فصل فى غريب كلامه، رقم ۹.

(۱۳۷)

ومن هنا فإنّ سلامة النبى الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فى هذه الحرب بل وفى عامة الحروب تعود فى أكثر أسبابها إلى:

ـ حسن دفاعه عن دينه وعن نفسه، وإلى شجاعته وبأسه فى المعارك، إضافة إلى تضحية تلك القلة من أصحابه الأوفياء الذين بذلوا غاية جهدهم للحفاظ على حياته وسلامته

واشتهر من هؤلاء:

۱. الإمام على (عليه السلام) الذى بلغ ۲۶ عاماً من عمره، حيث قتل ۱۲ من رجال قريش، والباقى وهم عشرة قتلهم باقى المسلمين. وهنا سمع هتاف بين السماء والأرض يقول: لا فتى إلّا علىّ ولا سيف إلّا ذو الفقار.

۲.أبو دجانة، الذى جعل من نفسه ترساً يقى النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» من سيوف الكفّار.

۳. حمزة بن عبد المطلب، الذى دأب على حماية الرسول ص من أذى المشركين دائماً فى الظروف القاسية، إلّا أنّ وحشى العبد قتله فى هذه المعركة.

۴. أُمّ عمارة، نسيبة المازنية، وقد باشرت القتال وذبت عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بالسيف، ورمت بالقوس حتى جُرِحت. وقد أُعجب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بشجاعتها فأشاد بموقفها يوم أُحد: «لمقام نسيبة بنت كعب اليوم خير من فلان و فلان» فطلبت منه (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يدعو لها بالجنة فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «بارك اللّه عليكم من أهل بيت رحمكم اللّه، اللّهمّ اجعلهم رفقائى فى الجنة».

وقد استغل أبو سفيان وقريش انتصارهم فاعتمدوا الإعلام المزيف فى ذلك، بأنّ آلهتهم أعظم من إله المسلمين، قاصداً من ذلك التأثير النفسى، فقد رأى أنّ الحملة النفسية والحرب الباردة يمكنها أن تحطم إيمان المسلمين.

أمّا هند زوجة أبى سفيان، فقد مثلت مع بعض النساء بجثث المسلمين، من

(۱۳۸)

قطع الأنوف وجدع الآذان وسمل العيون وقطع الأصابع والأرجل والمذاكير، نكاية بالمسلمين وإطفاءً للحقد الدفين. وقد بقرت هند صدر حمزة وأخرجت كبده ولاكته بين أسنانها، دون أن تستطيع أكله فعُرفت بآكلة الأكباد، كما عرف أبناؤها فيما بعد ببنى آكلة الأكباد.

وقال الرسولص عندما شاهد عمّه حمزة: «ما وَقفتُ موقفاً قط أغيظ إلىّ من هذا».

وهكذا غادر كفّار قريش أرض المعركة إلى مكة، أمّا المسلمون، فبعد أن صلّى بهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الظهر والعصر، دفنوا الشهداء واحداً واحداً أو اثنين اثنين، عند جبل أُحد.(۱)

أمّا الشهداء فكانوا ما بين ۷۰ أو ۸۱ مسلماً على روايات مختلفة، ولم يتجاوز عدد قتلى قريش ۲۲ فرداً، وأمّا النبى ص فقد عالجته السيدة فاطمة «عليها السلام» والإمام على ص حينما رجع إلى المدينة. غزوة حمراء الأسد

إلّا أنّ الوضع لم يستقر، بل أنّ الأحداث استمرت إلى يوم الجمعة حيث غزوة «حمراء الأسد».(۲) ذلك أنّ اليهود والمنافقين أتباع «عبد اللّه بن أُبى» استغلوا الوضع الخطير الذى أصبح فيه المسلمون، وكانوا قد سرّوا لما أصابهم، ووجدوا البيوت حزينة يسمع منها أنين الجرحى والبكاء على الموتى والشهداء. ولما كان

---

۱ . السيرة النبوية:۲|۹۸؛ بحار الأنوار:۲۰|۱۳۱.

۲ . تبعد عن المدينة ثمانية أميال.

(۱۳۹)

هناك خوف أن يؤدّى ذلك إلى ضعف الجبهة الداخلية، إذ أنّ انهيار الوحدة والانسحاب فى هذه الجبهة أخطر بكثير من تعرض البلاد لهجوم خارجى. ولذا فقد أمر (صلى الله عليه وآله وسلم) بملاحقة العدو فى نفس هذه الليلة حتى يرهب العدو ويبلغه قوة المسلمين واتحادهم وأنّ ما أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم.(۱) فخرج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأصحابه إلى «حمراء الأسد» مخلفاً على المدينة:ابن أُمّ مكتوم.

وقد استطاع «معبد بن أبى معبد الخزاعى» رئيس بنى خزاعة، الذى ارتبط بعلاقات ودية طيبة مع الرسولوالمسلمين بالرغم من كفره وشركه، من أن يخوّف أبا سفيان ويرعبه بما ذكره له عن قوّة المسلمين، وأعدادهم وملاحقتهم لقريش، ممّا دعاه إلى الانصراف عن مهاجمة المدينة مرّة أُخرى.

وفى هذه السنة (۳هـ)، أيضاً بعث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً السرايا، واشتهرت منها: سرية محمد بن مسلمة، عندما انزعج كعب بن الأشرف لانتصار المسلمين فى بدر، وحاول إثارة قريش عليهم، فبدأ بإيذاء نساء المسلمين، ممّا جعل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرر التخلّص منه، فأرسل إليه محمّد بن مسلمة، الذى أعدّ خطة محكمة للقضاء عليه، فقتلوه بمساعدة أخيه بالرضاعة «أبونائلة». كما تخلّصوا من مفسد آخر هو:«أبو رافع سلام بن أبى الحقيق اليهودى» الذى قام بنفس دور كعب بن الأشرف فى إيذاء الرسول والمسلمين.

وفى هذه السنة، ولد السبط الإمام الحسن (عليه السلام) فى ۱۵ من شهر رمضان_____.

۱ . مجمع البيان:۲|۲۳۵.

(۱۴۰)

أحداث السنة الرابعة من الهجرة

أحداث السنة الرابعة من الهجرة ۱. النتائج السلبية لمعركة أُحد

بالرغم من إظهار المسلمين قوتهم، ومطاردتهم للعدو ومنعهم من مهاجمة المدينة، فإنّ المنافقين واليهود والمشركين أعدّوا المؤامرات ضدّ الإسلام والمسلمين، وجهزوا العدّة لمحاربتهم،مثل قبيلة «بنى أسد» التى أرادت الهجوم على المدينة لنهبها، فأرسل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ۱۵۰فرداً بقيادة أبى مسلمة الذى تمكن من القضاء عليهم والتخلّص منهم.

ومن المعروف أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يرسل الدعاة و المبلغين من قرّاء القرآن الكريم، والمسلمين بالأحكام الإسلامية والتعاليم النبوية، لينقلوا تلك التعاليم والأحكام إلى الناس فى المناطق البعيدة والأماكن النائية، كما كان يبعث من جانب آخر، السرايا والمجموعات العسكرية للقضاء على محاولات التمرد والمؤامرات، ليتسنّى لهؤلاء المبلغين والدعاة فى ضوء الأمن والحرية والأمان، الدعوة إلى الإسلام وإرساء دعائم الحكومة الإسلامية فى القلوب، وتنوير الأفكار وإيقاظ العقول. إلّا أنّه كان يحدث أنّ بعض القبائل المتوحشة والمتخلفة فكرياً وأخلاقياً كانت تعتدى على هؤلاء المبلغين وتقتلهم

(۱۴۱)

بصورة مفجعة مأساوية.(۱) مثلما قامت به جماعة من قبيلة «عضل والقارة» الذين طلبوا القرّاء من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وغدروا بهم أثناء الطريق إلى مكان سكنهم. ومن قبلهم طلب أبو براء العامرى فى شهر صفر من هذه السنة، من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يبعث رجالاً إلى نجد يدعوهم للإسلام مع أنّه لم يسلم، فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنّى أخشى عليهم

أهـل نجـد». ولكن أبـا براء أعلن عن اسـتعداده لِاجـارتهم وضـمان أمنهم فقـال: أنا لهم جار. فبعث النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) أربعين رجلاً من أصـحابه الخيار من حفظهٔ القرآن و أحكام الِاسـلام بقيادهٔ «المنذر بن عمرو» و معه كتاب إلى «عامر بن الطفيل» أحد زعمـاء نجـد، الـذى قرر الغـدر بهم، فقتـل رسول المنـذر، وطلب من بنى عامر قتل المبلّغين، إلّا أنّهم رفضوا على أساس أنّ لهم عقـداً وجواراً مع أبى براء. فاستصـرخ عليهم قبائل«بنى سليم» الذين أجابوه، فأحاطوا بالدعاهٔ وقاتلوهم حتى قتلوهم عن آخرهم بعد أن قاوموا بقوّهٔ وبسالهٔ عظيمهٔ. وتسـمّى هذه الحادثهٔ بجريمهٔ بئر معونهٔ، التى لم ينسـها الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) فكان يذكر شـهداءها فترهٔ من الزمان(۲) كما أنّ تلك الحادثتان: الرجيع وبئر معونهٔ، تركتا آثاراً سـيئهٔ،وخلفتا موجهٔ من الحزن والاَسـى فى نفوس المسلمين.

۲. غزوهٔ بنى النضير

لقد طلب النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) من يهود بنى النضـير المساهمهٔ فى دفع ديهٔ اثنين قتلا خطأ، بموجب الاتفاقيهٔ المعقودهٔ بين الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» واليهود، والتى تقضى بالتعاون فيما بينهم فى تسديد الديهٔ، إلّا

---

۱ . السيرهٔ النبويهٔ:۲|۱۶۹؛ طبقات ابن سعد:۲|۵۵.

۲ . السيرهٔ النبويهٔ:۲|۱۸۳؛ إمتاع الاَسماع:۱|۱۷۰.

أنّهم أضمروا له الشر، حينما سار إليهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فى عدد قليل من أصحابه، وقصدوا قتله غدراً، وذلك بإلقاء صخرهٔ عليه من فوق البيت الذى أستند الرسول ص إلى جداره، ولكنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) علم بموَامراتهم سواء من تحركاتهم المشبوهه، أو بخبر جاء من السماء، فترك المكان مسرعاً بالعودهٔ إلى المدينهٔ، دون أن يخبر أصحابه الذين انتظروه طويلاً دون جدوى. وقد أخبرهم عند عودتهم بالسبب:«همت اليهود بالغدر بى فأخبرنى اللّه بذلك فقمت».(۱)

ورداً على الموقـف الغـادر لليهـود، فقـد أمر الرسولالمسـلمين بالِاعـداد لحربهم، وبعث رسالـهٔ إليهم مـع «محمّـد بن مسـلمهٔ» يبلغ فيها سادتهم: «قـد نقضـتم العهد الذى جعلت لكم بما هممتم به من الغدر بى. أخرجوا من بلادى، فقد أجّلتكم عشـراً، فمن رُئى بعد ذلك ضربت عنقه».

وكان حكم الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) هـذا مطابقاً لما جاء فى الميثاق الـذى عقـد بينهم عند دخوله المدينهٔ: «ألّا يعينوا على رسول اللّه «صـلى الله عليه وآله وسلم» ولا على أحد أصحابه بلسان ولا يد ولا بسلاح فى السر والعلانيهٔ، واللّه بذلك عليهم شهيد. فإن فعلوا فرسول اللّه فى حلّ من سـفك دمائهم وسبى ذراريهم ونسائهم وأخـذ أموالهم». إلّا أنّالمنافقين برئاسـهٔ «عبد اللّه بن أُبىّ» اتّصـلوا ببنى النضـير يعرضون عليهم المساعدهٔ والتعاون، بعدم تنفيذ أوامر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخروج من المدينهٔ، ممّا دفعهم إلى اللجـوء إلى حصـونهم، والِاعـداد للحرب ومقاومـهٔ الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) حـتى لاـ يسـيطر المسـلمون على ديـارهم وبساتينهم وممتلكاتهم، وأرسل «حيى بن أخطب» إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنّا لا نبرح من دارنا وأموالنا فاصنع ما أنت صانع؛ فما كان من النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) إلّاأن خرج إليهم، بعد أن استخلف على المدينهٔ «ابن أُمّ مكتوم» وسار لمحاصرهٔ بنى النضير،

---

۱ . طبقات ابن سعد:۲|۵۷؛ إمتاع الاَسماع:۱|۱۷۸.

فاسـتمر الحصار ست ليال على روايـهٔ ابن هشام، أو ۱۵ يومـاً حسب الروايات الاُخرى. وأمر الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) بقطع النخيل المحيطهٔ بحصونهم، وإلقاء النار عليهم، حتى يكرهوا البقاء فى تلك الديار بعد إعدام بساتينهم.

فدفعهم ذلک فعلیاً إلی الرضوخ لمطالب الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» بالجلاء عن موطنهم، علی أن تحمل إبلهم ما لهم من مال دون أن یأخذوا السلاح والدروع، فرضی النبی ص بذلک، فخرج جماعهٔ منهم إلی خیبر وأُخری إلی الشام. أمّا تقسیم أموالهم فحیث إنّ المسلمین غنموها دون قتال ـ و هو الفیء ـ فانّه یعود أمره إلی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) خاصهٔ یضعه حیث یشاء ویصرفه فیما یری من مصالح الإِسلام، وقد فعل النبی ذلک وقسم المزارع والبساتین علی المهاجرین فقط دون الأَنصار، وذلک لما حرموا من ممتلکاتهم وثرواتهم فی مکهٔ، وقد أیده فی ذلک: سعد بن عبادهٔ و سعد بن معاذ.(۱)

وقد جرت هذه الحادثهٔ فی ربیع الأوّل ۴هـ وأوردتها سورهٔ الحشر فی القرآن الکریم. ۳.غزوهٔ ذات الرقاع

جاء الخبر إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أنّ قبائل بنی محارب و بنی ثعلبهٔ من قبائل غطفان، أعدتا للهجوم علی المدینهٔ، فسار إلیهم النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» وأدّبهم، دون أن یحدث قتال، وأصاب بعض الغنائم.

کما خرج النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی قوّهٔ بلغت ۱۵۰۰ فرد من المحاربین قاصداً بدراً لملاقاهٔ أبی سفیان، الذی کان قد قرر فی أُحد أن یلتقی بهم

---

۱ . إمتاع الأَسماع: ۱|۱۸۲.

فی هذه السنهٔ، إلّا أنّهم تخوفوا من مواجههٔ المسلمین، وذلک من أظهر الصور لحکمهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی إجراءاته العسکریهٔ، فقد أظهر قوته وعزیمته أمامهم، ممّا کان له أثره القویّ فی نفوس الأَعداء. ۴. تحریم الخمر

و قد حرّمت فی أربع مراحل تدریجیهٔ ضمن آیات أربع أظهرت الاستیاء من الخمر، فبدأت من مرحلهٔ مخففهٔ حتی انتهت إلی مرحلهٔ الإِعلان عن التحریم القطعی. فالآیات الأَربع منعت من الخمر، بعد أن وصفتها بالرجس وإنّها نظیر المیسر وانّها عمل شیطانی، مناقض للفلاح ومسبب للعداوهٔ والبغضاء، وبذا فقد استطاع النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بهذه الآیات أن یطهر مجتمعه من أدرانهذه العادهٔ الشریرهٔ التی انتشرت فی البیئهٔ بقوهٔ، وکانت آفهٔ متفشیهٔ ومتجذرهٔ فی المجتمع، بحیث إنّ معالجتها کانت تحتاج إلی وقت طویل وأُسلوب مدروس، وقد تحتم أن یعالَج هذا الوباء الاجتماعی من خلال إعداد الناس لمرحلهٔ التحریم النهائی والقطعی تماماً، کما یفعل الطبیب للمرضی الذین یطول بهم المرض ولذا فإنّها حرمت فی أربع مراحل.

و فی هذه السنهٔ ولد السبط الأَصغر للنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أی الإِمام الحسین (علیه السلام) فی ۳ شعبان.

کما توفیت السیدهٔ فاطمهٔ بنت أسد أُمّ الإِمام علی (علیه السلام) .

وأمر الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) زید بن حارثهٔ أن یتعلم السریانیهٔ من الیهود.(۱_____)

۱ . إمتاع السماع: ۱|۱۸۷؛ تاریخ الخمیس:۱|۴۶۴.

الفصل السابع أحداث السنهٔ الخامسهٔ و السادسهٔ

اشاره

الفصل السابع أحداث السنهٔ الخامسهٔ و السادسهٔ من الهجرهٔ

أحداث السنهٔ الخامسهٔ من الهجرهٔ

أحداث السنهٔ الخامسهٔ من الهجرهٔ

الفصل السابع ۱. أحداث السنهٔ الخامسهٔ من الهجرهٔ ـ غزوهٔ دومهٔ الجندل ـ غزوهٔ الاَحزاب

ـ غزوهٔ بنی قریظهٔ ـ زواج الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) بزینب بنت جحش ۲. أحداث السنهٔ السادسهٔ من الهجرهٔ ـ الیهود ـ قبیلهٔ بنی لحیان

ـ بنو غطفان ـ غزوهٔ بنی المصطلق

ـ قصهٔ الاِفک ـ الحدیبیهٔ (۱۴۶) (۱۴۷) أحداث السنهٔ الخامسهٔ من الهجرهٔ ۱. غزوهٔ دومهٔ الجندل(۱)

خرج الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی ألف من المسلمین إلیها لما ذکر عن أهلها من أنّهم یظلمون الناس والتجار وینوون الاِغارهٔ علی المدینهٔ، إلاّ أنّ الاَهالیترکوها وهربوا منها عند اقتراب المسلمین منها، فأقام بها النبیأیّاماً ثمّ عاد إلی المدینهٔ فی ۲۰ من شهر ربیع الثانی، دون حدوث قتال. ۲. غزوهٔ الاَحزاب

بعد أن أجلی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) یهود بنی النضیر عن المدینهٔ، قرر زعماوَهم إجراء أعمال عدائیهٔ ضدّ المسلمین وذلک بالتآمر علیهم، فقدموا مکّهٔ لیحرضوا قریشاً علی حرب المسلمین بقولهم: إنّا سنکون معکم علیه حتی نستأصله، فلقد جئنا لنحالفکم علی عداوهٔ محمّد وقتاله، إنّ محمّداً قد ترکم ووترنا وأجلانا عن المدینهٔ من دیارنا وأموالنا. کما أنّهم استخدموا اسلوبهم

---

۱ . منطقهٔ بین دمشق و المدینهٔ؛ طبقات ابن سعد: ۲|۴۴.

الملتوی حتی یوَثروا فی قریش ویجذبونهم لجانبهم، فأقرّوا لهم بأنّ ما علیه المشرکون خیرٌ من دین محمّد، بالرغم من أنّهم موحدون وقریش کفّار یعبدون الاَصنام، فکانت هذه وصمهٔ عار أُضیفت إلی سجلّهم وتاریخهم المشوَوم.

وبذا فإنّهم شکّلوا اتحاداً ـ العرب والیهود ـ کما شارکتهم أحزاب أُخری، من بعض القبائل العربیهٔ فی شبه الجزیرهٔ العربیهٔ، وهی غطفان فی نجد، وبنو سلیم وبنو أسد وغیرها،ولذا سمیت بمعرکهٔ الاَحزاب، أو معرکهٔ الخندق، لما قام به المسلمون من حفر خندق حول المدینهٔ للدفاع عنها.

وحینما جاء أحد رجال استخبارات النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بأخبار خروج تلک القوهٔ الکبیرهٔ، شاور (صلی الله علیه وآله وسلم) المسلمین فی أسالیب الحرب والدفاع، فافترح سلمان الفارسی حفر خندق حول المدینهٔ، حتی یمکن تحدید الموقع الذی سیحاربون فیه العدو، فشرعوا فی حفره واشترک النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بنفسه فی أعمال الحفر مشارکاً للمسلمین همومهم وآلامهم، کما کان له دوره الموَثر فی تنشیط الآخرین ودفعهم للعمل السریع والاجتهاد فیه والتدقیق. ووصل طول الخندق نحو خمسهٔ کیلومترات ونصف الکیلومتر(۵ و ۵کم)، والعرض بمقدار خمسهٔ أمتار، والعمق أیضاً خمسهٔ أمتار، بحیث لا یتمکن الفارس الماهر من عبوره بالقفز علیه. وانتهی من العمل فیه فی ستهٔ أیّام. وفی هذه الفترهٔ قال الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی شأن سلمان: «سلمان منّا أهل البیت».(۱)

وقام العدو بحصار المدینهٔ شهراً، وبلغ عدد جیش المشرکین، عشرهٔ آلاف فرد، کان منهم أربعهٔ آلاف من قریش، و ۷۰۰ من بنی سلیم، و ۱۰۰۰ من قبیلهٔ

---

۱ . المغازی:۲|۴۴۶؛ الکامل فی التاریخ:۲|۱۲۲.

فزارهٔ، و ۳۵۰۰ مقاتل من بقیهٔ القبائل. أمّا عدد المسلمین فلم یتجاوز ۳ آلاف نزلوا فی سفح جبل سلع فی موضع مرتفع ومشرف علی الخندق، یمکن منه مراقبهٔ تحرکات العدو ونشاطاته.

ولما كان الموسم موسم شتاء، والطعام قليلاً، وطالت فترة الحصار ـ شهر ـ فإنّ ذلك دفع المشركين إلى الاتّصال بيهود بنى قريظة الذين كانوا يعيشون داخل المدينة لمساندتهم، بالرغم من أنّهم احترموا الميثاق الذى عقدوه مع الرسولإلاّ أنّ «حيى بن أخطب» تمكن من إقناعهم بنقض ذلك العقد للوقوف مع الأحزاب فى حرب المسلمين. وقد تأكد رسولا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : سعد بن عبادهٔ و سعد بن معاذ رئيسا الأوس والخزرج من موَامرهٔ بنى قريظهٔ ونقضهم للعهد، عندما توجها إلى حصونهم، فأخبرا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بذلك.

وكانت خطتهم التآمريهٔ تقضى بأن يقوم بنو قريظهٔ بالإغارهٔ على أهل المدينهٔ فى الداخل، ويرعبوا أهلها ليخفف ذلك من الضغط على الكفّار فى موقع المعركهٔ عند الخندق. إلاّ أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أرسل ۵۰۰ من رجاله بقيادهٔ «زيد بن حارثهٔ و مسلمهٔ بن أسلم» لحراسهٔ المدينهٔ من الأعداء.

وأمّا فى ميدان المعركهٔ، فقد تمكن خمسهٔ من شجعان المشركين من عبور الخندق وعلى رأسهم «عمرو بن عبد ود العامرى» فطلبوا المبارزهٔ مع أبطال المسلمين. فقال الرسول ص: «أيّكم يبرز إلى عمرو أضمن له الجنهٔ؟». فقام الإمام على (عليه السلام) قائلاً: «أنا له يا رسول اللّه»، والقوم ناكسوا روَوسهم، وكأنّ على روَوسهم الطير، وذلك لمكان عمرو وشجاعته المعروفهٔ.(۱)

---

۱ . المغازى:۲|۴۷۰.

(۱۵۰)

وبذا فقد برز الإمام على (عليه السلام) وقال النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» هنا كلمته الخالدهٔ: «بَرَزَ الإيمانُ كُلّه إلى الشرك كلّه». وتمكّن الإمام على (عليه السلام) من التخلص من عمرو والقضاء عليه حين ضربه ضربهٔ قويهٔ على ساقيه فقطعهما، فكبر الإمام على (عليه السلام) يعلن انتصاره ومقتل عمرو، ممّا كان له أثره فى العدو، فألقى الرعب فى نفوسهم، فهربوا إلى معسكرهم تاركين الخندق، وسقط أحدهم بفرسه فى الخندق وهو: «نوفل بن عبد اللّه» فرماه الحرس بالحجارهٔ، ممّا جعله يطلب مقاتلهٔ أحد المسلمين، فنزل إليه الإمام على «عليه السلام» فقاتله وقضى عليه فى الخندق.(۱)

ونظراً لضربهٔ الإمام على (عليه السلام) الموَثرهٔ ذات النتيجهٔ والفعاليهٔ، فقد قال عنها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : «ضربهٔ علىّيوم الخندق أفضل من عبادهٔ الثقلين» إذ لم يبق بيت من بيوت المشركين إلاّودخله ذل بقتل عمرو بن عبد ود، على عكس ما حدث لبيوت المسلمين، فقد دخله بذلك العزّ والافتخار، فالضربهٔ كانت فى الواقع هزيمهٔ للمشركين والأحزاب ونهايهٔ لقوتهم، بالإضافهٔ إلى الظروف السائدهٔ، من قلّهٔ الطعام والعلف والبرد. عوامل تفرّق الأحزاب

۱. اختلاف قبائل غطفان و فزارهٔ مع قريش و تخاذلهم فى الهجوم، وخاصهٔ عندما اتصل بهم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) للاتّفاق على عودتهم وتراجعهم فى مقابل مساعدتهم ماديا.

۲. مصرع فارسهم الأكبر عمرو بن عبدود الذى علّقوا عليه الآمال فى الانتصار_____.

۱ . بحار الأنوار: ۲۰|۲۵۶؛ تاريخ الطبرى: ۲|۲۴۰.

(۱۵۱)

۳. دور «نعيم بن مسعود» فى تفرقهٔ أعداء الإسلام و إيقاع الخلاف بينهم، وكان قد أسلم حديثاً، فقد تمكن بدهائه من التفرقهٔ بين يهود بنى قريظهٔ وجيش الأحزاب، حيث أقنع اليهود بأن يأخذوا رهائن من العرب ليكونوا ضماناً فى مقابل تعاون اليهود مع المشركين قائلين: «حتى نناجز محمداً، فإنّنا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسرعوا إلى بلادكم وتتركونا، والرجل فى بلدنا ولا طاقهٔ لنا بذلك منه» وفى نفس الوقت طلب من قريش عدم إعطاء اليهود أحداً من رجالهم إذا طلبوا منهم ذلك، فإنّهم سيرسلونهم إلى النبيليقتلهم.

وهکذا فقد جری الاَمر کما رسمه «ابن مسعود»إذ أنّ الاَطراف المتحالفهٔ تأکدت من النوایا السیئهٔ فانسحبت بنو قریظهٔ، وتفرق الشمل ورجع الکفّار خائبین.

۴. عامل إلهی، حین بعث اللّه علیهم فجأهٔ، العاصفهٔ والریح واشتد البرد، فقلعت خیامهم وأطفأت أضواءهم، فصاح بهم أبو سفیان: ارتحلوا فإنّی مرتحل.

وقد سجل القرآن الکریم وقائع هذه المعرکهٔ وأشار إلی أبرز النقاط فیها ضمن ۱۷ آیهٔ من سورهٔ الاَحزاب ۹ـ۲۵.

وقسمت الآیات الموضوع إلی ثلاثهٔ أقسام:

۱. آیات ترسم الوضع العام للمسلمین.

۲. آیات تتعرض لموقف المنافقین.

۳. آیات تبین موقف المؤمنین الصادقین.

فهی توَکد دور عنایهٔ اللّه بالمؤمنین وحمایتهم من أعدائهم الکافرین، کما

(۱۵۲)

أنّها تشرح الحالهٔ العسکریهٔ للمسلمین، من حصار الاَعداء لهم من کلّجههٔ، ممّا ألقی الرعب فی قلوب الیهود من أهل المدینهٔ، وما أظهره المنافقون من إشاعات وتشکیکات بالوضع، لإلقاء روح الهزیمهٔ بین الاَفراد.

وبالتالی فهذه الواقعهٔ التی انتهت فی ۲۴ من شهر ذی القعدهٔ، کانت امتحاناً اختباراً دقیقاً للنفوس والقلوب، میّزت الصادق عن المنافق، والموفون بالعهد و عن الناقضین له، کما کشفت عن أنّ وعود اللّه صادقهٔ ومحقّقهٔ متی توفرت شرائطها ومقدماتها، کما أنّهاأشارت إلی دور الطابور الخامس فی إضعاف الجبهات، وأسالیب مواجهتها. ۳. غزوهٔ بنی قریظهٔ

قرر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) معالجهٔ قضیهٔ بنی قریظهٔ بعد المعرکهٔ دون انتظار، وذلک بأمر من اللّه تعالی. فسار مع المسلمین لیحاصر حصونهم التی تحصنوا بها وأغلقوا الاَبواب. ولما کان الیوم ـ السبت ـ فإنّهم لم یبتغوا القتال فیه أو الحرب. ثمّ إنّ وفداً منهم طلب من النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یترکهم یخرجوا من المدینهٔ بأموالهم مثلما فعل مع بنی النضیر، أو یترکوا سلاحهم وأموالهم، فرفض النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) مقترحاتهم ومطالبهم حتی لا یفعلوا فعلَبنی النضیر فی تحریک العرب المشرکین ضد المسلمین،ولذا فقد سلّموا أنفسهم للمسلمین دون أیَّهٔ شروط، فدخل المسلمون الحصن وجردوهم من سلاحهم وحبسوهم حتی یتقرر مصیرُهم، أو یحکم فیهم سعد بن معاذ الاَوسی حلیفهم. وفی المجلس الذی أعدّ لذلک، حکم سعد علیهم بقتل الرجال، وتقسیم أموالهم وسبی ذراریهم ونسائهم، رغم الإلحاح علیه بحسن الحکم فی

(۱۵۳)

حلفائه بنی قریظهٔ.(۱)

وقد استند فی حکمه إلی:

أ: أنّ یهود بنی قریظهٔ کانوا قد تعهدوا للنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بأنّهم لو تآمروا ضدّ المسلمین وناصروا أعداءهم أو أثاروا الفتن والقلاقل، فإنّ للمسلمین الحقّ فی قتلهم ومصادرهٔ أموالهم وسبی نسائهم.

ب: وأنّ حکمه جاء بمثل ما فی شریعتهم.

ج: ما قد رآه بعینه ممّا صدر قبل ذلک من قبائل الیهود حین عفا عنهم النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ولکنّهم نقضوا عهودهم معه «صلی الله علیه وآله وسلم» وأثاروا الاَجانب علیهم واشترکوا مع المشرکین ضدّهم، الاَمر الذی جعله یتخوف من أن یعرّض هوَلاء مرکز الإسلام للخطر من خلال موَامراتهم. وخاصهٔ أنَّهم کانوا قد أخلّوا بالاَمن فترهٔ من الزمن فی المدینهٔ، ولولا الحراسهٔ المکثفهٔ التی عینها الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) لفعلوا أفظع الاُمور والاَعمال.

وقد قسمت الغنائم بين المسلمين بعد إخراج الخمس منها، وأُعطى للفارس سهمان،وللراجل سهم واحد، وسلم الرسول ص أموال الخمس لزيد بن حارثة، ليشترى بها السلاح والعتاد والخيل من نجد.(۲)

وقد استشهد سعد بن معاذ الذى كان قد جرح فى معركة الخندق، بعد أحداث بنى قريظة. وانتهت هذه المشكلة فى ۱۹ من شهر ذى الحجّة_____.

۱ . السيرة النبوية:۲|۲۴۰؛ المغازى:۲|۵۱۰؛ زاد المعاد:۲|۷۳.

۲ . السيرة النبوية:۲|۲۴۱؛ تاريخ الطبرى: ۲|۲۵۰؛ زاد المعاد:۲|۷۴.

(۱۵۴) ۴. زواج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بزينب بنت جحش

كان «زيد بن حارثة » قد سرقه قطاع الطرق وباعوه فى سوق عكاظ، فاشتراه حكيم بن حزام وأهداه لعمته السيدة خديجة بنت خويلد(عليها السلام) التى أهدته بدورها إلى النبيبعد زواجهما. وقد دفعت أخلاق النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» وسيرته الحسنة إلى أن يحبه زيد حباً شديداً إلى آخر عمره، حتى أنّه فضل العيش معه (صلى الله عليه وآله وسلم) على الرجوع إلى أهله.

ولما قرر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأمر من اللّه تعالى أن يحطّم التقاليد الجاهلية فى المجتمع العربى، ليعيشوا جميعاً تحت لواء الإنسانية والتقوى إخوة متحابين، فقد زوّج زيداً من ابنة عمته زينب بنت جحش، حفيدة عبد المطلب، مع ما بينهما من الاختلاف فى مستوى الانتماء القبلى والمكانة الاجتماعية إلّا أنّ زواجهما لم يدم طويلاً فافترقا بعد الطلاق. ثمّ تزوجها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وذلك للتخلّص من تقليد جاهلى آخر مترسب فى المجتمع، حيث كان يعتبر الابن المتبنّى كالابن الحقيقى،يعامله مثله تماماً فى الحقوق والواجبات. ولذا فقد كلف اللّه تعالى نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يقضى على هذا التقليد الجاهلى والسنّة الخاطئة بإجراء عملى ظاهر للعيان، و هو التزوّج من زينب مطلّقة متبنّاه زيد:(فَلَمّا قَضى زَيدٌ مِنْها وَطَراً زَوَّجْناكَها لِكَى لا يَكُونَ عَلى الْمُؤْمِنينَ حَرَجٌ فى أَزواجِ أَدْعيائِهِمْ إِذا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكانَ أَمْرُ اللّهِ مَفْعُولاً).(۱)

---

۱ . الاَحزاب:۳۷.

(۱۵۵)

أحداث السنة السادسة من الهجرة

أحداث السنة السادسة من الهجرة ۱. اليهود

كان لابدّ من القضاء على خطر اليهود، إذا أراد المسلمون حياة الاستقرار والاَمن، حتى لا تتكرر قضية الاَحزاب مرّة أُخرى، فأرسل النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» مجموعة من شجعان الخزرج لتصفية هذا العنصر الحاقد، وكان على رأسهم: سلام بن أبى الحقيق، الذى عاش فى خيبر، فخرجوا حتى وصلوا خيبر فدخلوها ليلاً، فدخلوا على المفسد وقتلوه، إذ طالما أزعج المسلمين بفتنه ومؤامراته، وعادوا إلى المدينة سالمين. ۲. قبيلة بنى لحيان

قرر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى هذه السنة تخويف هذه القبيلة، التى اعتدت من قبل على عدد من دعاة المسلمين غدراً ودون رحمة، فقام بسلسلة من المناورات العسكرية واستعراض لقواته القتالية، ليرهب أعداء اللّه الآخرين أيضاً و قريش خاصة فيذعرهم حيث كان الرسول ص وأصحابه قد نزلوا

(۱۵۶)

عسفان على مقربة من مكة، وكان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من رأيه، أنّه : «لو هبطنا عسفان لرأى أهل مكّة أنّا قد جئنا مكة». كما ذكر جابر بن عبد اللّه الاَنصارى أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال عند رجوعه إلى المدينة: «أعوذ باللّه من وعثاء السفر،

وكآبة المنقلب، وسوء المنظر فى الأَهل والمال».(۱) ۳. بنو غطفان

فى ۳ من شهر ربيع الأَوّل، اعتدى جماعة من بنى غطفان على إبل لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى منطقة الغابة ـ وهى قريبة من المدينة من ناحية الشام ـ و قتلوا رجلاً وأخذوا امرأة، فطاردهم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وقاتلهم فى ذى قرد، واستعاد منهم المرأة وعدداً من الإبل . ۴. غزوة بنى المصطلق

وهم من قبائل خزاعة المتحالفة مع قريش. قرر زعيمها «الحارث بن أبى ضرار» أن يغزو المدينة، فأعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عدّته للقضاء عليهم، فخرج عندما علم من رجال مخابراته بنواياهم، فلقيهم عند ماء «المريُسيع» وقاتلهم فتفرقوا، وغنم المسلمون منهم كثيراً كما سبوا عدداً كبيراً من نسائهم.

وبعد المعركة، حدث أن تقاتل اثنان من المهاجرين والأَنصار على الماء، حتى كادت أن تقع حرب بين الطرفين، لولا حكمة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» الذى تمكن من إخماد الفتنة فى مهدها، وتجنيب المسلمين أخطارها. إلاّ أنّ عبد اللّه بن أُبىّ رئيس المنافقين استغل الموقف فأثار الأَنصار ضدّ

---

۱ . تاريخ الطبرى:۲|۲۵۴؛ المغازى ۲|۵۳۵؛ إمتاع الأَسماع:۱|۲۵۹.

المهاجرين، على أساس أنّهم أقلّ مكانة منهم، ممّا تركت كلماته أثرها فى نفوسهم، إذ أنّهم ما زالوا يعانون من بقايا العصبية الجاهلية. وكادت الحركة أن توجه ضربة قاضية إلى صرح الوحدة الإِسلامية والإِخوة الإِيمانية، ولكن زيد بن الأَرقم ظهر من بين فتيان المسلمين ليرد عليه بالكلمات القوية: «أنت واللّه الذليل القليل المبغض فى قومك، ومحمّد فى عز من الرحمن ومودة من المسلمين، واللّه لا أحبك بعد هذا أبداً». ثمّ سار إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبره بما حدث من المنافق، فأراد الرسول أن يهدّئ الأَوضاع، فأمر بالرحيل فى ساعة من النهار لم يكن يرتحل فيها عادة، كما أنّه سار ليلاً ونهاراً دون إستراحة إلاّللصلاة، وذلك حتى يشغلهم عن الذى حدث من عبد اللّه بن أُبىّ المنافق.

وقد طلب ابنه عبد اللّه من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يسمح له بقتل أبيه، حيث كان مسلماً حقيقياً أفضل من أبيه، ولكن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: «بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا».

فما كان من المسلمين إلاّ أن توجّهوا باللوم على ابن أُبىّ، فلحقه من ذلك ذلّشديد بين الناس ، فلم يعبأ به أحد، ولم يعد له أيّدور، وعاش بقية حياته محتقراً بين الناس.

وقد تزوّج الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) «الجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار» التى كانت من بين سباياهم، فأسلمت وأسلم أهلها، ثمّ أطلق الباقون وهم مائة عائلة من بنى المصطلق، إذ اعتبروا من أصهار النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» ،وأطلق جميع أسرى بنى المصطلق رجالاً ونساء بفضل هذا الزواج المبارك، وبفضل سياسة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الحكيمة.

وفى هذه السنة خرج جماعة من قريش تنشد اللجوء إلى الحبشة خوفاً من قوة المسلمين، وكان فيهم عمرو بن العاص، الذى قدم الهدايا الكثيرة إلى الملك،

الذى نصحه بأن يعلن إسلامه، إذ لا مفر من انتشار الإِسلام فى بلاده، فاضطر إلى أن يسلم على يديه، وكتم أمره عن أصحابه.(۱) ۵. قصة الإِفك

يرى أكثر المحدّثين المفسرين أنّالقصة ترتبط بالسيدة عائشة زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويذكرون أحداثاً لا يتلاءم بعضها مع عصمة الرسول الأَعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولذا لا يمكن القبول بها (۲) بينما يذهب آخرون إلى المعنى فيها هو

ماريهٔ القبطيهٔ زوجهٔ رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» وأَمّ إبراهيم.

ففى روايهٔ البخارى التى نقلها عن السيدهٔ عائشهٔ، ما يتنافى بقوهٔ مع عصمهٔ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ،لاَنّها تكشف عن أنّه وقع «صلى الله عليه وآله وسلم» فريسهٔ بأيدى الشائعات الكاذبهٔ إلى درجهٔ أنّه غيّر سلوكه تجاه السيّدهٔ عائشهٔ، بعد أن شكّ فى عفافها وشاور أصحابه فى أمرها.(۳) إنّمثل هذا الموقف مع شخص برىء لاـ يوجد أى دليل على تهمته، لاـ يتنافى فقط مع مقام العصمهٔ النبويهٔ، بل حتى مع مقام المؤمن العادى. كما أنّ الآيهٔ ۱۲ و۱۴ من سورهٔ النور توبخ أُولئك الذين وقعوا فريسهٔ الشائعات و ظنوا السوء، ممّا يعنى أنّهذا العتاب والتوبيخ كان يعم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً لو صحت روايهٔ البخارى هذه. ولذا فإنّه يُرفض كلّالروايهٔ المذكورهٔ فى شأن النزول الذى يتناقض مع عصمهٔ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم_____) .

۱ . لاحظ الاِختلاف فى الموقف هنا و فى أوّل عهد الاِسلام بمكهٔ.

۲ . الدر المنثور:۵|۲۴.

۳ . صحيح البخارى:۶|۱۰۲،تفسير سورهٔ النور.

(۱۵۹)

وأمّا بالنسبهٔ لروايهٔ البخارى الاُخرى بشأن النزول، والتى ينقلها عن عائشهٔ ومفادها: أنّه حدث شجار وصدام بين الاَوس والخزرج أمام الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» حينما كان يخطب على المنبر، فاتّهموا بعضهم بعضاً بسبب قضيهٔ الاِفك، حتى أشار عليهم (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسكوت فهدّأهم حتى انصرفوا، فهى كذلك لا تتناسب مع أحداث التاريخ الصحيح، إذ أنّ «سعد بن معاذ» رئيس الاَوس كان قد توفّى قبل حادثهٔ الاِفك، التى جرت وقائعها بعد أحداث معركهٔ بنى قريظهٔ، وقد صرح بذلك البخارى نفسه فى صحيحه(۱) فى باب معركهٔ الاَحزاب وبنى قريظهٔ، فكيف يمكن أن يحضر مجلس النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» ويجادل سعد بن عبادهٔ فى قضيهٔ الاِفك التى وقعت بعد أحداث بنى قريظهٔ بعدّهٔ شهور؟

ولذا فمن المهم أن نعرف أنّ حزب النفاق حاول أن يزلزل النفوس بإلقاء التهمهٔ والبهتان إلى إمرأهٔ صالحهٔ ذات مكانهٔ وأهميهٔ فى المجتمع الاِسلامى. وقد فسر قوله تعالى: (الذى تولّى كبره) بأنّ الذى تحمل القسط الاَكبر من هذه العمليهٔ الخبيثهٔ هو: «عبد اللّه بن أُبى» فهو الذى قاد هذه العمليهٔ الرخيصهٔ الخطرهٔ، كما صرحت بذلك السيدهٔ عائشهٔ نفسها.(۲) فقد كان «عبد اللّه بن أُبى» يعمل بتجارهٔ الجوارى ويضعهن تحت تصرف الرجال للزنا بهن، فيجنى أرباحاً طائلهٔ من وراء هذه التجارهٔ البغيضهٔ، حتى بعد انتشار الاِسلام فى المدينهٔ. ولما كان يكرههن على البغاء، واشتكت إحدى نسائه من ذلك، فقد نزلت الآيهٔ الكريمهٔ تشجب عمله الدنىء: (وَلا تُكرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلى البِغاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الحَياةِ

---

۱ . صحيح البخارى:۵|۱۱۳.

۲ . السيرهٔ النبويهٔ:۲|۲۹۷، وقد فطن ابن هشام لهذه الناحيهٔ فترك ذكر سعد بن معاذ بينما غفل عنها البخارى فى صحيحه.

(۱۶۰)

الدُّنيا) (۱) وعندما حدث العداء بينه وبين ابنه بعد واقعهٔ بنى المصطلق، عمد إلى فعل كلّ ما يشفى غليله ويذهب غيظه، كترويج الشائعات الكاذبهٔ انتقاماً من المجتمع الاِسلامى، ليعمل على بلبلهٔ الرأى العام ويشغله بالتوافه من القضايا، ويصرفه عن القضايا المهمهٔ والمصيريهٔ، إذ أنّ سلاح الشائعات يعتبر من الاَسلحهٔ المدمرهٔ،وتستخدم فى تشويه سمعهٔ الاَفراد الصالحين والمجتمع أيضاً.

أمّا الروايهٔ الاُخرى، فترى أنّ المقصود من الآيهٔ ماريهٔ القبطيهٔ، حيث اتهم فردٌ يدعى جريح بعد وفاهٔ ابنها إبراهيم بأنّه هو والد إبراهيم وليس النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» فأرسل ص الاِمام علياً ليقتله، فصعد جريح إلى نخلهٔ خوفاً من على (عليه السلام) وفتكه به، فتعقّبه علىٌ، فرمى بنفسه من فوقها فبدت عورته، فإذا ليس له ما للرجال ولا له ما للنساء، فرجع على (عليه السلام) إلى النبى «صلى الله

عليه وآله وسلم» فأخبره بما رأى، فقال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : الحمد للّه الذى صرف عنّا السوء أهل البيت .(۲) وجميع هذه الروايات ضعيفة فلا يمكن القبول بها فى شأن نزول آيات الإفك. ۶. الحديبية: رحلة دينية سياسية

كانت السنة ۶ هـ تقترب من نهايتها حينما رأى الرسولفى المنام أنّه دخل الكعبة وحلق رأسه وأخذ مفتاح البيت. فقص ص روَياه على أصحابه، وتفاءل بها خيراً.(۳_____)

۱ . النور:۳۳.

۲ . بالرغم ما ذكر عن الإمام على (عليه السلام) أنّه لم ينظر إلى عورة قط، ولذا قيل عنه كرم اللّه وجهه.

۲ . مجمع البيان:۹|۱۲۶.

(۱۶۱)

إنّ هذه الرحلة الروحانية انتجت مصالح اجتماعية وسياسية، عزّزت مكانة المسلمين فى الجزيرة العربية وساعدت على نشر الدين الإسلامى فيها، وذلك لأنّ:

ـ القبائل العربية المشركة تصورت أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) خالف كلّ عقائد العرب وتقاليدهم الموروثة بما فيها الحج والعمرة، فأكد بذلك الصلح وتجنّب القتال فى الشهر الحرام أنّه لا يعارض تلك الطقوس الدينية، بل يعتبرها فريضة مقدسة مثل والد العرب الأكبر «إسماعيل بن إبراهيم» ويعمل على المحافظة على هذه التقاليد الدينية، ممّا قلل من مخاوفهم تجاه الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» ودعوته.

ـ و لما لم يكن يحمل أسلحة معه على أساس حرمة الأشهر الحرم، فإنّ ذلك غيّر من نظرة هؤلاء تجاه دعوة الإسلام حين شاهدوا الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وهو يحرّم القتال فى الشهر الحرام،ويدعو إلى رعاية هذه السنّة الدينية القديمة.

ـ وستكون مناسبة يتمكن المهاجرون فيها من زيارة وطنهم وأهاليهم وأقربائهم. أمّا إذا منعتهم قريش من الدخول فإنّ سمعتها هى تتعرض للخطر، ويتضح عدوانُها، وينكشف للجميع بطلان مواقفها، نظراً لموقفها السّيىَ تجاه جماعة مسالمة أرادت أداء مراسم العمرة فقط.

ـ و إذا نجح المسلمون فى سعيهم بأداء مناسك العمرة، فإنّه سيكون أفضل إعلام لجميع مناطق العرب، إذ أنّنداء الإسلام سينتشر فى تلك البقاع والمناطق التى لم يصلها دعاة النبى ص ومبلغوه حتى هذا الوقت.

ـ و لذا فإنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر أصحابه بالتهيّوَ للعمرة داعياً القبائل المجاورة التى لم تزل على كفرها وشركها إلى مرافقة المسلمين فى هذه الرحلة وبلغت أعدادهم ألف وأربعمائة أو ۱۶۰۰ أو ۱۸۰۰، أحرموا فى ذى الحليفة فشاع فى الجزيرة العربية أنّ المسلمين متجهون صوب مكة للعمرة فى شهر ذى القعدة.

(۱۶۲)

وعند عُسفان، أخبروا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنّقريشاً ترفض السماح لهم بالدخول إلى مكّة، كما أرسلت كتيبة من أفرادهم بقيادة: خالد بن الوليد، لتنفيذ الأوامر المعلنة، فغيّر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) طريقه حتى لا يلتقى بخالد،سالكاً طرقاً وعرة حتى وصل الحديبية، التى بركت فيها ناقة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فنزلوا فى ذلك المكان، إلّاأنّ خالد بن الوليد تمكن من الوصول بكتيبته وحاط بهم وحاصر موكبهم. ولكن النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» لم يكن قد جاء ليحارب فى سبيل دخول مكة، ولم يكن هذا هدفه، ولذا فإنّ التفاوض كان من أفضل الحلول لهذه المشكلة، فقال «صلى الله عليه وآله وسلم» : «لا تدعونى قريش اليوم إلى خُطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلّاأعطيتهم إيّاها». فبلغ ذلك مسامع الجميع، فقرروا إرسال عدد من أفرادهم إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) للتعرف على هدفه الأصلى من رحلته ومجيئه إلى مكة، فبعثوا إليه بأربعةأشخاص لتفهّم موقف الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» فقال لهم (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنّا لم نجئ لقتال أحد ولكنّا جئنا معتمرين».

إلاّـأنّ المنـدوبين أكـدوا للمسـلمين أنّ قريشـاً لن تقبل بـدخولهم مكـهٔ: «يعاهـدون اللّه لا تـدخلها عليهم عنوهٔ أبـداً». فـذهبت كلّتلك المفاوضات سـدى دون جـدوى، ممّا جعل الرسول ص يرسل مندوباً عنه إلى قريش يوضح الصورهٔ الصـحيحهٔ لهدفهم،وهو زيارهٔ بيت اللّه وأداء مناسك العمرهٔ، إلاّأنّقريشاً ـ خلافاً لكلّالاَعراف الدوليـهٔ والاجتماعيهٔ ـ والتى تقضـى بحمايهٔ السـفراء واحترامهم، عمدت إلى عقر الجمل الـذى قدم عليه السـفير والمندوب النبوى، بل كادوا أن يقتلوه أيضاً، لولا تدخل جماعهٔ من قادهٔ العرب، فخلّت سبيله ليعود إلى النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) . كما أنّقريشاً أرسـلت كتيبهٔلإرهاب الرسولوجماعته وإرعابهم ونهب شـىء من أموالهم، إلاّ أنّ الوضع لم يكن فى صالحهم فقد أسـرهم المسـلمون وكانوا خمسـين فرداً، فتدخل النبى (صـلى الله عليه وآله وسلم) وعفا عنهم و خلّى سبيلهم، ليوَكد لهم أنّه جاء يريد السلام، وأنّ هوَلاء ينشدون الحرب والقتال.

(۱۶۳)

واختار الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) «عمر بن الخطاب» لمهمهٔ سـفارهٔ أُخرى لقريش، لاَنّه لم يكن قد أراق دم أيّمن المشركين حتى ذلـك الوقت، ولكنّه اعتـذر عن تحمّـل هـذه المسوَوليـهٔ المحفوفـهٔ بالمخاطر قائلاً: «يا رسول اللّه، إنّى أخاف قريشاً على نفسـى، وليس بمكـهٔ من بنى عـدى من يمنعنى،ولكنّى أدلّـك على رجـل أعزّ بهـا منّى عثمـان بن عفان».(۱) إلاّـ أنّ قريشـاً ألقت القبض على عثمـان وحبسـوه،لعلّهم يتوصـلون إلى حـلّ فيطلقوه ليبلغ الرسولرأيهم. فلمّـا أبطأ عثمـان عنهم، وأوجـد ذلـك قلقـاً شديـداً فى نفوس المسـلمين، وخاصـهٔ إنّه أُشـيع أنّ عثمان قتل، فإنّالمسـلمين ثاروا وقرروا الانتقام والقتال، ممّا دعا النبيإلى أن يجدّد بيعته مع المسـلمين، فبايعوه تحت الشـجرهٔ على الاسـتقامهٔ والثبات والوفاء، وحلفوا ألاّ يتخلّوا عنه أبداً، وأن يدافعوا عن حياض الاِسلام حتى النفس الاَخير، وسـميت هـذه البيعهٔ: بيعهٔ الرضوان، التى ذكرها القرآن الكريم بقوله: (لَقَدْ رَضِـىَ اللّهُ عَنِ الْمُوَمِنِينَ إِذْ يُبايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرهٔ فَعَلِمَ ما فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَـهٔ عَلَيْهِمْ وَأَثابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً) .(۲) وبـذا فإنّ موقف المسـلمين تحـدّد فى: إمّا دخول مكهٔ وزيارهٔ بيت اللّه، وإمّا القتـال فيمـا لو تصـلب موقف قريش الرافض لـذلك. ولكن «عثمـان بن عفـان» رجع إليهم وأخبرهم أنّـاليمين التى التزمت بهـا قريش بمنعهم من دخول مكهٔ هذا العام، هى التى تجعلهم فى موقف متصلب رافض، وأنّهم سيرسلون إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من يتفاوض معه فى هذا الشأن. وكُلّف سهيل بن عمرو بإنهاء هذه المشكلهٔ. ونتج عن التفاوض بين الطرفين عقد صلح شامل و

---

۱ . السيرهٔ النبويهٔ:۲|۳۱۵، كما أنّ بينه وبين أبى سفيان قرابهٔ، فهو أموى.

۲ . الفتح:۱۸.

(۱۶۴)

واسع بينهما.

وفى الوقت الـذى كـان المنـدوب القرشـى يتصـلب فى بعض البنود و المواد، فـإنّ النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم) كان يتساهل معه ويتنازل عنها، ممّا كان له أثر بعيد، فالتسامح الذى أبداه الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) فى تنظيم وثيقهٔ الصـلح، لا يعرف له نظير فى تاريخ العالم، لاَنّه أظهر بجلاء أنّ رسول اللّه «صـلى الله عليه وآله وسـلم» لم يقع فريسهٔ بيد الاَهواء والاَغراض الشخصيهٔ والعواطف والاَحاسيس العابرهٔ، فكان يعلم أنّ الحقائق لا تتبدل ولا تتغير بالكتابهٔ والمحو،وهو ما جعله يتسامح مع مفاوض قريش الذى تصلب فى مطالبه غير الشـرعيهٔ، وذلك حفاظاً على أصل الصـلح وحرصاً على السـلام. وقـد حـدث خلال ذلك، أنّ طلب المنـدوب القرشـى بأن يمسح الرسول (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ما كتبه: «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم» ويكتب بدلاً منه: باسـمك اللّهمّ. كما طلب مسح كلمهٔ «رسول اللّه» وإبدالها بمحمد بن عبد اللّه. فأجابه الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» إلى ذلك.

أمّا صلح الحديبيهٔ، فكان من أبرز بنوده:

۱. وقف القتال عشر سنين بين الطرفين.

۲. من قدم إلى النبى من قريش دون إذن وليّه، يردّه عليهم، ومن جاء قريشاً من محمّد لا يردّوه إليه.

۳. السماح بدخول أىّ طرف فى التحالف مع أيّة أطراف.

۴. يرجع المسلمون هذا العام على أن يقدموا العام القادم للعمرة.

۵.لا يُستكره أحدٌ على ترك دينه، ويعبد المسلمون اللّه بمكة بحرية وأمان.

۶. احترام الطرفين لَاموالهم، فلا خيانة ولا سرقة.

۷. لا تعين قريشٌ على محمّد وأصحابه أحداً، سواء بسلاح أو أفراد.(۱)

---

۱ . بحار الَانوار: ۲۰|۳۵۲؛ السيرة الحلبية:۳|۲۱؛ مجمع البيان:۹|۱۱۷.

(۱۶۵)

ثمّ كتبت الوثيقة بنسختين،ووقع عليها نفر من شخصيات قريش والمسلمين شهوداً عليها، وتسلم سهيل بن عمرو نسخة قريش، واحتفظ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنسخة الاُخرى.

وكثيراً ما اعترض المسلمون على بعض البنود، كالبند القاضى بتسليم كلّ مسلم سار إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من قريش، والعكس، فأوضحه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

«من جاءهم منّا فأبعده اللّه، ومن جاءنا منهم رددناه إليهم، فلو علم اللّه الاِسلام من قلبه جعل له مخرجاً». فلا قيمة لِاسلام وإيمان من يترك المسلمين ويهرب لاجئاً عند المشركين، إذ أنّه يوَكد بفعله أنّه لم يوَمن حقّاً بالاِسلام، ولذا لم يكن هناك حاجة لقبوله فى جماعتهم.

وهذا الميثاق يوَكد نزاهة الاِسلام وروحه وحقيقة تعاليمه،وأنّه لم يُطلَب نشره بقوة وإجبار، كما يذكره الَاجانب وغيرهم دوماً.

وبعد الانتهاء من تلك المراسيم وعودة جماعة قريش، قام الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بنحر ما كان معه من الهدى فى نفس ذلك المكان وحلق، وأدّى الآخرون نفس العملية، ثمّ عادوا إلى المدينة بعد ۱۹ يوماً من البقاء فى أرض الحديبية.

وكان لهذه المعاهدة نتائج وآثار بعيدة المدى، كان من أبرزها وأهمها:

۱. تهيّأت الَارضية لنشر الاِسلام فى المناطق المختلفة، بعد استقرار الَامن والسلام بين المسلمين وقريش، فقد كان يقضى (صلى الله عليه وآله وسلم) أكثر وقته فى العمل على إفشال المؤامرات والدفاع عن المدينة والدخول فى حروب.

۲ . كان لاعتراف قريش بالكيان الاِسلامى رسمياً، دوره فى منح القبائل حريتها فى الانضمام إلى المسلمين إذا شاءوا.

(۱۶۶)

۳. زال الستار الحديدى الذى ضربه المشركون حول المسلمين فى المدينة، فتمكن الناس من الارتحال إلى المدينة والتعرف عليها وعلى تعاليم الاِسلام العليا، ممّا فسح المجال لهم فى اعتناق الاِسلام كما تمكن المسلمون من السفر إلى مكة وأجزاء اُخرى، ممّا ساعد فى نشر الاِسلام فى تلك الجهات.

۴. التحق عددٌ كبير من رؤَوس الشرك والكفر كـ«خالد بن الوليد و عمرو ابن العاص» بالمسلمين واعتنقوا الاِسلام قبل فتح مكة.

۵. زال الحاجزُ النفسى بين قريش و المسلمين، حين أثبت الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» لهم بأنّه معدن عظيم من معادن الخلق الاِنسانى الكريم، بعد صبره وتجلده وتحمّله تصلّب قادة المشركين وتعنّتهم. فقد شاهدوا موقف النبى الَاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فى مخالفته لآراء المعرضين من جماعته لبعض البنود عند توقيع العقد، وذلك فى رغبة صادقة منه لاِقرار السلام بين الجانبين،فأبطل بذلك كلّالدعايات والاِشاعات المغرضة التى رُوِّجت ضدّه و ضدّ دعوته المباركة، وأثبت أنّه حقّاً رجل سلام وداعية خير للبشرية، حتى لو سيطر على مقاليد الجزيرة العربية، فإنّه سيعامل أعداءه باللطف والحسنى والتسامح.

ویوَکـد ذلـک قول الاِمام الصادق (علیه السـلام) بعـد ذلک:«وما کان قضـیهٔ أعظم برکـهٔ منها». إذ لم یکـد النبی (صـلی الله علیه وآله وسـلم) أن یصل إلی المدینـهٔ حتی نزلت سورهٔ الفتح التی وعدت المسـلمین وبشّـرتهم بالانتصار، ممّا اعتبر مقدمهٔ لفتح مکهٔ (انّا فَتَحْنا لَکَ فَتْحاً مُبیناً) .(۱)

وکانت المادهٔ الثانیهٔ من المعاهدهٔ، والتی اختلف حولها المسلمون، هی التی

---

۱ . بحار الاَنوار:۲۰|۲۶۳؛زاد المعاد:۲|۱۲۶.

(۱۶۷)

تسبّبت فی الفتـح بعـد ذلک، لاَنّ قریشاً طلبت من النبی (صـلی الله علیه وآله وسـلم) بعـد فترهٔ قصـیرهٔ من توقیع المعاهـدهٔ بإلغاء تلک المادهٔ التی تنص: علی الحکومهٔ الاِسلامیهٔ أن تعید کلّمسلم هارب من مکهٔ إلی قریش، ولیس علیها أن تعید کلّهارب من المسلمین.

ولما أثارت هذه المادهٔ المسـلمین، فإنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) طمأنَهم حینما ذکر لاَحدهم: «إنّ اللّه جاعلٌ لک ولمن معک من المستضعفین فرجاً ومخرجاً».

ذلک أنّ بعض هوَلاء المسـلمین الهاربین تمکّنوا من تأسـیس عصابـهٔ خاصهٔ فی مراکز بعیدهٔ عن مکهٔ والمدینهٔ، للنیل من قوافل قریش التجاریـهٔ والتعرض لها وقتل من یقع فی أیدیهم، الاَمر الذی أقلق بال قریش، فراسـلوا النبی صـطالبین منه إلغاء هذه المادهٔ للتخلص ممّا هم فیه من قلق وتوتر، فوافق الرسول الکریم «صـلی الله علیه وآله وسـلم» علی ذلـک، ولـذلک انضم هوَلاـء المسـلمون المتفرّقون إلی جماعهٔ المسلمین بالمدینهٔ، إلاّ أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لم یقبل بإعادهٔ المسلمات، کما حدث «لاُمّ کلثوم بنت عقبهٔ بن أبی معیط» التی هاجرت إلی المدینهٔ فطلبوها، ولکن النبی ص قال: «إنّ اللّه نقض العهد فی النساء».(۱)

وقد جاء کلّذلک کما حکی القرآن الکریم فی سورهٔ الممتحنهٔ:

(یا أَیُّهَا الّذینَ آمَنُوا إِذا جاءَکُمُ المُؤْمناتُ مُهاجِراتٍ فامْتَحِنُوهُنَّ اللّهُ أَعْلَمُ بِإِیمانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِناتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَی الکُفّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ یَحِلُّونَ لهُنَّ وَآتُوهُمْ ما أَنْفَقُوا) .(۲)

---

۱ . المغازی:۲|۶۳۱؛ السیرهٔ النبویهٔ:۲|۳۲۳.

۲ . الممتحنهٔ:۱۰.

الفصل الثامن أحداث السنهٔ السابعهٔ و الثامنهٔ من

اشاره

الفصل الثامن أحداث السنهٔ السابعهٔ و الثامنهٔ من الهجرهٔ

أحداث السنهٔ السابعهٔ من الهجرهٔ

أحـداث السـنهٔ السابعـهٔ من الهجرهٔ الفصل الثامن ۱. أحـداث السـنهٔ السابعـهٔ من الهجرهٔ ـ إعلاـن النبی (صـلی الله علیه وآله وسـلم) عن عالمیهٔ رسالته ـ أحداث خیبر

ـ قصهٔ فدک ـ عمرهٔ القضاء ۲. أحداث السنهٔ الثامنهٔ من الهجرهٔ ـ معرکهٔ موَته ـ غزوهٔ ذات السلاسل

ـ فتح مکهٔ ـ معرکهٔ حنین

ـ غزوهٔ الطائف (۱۷۰) (۱۷۱) أحداث السنهٔ السابعهٔ من الهجرهٔ ۱. إعلان النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عن رسالته عالمیاً کان من نتائج المعاهدهٔ السابقهٔ، أنّها أعطت الفرصهٔ للنبیلیفتح باب الاتّصال مع زعماء وملوک العالم وروَساء القبائل ورجال الدین المسیحی، فوجّه إلیهم الرسائل عبر سفرائه ورسله، وهی خطوهٔ اتّخذها الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» بعد ۱۹ عاماً من الصراع مع قریش المتعنّتهٔ، فقد أشغلته الجبههٔ الداخلیهٔ ومشکلاتها وأجبرته علی أن یصرف کثیراً من وقته فی ترتیب البیت الإسلامی، وشوَون الدفاع عن حیاض الإسلام وکیان المسلمین.

ولدینا الآن نصوص ۱۸۵ رسالهٔ وکتاب من قِبَل رسول اللّه ص أرسلها إلی عدّهٔ أطراف وشخصیات محلیهٔ وعالمیهٔ تدعوهم إلی تقبّل الدین الإسلامی، کما تتضمن عقد مواثیق عقدها مع روَساءالقبائل، قام بجمعها وضبطها أرباب السیر وکُتّاب التاریخ، وهی تکشف عن أُسلوب الإسلام فی الدعوهٔ والتبلیغ، وأنّه یعتمد علی المنطق والبرهان، لا علی السیف و القهر، وعلی الإقناع لا الجبر.(۱)

---

۱ . أفضل ما تناول الموضوع من مصادر کتابان: أ. الوثائق السیاسیهٔ للبروفیسور محمد حمید اللّه حیدر آبادی الأُستاذ بجامعهٔ باریس.

ب. مکاتیب الرسول للعلاّمهٔ المحقّق الشیخ علی الأحمدی.و هویمتاز بتحقیقات وتحلیلات أدبیهٔ وتاریخیهٔ وسیاسیهٔ إسلامیهٔ فی غایهٔ الأهمیهٔ.

(۱۷۲)

فالدعوهٔ الإسلامیهٔ کانت عالمیهٔ منذ ظهور الدعوهٔ المحمدیهٔ، ویمکن الرد علی المستشرقین المعادین للإسلام، والذین یوَکدون علی عدم عالمیهٔ الدعوهٔ المحمّدیهٔ، وینظرون إلیها بعین الشکّوالریبهٔ، فی محاولهٔ للتعتیم علی الحقیقهٔ، فإنّ القرآن الکریم یظهر بوضوح فی آیاته التی تشهد بأنّ النبی ص دعا البشر عامهٔ إلی التوحید وإلی مبادیَ رسالته، ولم یقتصر فی ذلک علی العرب:

ـ (وَما أَرْسَلْناکَ إِلاّ کافّهً للنّاسِ بَشیراً وَنَذِیراً) .(۱)

ـ (وَما هُوَ إِلاّ ذِکْرٌ لِلْعالَمین).(۲)

ـ (لِیُنْذِرَمَنْ کانَ حَیّاً) .(۳)

ـ (هُوَ الّذی أَرْسَلَرَسُولَهُ بِالهُدی وَدِینِ الحَقِّ لِیُظْهِرَهُ عَلی الدِّینِ کُلِّهِ وَلَوْ کَرِهَ الْمُشْرِکُون).(۴)

ولذا فإنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) اختار ستهٔ أفراد من خیرهٔ أصحابه حملوا کتبه إلی الملوک، تضمنت دعوته العالمیهٔ، إلی مختلف جهات الأرض،فتوجه سفراء الهدایهٔ ورسل الدعوهٔ المحمّدیهٔ فی وقت واحد إلی: إیران والروم والحبشهٔ ومصر والیمامهٔ والبحرین والحیرهٔ، واتّخذ من هذا الیوم الذی کتب فیه الرسائل خاتماً من فضهٔ نقشه ثلاثهٔ أسطر: محمّد رسول اللّه، فی الأعلی لفظهٔ الجلالهٔ، وتلیه کلمهٔ رسول ثمّیلیه اسمه الشریف، فختم به الکتب. کما أنّه ختم تلک الرسائل بالشمع أو الطین إمعاناً فی السریهٔ وحفاظاً علیها من التزویر_____.

۱ . سبأ: ۲۸.

۲ . القلم:۵۲.

۳ . یس:۷۰.

۴ . التوبهٔ:۳۳.

(۱۷۳) ومن أبرز مبعوثیه ورسله إلی العالم:

۱. دحیهٔ بن خلیفهٔ الکلبی: بعثه إلی قیصر الروم فی القسطنطینیهٔ.

وقد توجه إلی بصری حیث کان معه رسالهٔ إلی حاکمها،فساعده فی الوصول إلی بیت المقدس التی کان قیصر الروم قد اتجه إلیها. ولما قیل له أنّعلیه أن یسجد عند مقابلهٔ قیصر، رفض علی أساس أنّه لا یسجد لغیر اللّه: «إنّما جئتکم من قِبَلِ نبی لَایلّغ ملککم بأن عهد

عبادهٔ البشر قد انقضی وانتهی، وأنّه لا یحق السجود إلاّ للّه وحده، فکیف یمکننی ذلک وأنا أحمل هذه الرسالهٔ التوحیدیهٔ إلیکم؟».(۱)

وقرأ ترجمان القیصر کتاب النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) إلیه: «بسم اللّه الرّحمن الرّحیم، من محمّد بن عبد اللّه إلی هرقل عظیم الروم. سلام علی من اتّبع الهدی. أمّا بعد، فإنّما علیک إثم الاَریسیین. و(یا أَهْلَ الکِتابِ تَعالَوْا إِلی کَلِمَهٍ سَواءٍ بَیْنَنا وَبَیْنَکُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاّ اللّهَوَلا نُشْرِکَ بِهِ شَیْئاً وَلا یَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهدوا بِأَنّا مُسْلِمُون)(۲) . محمد رسول اللّه».

وکان قیصر قد حصل علی معلومات وافیهٔ عن الرسولمن أبی سفیان الذی کان متواجداً فی هذا الوقت فی الشام فی تجارته، کما کتب إلی أحد علماء الروم یسأل عنه (صلی الله علیه وآله وسلم) فأجابه:

«هذا النبی الذی کنّا ننتظره،بشّرنا به عیسی بن مریم».ولذا فإنّه دعا قومه إلی الإیمان به صوبالإسلام، إلاّأنّهم رفضوا ذلک وثاروا علیه، فأسکتهم،ثمّ أمر بإکرام دحیهٔ،وکتب جواباً علی رسالهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وأرسل معه هدیهٔ إلیه ص.

---

۱ . طبقات ابن سعد:۱|۲۵۹.

۲ . آل عمران:۶۴.

(۱۷۴) ۲. عبد اللّه بن حذافهٔ السهمی: إلی البلاط الفارسی.

حکم فارس خسرو برویز ثانی ملک بعد أنو شیروان، فجلس علی العرش مدّهٔ ۳۲ عاماً قبل الهجرهٔ النبویهٔ، وتمیز عهده بالاضطراب وعدم الاستقرار، بالرغم من أنّ النفوذ الإیرانی قد امتدّ حتی شمل آسیا الصغری حتی مشارف القسطنطینیهٔ، کما استولی علی صلیب عیسی المقدس عند النصاری وأحضره إلی المدائن، إلاّ أنّ الاَحوال السیّئهٔ وأسالیب الحکم غیر الصحیحهٔ أدّت إلی ضعف هذه الدولهٔ وخروج المستعمرات من تحت نفوذها، ممّا ساعد علی اجتیاح الروم لاَراضی إیران،وهروب الامبراطور خسرو برویز، الذی أثار بذلک السخط علیه، فقتله ابنه شیرویه. و برویز هذا هو الامبراطور الذی اشتهر بأنّه مزّق رسالهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وعامل رسوله بجفاء وسوء أدب، وفیما یلی نص الرسالهٔ إلیه:

«بسم اللّه الرّحمن الرّحیم. من محمّد رسول اللّه إلی کسری عظیم فارس. سلام علی من اتبع الهدی وآمن باللّه ورسوله، وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شریک له وأنّمحمّداً عبده ورسوله، أدعوک بدعایهٔ اللّه، فإنّی أنا رسول اللّه کافهٔ لاَنذر من کان حیاً، ویحق القول علی الکافرین. أسلم تسلم. فإن أبیت فعلیک إثم المجوس».

وقد مزق الإمبراطور الکتاب عند قراءهٔ أوّل جملهٔ منها ودون أن یعلم ما کان فیها، ثمّ أمر بإخراج الرسول من قصره. وعندما أُخبر النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» بذلک قال: «اللّهمّ مزّق ملکه».(۱)

إلاّأنّ الیعقوبی، ینفرد برأی آخر، بأنّالامبراطور الفارسی أرسل هدیهٔ من حریر ومسک إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) . ویوافقه علی رأیه أحمد بن حنبل فقط الذی قال: أهدی کسری لرسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) فقبل_____

۱ . طبقات ابن سعد:۱|۲۶۰.

(۱۷۵)

منه.(۱)

أمّاالإمبراطور المغرور فإنّه طلب من والیه علی الیمن باذان ـ التی کانت تتبع فارس ـ بأن یقبض علی هذا النبی ویبعثه إلیه. فأرسل هذا إلیه فارسین طلبا من النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یسلّم نفسه للامبراطور الفارسی أو یقتلاه، فردّ علیهما بأن عرض (صلی الله علیه وآله وسلم) علیهما الإسلام ، علی أن یعودا إلیه فی الیوم التالی. وفی هذه الفترهٔ، تخلص ابن الامبراطور الفارسی منه بقتله، فأخبر اللّه تعالی نبیه بذلک، فذکره للفارسین قائلاً: إنّ ربّی قد قتل ربّکما لیلهٔ کذا من شهر کذا بعد ما مضی من اللیل کذا، وسلط علیه

شيرويه فقتله. وكانت الليلة الثلاثاء من العاشر من جمادى الاَولى ۷هـ فطلبا السماح لهما بإخبار ملكهم باذان فى اليمن بما جرى، فسمح لهما الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : «نعم أخبراه ذلك عنى، إنّ دينى و سلطانى سيبلغ ما بلغ ملك كسرى وينتهى إلى منتهى الخف والحافر، وقولا له: إن أسلمت أعطيتك ما تحت يديك، وملكتك على قومك».

ولما تأكد الوالى باذان فى اليمن من صحة أقوال النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» وما حدث بفارس، فإنّه أعلن إسلامه مع جميع أعضاء حكومته ـ وهم من الفرس ـ وكتب بذلك إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) .(۲) ۳. حاطب بن أبى بلتعة، إلى مصر:

وقد نصت الرسالة إلى المقوقس حاكم مصر: «أسلم يوَتك اللّه أجرك مرّتين. فإن توليت فإنّما عليك إثم القبط».

---

۱ . مسند أحمد بن حنبل:۱|۹۶.

۲ . بحار الاَنوار:۲۰|۳۹۱.

وقد توجه الرسول إلى الاِسكندرية حيث كان يعيش هناك فى قصر شامخ، وكان متسامحاً، ممّا جعل حاطباً يتناول فى خطابه إيّاه صورة الاِسلام وقوّة النبيّص كما ذكر التوراة والاِنجيل، وأنّ الاِسلام هو الصورة الاَكمل لدين المسيح، ثمّ إنّ المقوقس طلب منه أن يصف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويبين مضمون دعوته، فقال، بعد أن سمع وصفه: «كنت أعلم أنّ نبياً بقى، وكنت أظن أنّمخرجه بالشام فأراه قد خرج من أرض العرب. والقبط لا تطاوعنى فى اتّباعه، وسيظهر على البلاد، وينزل أصحابه من بعد بساحتنا هذه حتى يظهروا على ما هاهنا».

ثمّكتب كتاباً إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أمّا بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وما تدعو إليه، وقد أكرمتُ رسولك وبعثتُ إليك بجاريتين لهما مكان عظيم فى القبط، وبثياب، وأهديت إليك بغلة لتركبها، والسلام عليك».(۱)

وحينما تسلم النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كتابه وهداياه قال: «ضنّبملكه ولا بقاء لملكه».(۲) ۴. عمرو بن أمية الضميرى، إلى الحبشة

اختير عمرو لتسليم كتاب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى نجاشى الحبشة الملك العادل، وكان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قد أرسل إليه من قبل رسائل بشأن المهاجرين المسلمين للاعتناء بهم ورعايتهم.

وشمل كتابه (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه المرة دعوته إلى الدين: «أحمد اللّه الذى لاإله إلاّهو الملك القدّوس السَّلام المؤمن المهيمن، وأشهد أنّ عيسى بن مريم روح اللّه وكلمته، وإنّى أدعوك إلى اللّه وحده لا شريك له، والموالاة على

---

۱ . طبقات ابن سعد:۱|۲۶۰.

۲ . طبقات ابن سعد:۱|۲۶۰.

طاعته وأن تتبعنى وتوقن بالذى جاءنى، فإنّى رسول اللّه وإنّى أدعوك وجنودك. وقد بلّغت ونصحت فاقبلوا نصيحتى، والسلام على من اتّبع الهدى».(۱)

ونظراً للعلاقات الطيبة بين الطرفين، فإنّ الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بدأ كتابه بالسلام عليه ومرسلاً تحياته الشخصية، فى حين أنّه لم يفعل هذا فى الكتب الاُخرى التى أُرسلت إلى كسرى و قيصر والمقوقس، فقد خصّه بالسلام عليه دون غيره من الزعماء.

أمّا النجاشى فقد اعترف بنبوة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أشهد باللّه أنّه للنبى الذى ينتظره أهل الكتاب، وإنّبشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل، وأنّه ليس الخبر كالعيان، ولكن أعوانى من الحبشة قليل، فانظرنى حتى أُكثّر الاَعوان،

وأَلين القلوب، ولو استطيع أن آتيه لَاتيته».(۲)

وكتب بذلك كتاباً إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ذكر فيه:«إلى محمّد رسول اللّه من النجاشى. سلام عليك يا نبى اللّه ورحمة اللّه وبركاته، الذى لاإله إلّا هو الذى هدانى إلى الإِسلام. أشهد أنّك رسول اللّه وقد بايعتك وبايعت ابن عمك وأسلمت على يديه للّه ربّالعالمين. فإنّى أشهد أنّ ما تقول حقّ. والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته».(۳)

كما بعث إليه بهدايا خاصة. ۵. شجاع بن وهب: إلى أمير الغساسنة:

انزعج ملكها«الحارث بن أبى شمر الغسانى» ممّا قرأ فى آخر الكتاب:«وإنّى

---

۱ . السيرة الحلبية:۳|۲۴۸؛ إعلام الورى: ۴۵.

۲ . السيرة الحلبية:۳|۲۴۸؛ الطبقات الكبرى:۱|۲۵۹.

۳ . تاريخ الطبرى: ۲|۲۹۴؛بحار الأَنوار: ۲۰|۳۹۲.

(۱۷۸)

أدعوك أن تؤمن باللّه وحده لا ـ شريك له يبقى ملكك» فقال: من ينتزع منّى ملكى؟ أنا سائر إليه ولو كان باليمن جئته. وأعدّ الجيوش واستعرض قوته العسكرية أمام سفير النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إرعاباً وتخويفاً، ثمّ أرسل إلى قيصر يخبره بنواياه، إلّا أنّقيصر هدّأ من ثائرته وكتب إليه يمنعه من السير إلى رسول الإِسلام، ممّا كان له الأَثر فى تغيير موقفه، فأكرم السفير ومنحه هدايا ثمينة، ووجهه نحو المدينة معززاً مكرماً، وأبلغ السلام إلى النبى الأَكرم «صلى الله عليه وآله وسلم» . إلّا أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يقبل بأُسلوبه الدبلوماسى غير الصادق، فقال: باد ملكه. أى أنّ ملكه سيزول عمّا قريب. فمات الحارث فى السنة ۸هـ أى بعد عام واحد.(۱) ۶. سليط بن عمرو إلى ملك اليمامة: هوذة بن على الحنفى:

ونص خطابه (صلى الله عليه وآله وسلم) إليه «إعلم إنّدينى سيظهر إلى منتهى الخف والحافر (أى يعم الشرق والغرب) فأسلم تسلم واجعل لك ما تحت يديك».

وقد استطاع السفير بما أُوتى من قوّة فى المنطق وشجاعة أدبية وخبرة بالأَسفار، أن يقنع ملك اليمامة بقبول مبادئه وأهدافه. كما نصحه أحد الأَساقفة بتقبل الدين الجديد، وأنّه هو النبى الذى بشّر به الإِنجيل. فكتب كتاباً إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قال فيه: «ماأحسن ما تدعو إليه وأجمله، وأنا شاعر قومى وخطيبهم، والعرب تهاب مكانى، فاجعل إليّبعض الأَمر اتّبعك» أى أنّه طلب أن يجعله النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) خليفة من بعده. فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : لا ولا كرامة،لو سألنى سيابة من الأَرض ما فعلت. اللّهمّ أكفنيه.(۲)

---

۱ . السيرة الحلبية:۳|۲۵۵؛ طبقات ابن سعد:۱|۲۶۱.

۲ . نفس المرجع السابق. سيابة من الأَرض: أى قطعة من الأَرض. (۱۷۹) آثار تلك الرسائل ونتائجها

أصبح هؤلاء السفراء والرسل دليلًا قاطعاً على عالمية الرسالة الإِسلامية، إذ أنّ شعوباً كبرى تعرفت على النبى العربى محمّد ص الذى تأثر به معظم هؤلاء القادة والملوك، فأصبح ظهوره ص حديث الأَوساط والمحافل الدينية بالإِضافة إلى المراكز السياسية. فقد تمكنت هذه الرسائل من إثارة مشاعر تلك الشعوب المتحضرة ودفعتهم إلى البحث والتحقيق حول من بشّر به التوراة والإِنجيل، وتسابقت أفواجٌ وفرقٌ عدة من رجال الدين وغيرهم بالقدوم إلى المدينة لدراسة أوضاع الدين الجديد والتعرف على مبادئه. ۲. أحداث خيبر: بؤرة الخطر

تقع خيبر على بعد ۳۲ فرسخاً من المدينة، وهى منطقة واسعة خصبة، سكنها اليهود وبنوا فيها الحصون والقلاع المتينة، وبلغ عدد

سکانها ۲۰ ألف فرد.

ولما کانوا ممّن اشترکوا فی جیش الاَحزاب وساعدوا المشرکین فی حربهم ضدّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) والمسلمین،فإنّالنبی «صلی الله علیه وآله وسلم» أسرع للقضاء علیهم وعلی خطرهم نحو الاِسلام والمسلمین،إذ هم أشدّ تعصباً لدینهم،من تعصب قریش للوثنیهٔ،فقد کان یعلن ألف مشرک وثنی إسلامهم فی مقابل یهودی واحد. کما أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) تخوّف من استغلال جهات أُخری معادیهٔ کالقیصر أو کسری، لهوَلاء الیهود فی القضاء علی الدولهٔ الاِسلامیهٔ، إذ لا یستبعد منهم ذلک،وخاصهٔ أنّهم کانوا المحرّضین لقریش فی محاربهٔ المسلمین.

ولذا فقد أعدَّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لغزو آخر مرکز من مراکز الیهود فی الجزیرهٔ العربیهٔ وقال: لا تخرجوا معی إلاّ راغبین فی الجهاد أمّا الغنیمهٔ فلا، فخرج معه ألف و ۶۰۰ مقاتل.

(۱۸۰)

وعندما وصل إلی المنطقهٔ، قطع الطریق عن أیّهٔ إمدادات عسکریهٔ تأتی من الشمال وذلک بقطع خط الارتباط بین قبائل غطفان وفزارهٔ ویهود خیبر، فلم تستطع هذه القبائل أن تمد حلفاءها الیهود بأیّ شیء طوال شهر هو مدّهٔ الحصار.(۱)

ولمّا کانت حصونهم وقلاعهم متینهٔ وقویهٔ وممتنعهٔ بمتاریس قویهٔ شدیدهٔ، فإنّه کان لابدّ لفتحها من استخدام تکتیک عسکری مناسب، فکان أوّل عمل قام به الرسولهو احتلال کلّ النقاط والطرق الحساسهٔ لیلاً، بالسرعهٔ والسریهٔ.

أمّا الیهود فقد قرروا فی اجتماعهم العسکری أن یضعوا الاَطفال و النساء فی حصن،والذخیرهٔ من الطعام فی حصن آخر، بینما یستقر المقاتلون علی الاَبراج یدافعون عن القلاع والحصون، فی الوقت الذی یخرج أبطالهم لیقاتلوا المسلمین ویبارزونهم خارج الحصون، و لذلک فإنّهم تمکنوا من مقاومهٔ الجیش الاِسلامی لمدّهٔ شهر، بحیث کانت محاولهٔ فتح کلّحصن تستغرق عشرهٔ أیّام دون نتیجهٔ.

وقد فتح أوّل حصن وهو ناعم بعد أن استشهد فی معارکه: محمود بن مسلمهٔ الاَنصاری، وهو أحد فرسان المسلمین،وجرح خمسون مقاتلاً ـ نقلوا إلی منطقهٔ مخصصهٔ للتمریض والعلاج، حیث سمح لبعض نساء بنی غفار بالحضور إلی خیبر للمساعدهٔ فی التمریض والتضمید وتقدیم خدمات أُخری فی المعسکر. ثمّ جری فتح حصن القموص وأُسرت فیه «صفیهٔ بنت حیی بن أخطب» التی

---

۱ . الاَمالی للطوسی: ۱۶۴. ویری ابن هشام فی سیرته:۲|۳۲۸ أنّ خروج النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» إلی خیبر کان فی شهر محرم، بینما ذهب ابن سعد فی الطبقات: ۲|۷۷ أنّه کان فی جمادی الثانیهٔ ۷هـ ولما کان إرسال الرسل و المندوبین عنه (صلی الله علیه وآله وسلم) فی شهر محرم، فإنّ الرأی الثانی هوالاَقرب إلی الصحهٔ.

(۱۸۱)

أصبحت زوجهٔ للرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فیما بعد.

ولکن الجوع استولی علی المسلمین فاضطروا بسببه إلی تناول ما کره أکله من الاَنعام، وکادوا أن یهلکوا، فأمر الرسول ص أن توَخذ شاتان من غنم الیهود إضطراراً،وأطلق البقیهٔ ـ من الاَغنام ـ لتدخل الحصن بأمان. وقد سمح النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» بذلک للاضطرار الذی یباح معه المحذور بقدره، فدعا ربّه: «اللّهمّ إنّک قدعرفت حالهم، وأن لیست بهم قوّهٔ،وأن لیس بیدی شیء أعطیهم إیّاه، فافتح علیهم أعظم حصونها عنهم غناء وأکثرها طعاماً».(۱)

ثمّ بعث رجالاً معروفین من صحابته لفتح الحصون، إلاّ أنّ شیئاً جدیداً لم یتم، فقال (صلی الله علیه وآله وسلم) :

«لاَعطینّ الرایهٔ غداً رجلاً یحبّ اللّه ورسولَه ویحبُه اللّه ورسولُه،یفتح اللّه علی یدیه، لیس بفرار ـ أو کرّار غیر فرّار ـ» (۲) فبات کلّواحد یتمنی أن یکون هو صاحب هذا النوط الخالد العظیم. وعندما بلغ الاِمام علیّاً (علیه السلام) مقالهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) و هو فی خیمته قال: «اللّهم لا معطی لما منعت ولا مانع لما أعطیت». وفی الصباح طلب النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) علیاً فقیل أنّ به

رمد، فأتی به إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فمرر یده الشریفهٔ علی عینیه ودعا له بخیر فعوفی من ساعته،فدفع إلیه اللواء ودعا له بالنصر، وأمره أن یبعث إلی الیهود قبل قتالهم، من یدعو روَساء الحصون إلی الاِسلام، فإن أبوا و رفضوا، أمرهم بتسلیم أسلحتهم إلی الحکومهٔ الاِسلامیهٔ لیعیشوا تحت ظلّها بحریّهٔ وأمان شریطهٔ أن یدفعوا (۳) لجزیهٔ. وإذا رفضوا قاتلهم. ثمّ قال ص للاِمام علی (علیه السلام):

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۲|۳۲۲.

۲ . مجمع البیان :۹|۱۲۰؛ السیرهٔ الحلبیهٔ:۲|۳۷؛ السیرهٔ النبویهٔ:۲|۳۳۴؛ إمتاع الاَسماع:۱|۳۱۴.

۳ . صحیح مسلم:۵|۱۹۵؛ صحیح البخاری: ۵|۱۸.

(۱۸۲)

«لئن یهدی اللّه بک رجلاً واحداً خیر من أن یکون لک حمر النعم».(۱)

ومن ثمّ توجه الاِمام علی (علیه السلام) إلی القلعتین المحصنتین سلالم والوطیح، والتی عجز المسلمون وقوادّهم عن فتحهما،فخرج إلیه الحارث، أخو مرحب، فقاتله الاِمام (علیه السلام) و سقط علی الاَرض جثهٔ هامدهٔ بضربهٔ من ضربات الاِمام (علیه السلام) المشهورهٔ، ممّا أغضب مرحب أخیه فخرج غارقاً فی الدروع والسلاح لیقاتل علیاً (علیه السلام) الذی تمکن من شقّ رأسه نصفین، فکانت ضربهٔ قویهٔ بحیث أفزعت من کان مع مرحب من أبطال الیهود، ففروا لاـجئین إلی الحصن. وبقی آخرون منهم قاتلوا علیاً منازلهٔ، فقضی علیهم الاِمام (علیه السلام) ثمّ لحق بالفارین إلی الحصن، فضربه أحدهم فطاح ترسه من یده، إلاّ أنّ الاِمام (علیه السلام) تناول باباً کان علی الحصن فانتزعه من مکانه واستخدمه ترساً یحمی نفسه حتی فرغ من القتال. وبعد ذلک حاول ثمانیهٔ من أبطال المسلمین، کان منهم أبو رافع مولی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یقلبوا ذلک الباب أویحرّکوه فلم یقدروا.(۲)

ونقل الشیخ المفید فی إرشاده بسند خاص عن أمیر المؤمنین علی «علیه السلام» بخصوص الباب، قوله: «لما عالجتُ باب خیبر جعلته مجناً لی فقاتلتهم به،فلمّا أخزاهم اللّه وضعتُ الباب علی حصنهم طریقاً ثمّ رمیتُ به فی خندقهم».(۳)

وأمّا المؤرخون فقد نقلوا قضایا عجیبهٔ حول قلع باب خیبر و عن بطولات الاِمام (علیه السلام) فی فتح الحصن، إلاّ أنّ جمیعها لا تتمشی و لا تتیسر مع القدرهٔ البشریهٔ المتعارفهٔ، ولا یمکن أن تصدر منها، حتی أنّ الاِمام (علیه السلام)

---

۱ . السیرهٔ الحلبیهٔ:۲|۳۷.

۲ . تاریخ الطبری:۲|۹۴؛السیرهٔ النبویهٔ:۲|۳۴۹؛ تاریخ الخمیس:۲|۴۷.

۳ . إرشاد المفید: ۶۲.

(۱۸۳)

نفسه یرفع کلّ شک فی هذا بقوله: «ما قلعتها بقوّهٔ بشریّهٔ، ولکن قلعتها بقوّهٔ إلهیهٔ، ونفسی بلقاء ربّها مطمئنهٔ رضیهٔ».(۱)

وهکذا انتهت الحرب بانتصار المسلمین، الذی کان وراءه ثلاثهٔ عوامل أساسیهٔ:

۱. التخطیط العسکری والحربی الدقیق.

۲. حصولهم علی معلومات وافرهٔ عن العدو وأسراره.

۳. بطولهٔ الاِمام علی (علیه السلام) .

فقد تمکّن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) من تحیید قبیلهٔ غطفان ومنعها من إمداد المساعدات للیهود، کما تعرف علی أحوالهم وأوضاعهم فی حصون خیبر، سواء العسکریهٔ منها أو النفسیهٔ للمقاتلین والاَفراد. بالاِضافهٔ إلی بطولهٔ الاِمام علی (علیه السلام) الذی قال:

«فلم يبرز إليّ أحد منهم إلّاقتلته، ولا يثبت لى فارس إلّا طحنته،ثمّ شددت عليهم شدّهٔ الليث على فريسته حتى أدخلتهم جوف مدينتهم مسدداً عليهم، فاقتلعت باب حصنهم بيدى حتى دخلت عليهم مدينتهم وحدى أقتل من يظهر فيها من رجالها وأسبى من أجد من نسائها، حتى افتتحتها وحدى ولم يكن لى فيها معاون إلّااللّه وحده».(۲)

ثمّ أمر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن تجمع الغنائم كلّها فى مكان واحد، وأن ينادى:

أدّوا الخيط والمخيط، فإن الغلول عار وشنار ونار يوم القيامهٔ.(۳) فالاِسلام يشدّد على أهميهٔ الاَمانهٔ، حتى اعتبر ردّ الاَمانهٔ مهما صغرت من علائم الاِيمان،

---

۱ . بحار الاَنوار:۲۱|۴۰.

۲ . الخصال:۳۶۹ باب السبعهٔ.

۳ . وسائل الشيعهٔ: باب جهاد النفس؛ المغازى:۲|۶۸۱.

والخيانهٔ من علائم النفاق.

وفى لحظات الفرح بالانتصار على اليهود، رجعت مجموعهٔ من مسلمى الحبشهٔ المهاجرين إليها بقيادهٔ جعفر بن أبى طالب، فاستقبله النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» وقبّل ما بين عينيه وقال: ما أدرى بأيّهما أُسرّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر. ثمّ إنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) علّمه الصلاهٔ المعروفهٔ بصلاهٔ جعفر الطيّار.(۱)

وبالنسبهٔ لقتلى الجانبين، فقد بلغ عدد شهداء المسلمين ۲۰ فرداً، بينما سجّل التاريخ أسماء ۹۳ رجلاً هم قتلى اليهود.(۲)

وبعد ذلك تمّ الاتّفاق بين الطرفين على:

۱. قبول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لطلب اليهود بأن يسكّنهم فى خيبر كما كان الوضع.

۲. ترك أراضيهم وبساتينهم لهم.

۳.حصول المسلمين على نصف محاصيلها سنوياً.

فالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يجبرهم على شىء بل تركهم أحراراً فى ممارسهٔ شعائرهم والبقاء على ما كانوا يعتقدونه من أُصول دينهم، إذ أنّه لم يحارب أهل خيبر إلّاعندما تحولت إلى بوَرهٔ خطرهٔ للموَامرات والكيد للاِسلام والمسلمين،فقد أمدّوا الكفار والمشركين بكلّما يحتاجون للقضاء على الحكومهٔ الاِسلاميهٔ الناشئهٔ، ممّا اضطر معه النبى ص إلى إعلان الحرب عليهم وقتالهم وتجريدهم من السلاح ليعيشوا تحت ظل الدولهٔ الاِسلاميهٔ، ويدفعوا الجزيهٔ لقاء دفاع الحكومهٔ الاِسلاميهٔ عنهم وحمايتهم من الاَعداء، وهو ما يعنى حمايهٔ أنفسهم وأنّأموالهم موَمنهٔ لهم من قبل المسلمين_____.

۱ . فروع الكافى: ۱|۱۲۹؛ الخصال:۲|۸۲؛ إمتاع الاسماع:۱|۳۲۵.

۲ . بحار الاَنوار:۲۱|۳۲.

وعند جمع الغنائم حصل المسلمون على قطعهٔ من التوراهٔ طلب اليهود إعادتها، فأمر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بإعادتها إليهم، ممّا يكشف عن احترام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) للشرائع والاَديان الاُخرى.

وقد توجه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بعد خيبر إلى وادى القرى التى شكلت مركزاً آخر لليهود،ففتحها وعقد صلحاً مع أهلها على غرار معاهدهٔ خيبر. وبذا فإنّ الحجاز طهُرت من فتنهٔ اليهود،وجرّدوا من أسلحتهم،ووضعوا تحت حمايهٔ المسلمين ومراقبتهم.(۱)

إلّا أنّ بعضهم خطّط بعد فترهٔ من الهدوء والاستقرار، للتخلص من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فقدّمت زينب بنتُ الحارث شاهٔ

مشویهٔ سمّمت کتفها التی یحبها النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فأثّربه السم بعد ذلک وتوفی ص من أثره. ولم ینتقم منها النبیص بل عفا عنها، فالنبی ص لم یکن کبعض القادهٔ والزعماء الذین یصبغون الاَرض بدماء من ظنّ أنّهم قصدوا قتله،أو یملاَون السجون بهم، أو یخضعونهم لاَشد أنواع العذاب والتعذیب الجسدی والنفسی. ۳. قصهٔ فدک

وتبعد فدک عن المدینهٔ بما یقرب من ۱۴۰ کم، و هی منطقهٔ زراعیهٔ خصبهٔ، اعتبرت نقطهٔ ارتکاز هامهٔ للیهود بعد خیبر. وقد تمیّزت العلاقات بین رئیسها یوشع بن نون و القیادهٔ الاِسلامیهٔ بالسلام والاَمان، حیث تعهد بأن یسلم نصف

---

۱ . الکامل فی التاریخ:۲|۱۵۰.

(۱۸۶)

محاصیلها سنویاً إلی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) لیعیشوا تحت رایهٔ الحکومهٔ الاِسلامیهٔ، علی ألا یقوموا بأی أمر یعکر صفو السلام و الاَمن بین الطرفین، وتتعهد الحکومهٔ الاِسلامیهٔ فی مقابل ذلک بتوفیر الاَمن فی المنطقهٔ کلها.(۱)

ومن الجدیر بالذکر أنّ الاَراضی التی یسیطر علیها المسلمون بالحرب والقتال، تعود ملکیتها إلی عامّهٔ المسلمین بإدارهٔ القائد الاَعلی للاُمّهٔ، أمّا الاَراضی التی لا یستخدمون القوّهٔ فی احتلالها، فتصبح ملکاً للرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» والاِمام من بعده یتصرف فیها کما یشاء، فیهبها أو یوَجرها،وعلی هذا الاَساس وهب رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) فدکاً لابنته الطاهرهٔ فاطمهٔ الزهراء(علیها السلام) ، حیث ابتغی من وراء ذلک تحقیق أمرین:

۱. أن یستفید منها الاِمام فی أداء واجباته ومتطلبات الناس عندما یدیر الحکم من بعده، إذ أنّه سیکون فی حاجهٔ إلی میزانیهٔ کبیرهٔ.

۲. وأن تعیش أُسرهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بعده بصورهٔ تلیق بمقامه (صلی الله علیه وآله وسلم) وشرفه ومکانته الساميهٔ.

وفی ذلک یذهب معظم العلماء والمفسرین والمحدّثین الشیعهٔ وبعض علماء السنّهٔ، أنّه عند نزول قوله تعالی: (وَآتِ ذَا القُربی حَقَّهُ وَالمِسْکینَ وابنَ السَّبِیل) (۲) أوصی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فدکاً إلی ابنته الزهراء«علیها السلام» . ولذلک فقد أعاد المأمون العباسی بعد فترهٔ من هذا الوقت، فدکاً إلی أبناء الزهراء (علیها السلام) بعد توضیح شأن نزول هذه الآیهٔ له، کما أنّ الاِمام علیاً (علیه السلام) قد صرّح بملکیته لفدک فی إحدی رسائله إلی والیه علی البصرهٔ: «عثمان بن حنیف»:«بلی کانت فی أیدینا فَدَک من کلّ ما أظلته السماء فشحّت علیها نفوسُ قوم، و سخت عنها نفوسُ قوم آخرین ونعم الحکم اللّه».(۳)

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۲|۳۵۳؛ إمتاع الاسماع:۱|۳۳۱؛ فتوح البلدان:۴۲.

۲ . الاِسراء:۲۶.

۳ . نهج البلاغهٔ: الکتاب ۴۵.

(۱۸۷) فدک بعد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)

عندما حُرمت ابنهٔ رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) من ملکها الخاص بعد وفاهٔ أبیها (صلی الله علیه وآله وسلم) عمدت إلی إثبات حقّها و استرداد ملکها من جهاز الدولهٔ، عن طریق القانون،فأحضرت الدلائل بالرغم من أنّه لا یُطلب من فرد له ید علی شیء ـ أی یکون تحت تصرفه ـ أن یقیم دلیلاً علی ملکیته ذلک الشیء. وکان شاهدها: الاِمام علی (علیه السلام) و اُمّ أیمن التی شهد لها النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بأنّها من نساء الجنهٔ (۱) إضافهٔ إلی رباح الذی کان النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قد أعتقه حسب روایهٔ البلاذری(۲) إلاّ أنّ کلّ ذلک لم ینفع فی إرجاع الاَرض إلی صاحبتها.

وفی العصر الاَموی وزع معاویهٔ بن ابی سفیان فدکاً بین ثلاثهٔ: مروان بن الحکم ، عمرو بن عثمان، و یزید. وعندما حکم مروان استولی علیها تماماً ووهبها لابنه عبد العزیز الذی سلّمها لولده عمر، الذی أزال أوّل بدعهٔ وهی إعادهٔ فدک إلی بنی فاطمهٔ(علیها

السلام) فقد كان الخليفة المعتدل، ولكن حكّام بنى أَميّة تداولوها ثانية حتى نهاية دولتهم.

أمّا فى العصر العباسى فقد ردّها السفاح أبو العباس إلى عبد اللّه بن الحسن ابن الحسن، ثمّ قبضها أبو جعفر المنصور من بنى الحسن، ثمّ ردّها المهدى ابنه إليهم، حتى جاء المأمون فردّها على أصحابها الشرعيين بصورة رسمية.

وقد استغل الاَمويون والعباسيون فدكاً استغلالاً سياسياً بجانب الاستفادة الاقتصادية و اضطرب أمرها بين السلب والردّ.

---

١ . الإصابة:۴|۴۳۲.

٢ . فتوح البلدان: ۴۴. (١٨٨) ۴. عمرة القضاء(١)

بعد مضى عام و احد على توقيع معاهدة صلح الحديبية، وعلى ضوء المادة التى تسمح للمسلمين بأداء العمرة فى العام التالى، فقد قرروا التوجه إلى مكّة، وخاصّة أنَّهم كانوا قد تركوها سبعة أعوام بعدوا فيها عن وطنهم. فاستعد ألفان للانضمام إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أداء العمرة، كان من ضمنهم شخصيات بارزة ملازمة له (صلى الله عليه وآله وسلم) طوال فترة وجوده فى المدينة. وكان ذلك يوم الإثنين ۶ من شهر ذى القعدة. كما أنّ النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» تحسباً لاَى طارئ أعدّ مائتين من الاَفراد مسلّحين وضعهم خارج مكة على مقربة من الحرم للتدخل فى أية مشكلة تصدر حيالهم.

وفى مكة خرج الاَهالى منها إلى روَوس الجبال وقالوا: لا ننظر إلى محمد ولا إلى أصحابه، فكانوا يراقبون المشهد من بعيد.

وقد بهرت أصوات المسلمين مكبّرين كلَّ سكان مكة وسحرت قلوبهم وجلبت عطفهم على المسلمين،مثلما أرعب اتّحادهم ونظامهم والتفافهم حول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أفئدة المشركين.

وطاف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بالبيت على راحلته،وأمر عبد اللّه بن رواحة أن يردّد هذا الدعاء بلحن ونغم خاص: «لاإله إلاّ اللّه وحده وحده، صدق وعده، ونصر عبده،وأعزّ جنده، وهزم الاَحزاب وحده» فردّدها المسلمون وراءه. ثمّ أمر (صلى الله عليه وآله وسلم) بلالاً أن يوَذن على ظهر الكعبة لصلاة الظهر، فانزعجوا بسبب الاَذان، وأحرجتهم مضامينه التى كانت ضدّ ما يحملونه من معتقدات باطلة موروثة_____.

١ . سميت عمرة القضاء لاَنّها كانت بدلاً عن العمرة التى منع النبى والمسلمون عنها فى العام السابق لها.

(١٨٩)

وبعد أداء المناسك، ذهب المهاجرون إلى منازلهم التى تركوها منذ سبعة أعوام فجدّدوا اللقاء بأقربائهم.

إلاّأنّ تأثير أوضاع المسلمين فى نفوس أهل مكة، وتخوّفهم من إحداث إنقلاب روحىّ فيهم، إذ أنّ هذه الرحلة الدينية، اعتبرت دعائية وإعلامية، أثّرت فى نفوس عدد من أهل مكّة فدخلوا الإسلام، ممّا دعا إلى أن يطلب زعماء قريش من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مغادرة مكة بعد انقضاء المدّة المحددة و المقررة بينهم: «إنّه قد انقضى أجلك فاخرج عنّا».

وممن تأثر بالوضع، ميمونة أُخت زوجة العباس ـ أُمّ الفضل ـ لما شهدت من مشاعر المسلمين، فطلبت الزواج من النبى ص الذى وافقها، فقوى بذلك علاقاته مع قريش، إلاّ أنّهم لم يسمحوا للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالاحتفال بمناسبة الزواج فى مكّة، فطلب (صلى الله عليه وآله وسلم) من أبى رافع أن يُحضِر زوجته بعد ذلك.

وبذا فقد تحقّقت روَيا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل عام من هذا، فى أنّه دخل البيت وحلق رأسه، ونزلت آية الفتح التى تناولت تحقيق هذا الوعد:

(لَقَدْ صَدَقَ اللّهُ رَسُولَهُ الرُوَيا بِالحَقِّ لَتدخُلُنَّ المَسْجِدَ الحَرامَ إِنْ شاءَ اللّهُ آمِنينَمُحَلِّقينَ رءُوسكُمْ وَمُقَصِّرينَ لا تَخافُون فَعَلمَ ما لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذلِكَ فَتْحاً قَرِيباً) .(١)

---

۱ . الفتح:۲۷.

(۱۹۰)

أحداث السنة الثامنة من الهجرة

أحداث السنة الثامنة من الهجرة ۱. معركة موَتة

بعد وقوع الاَحداث السابقة، واستقرار الاَمن فى الحجاز بين المسلمين وقريش والاَطراف المعادية الاُخرى، وضعف نفوذ اليهود وسطوتهم، فكّر النبى الاَكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فى أن يركز فى دعوته على سكان مناطق الحدود عند الشام، فوجه لهذا الغرض «حارث بن عمير الاَزدى» يحمل كتاباً إلى أمير الغساسنة: الحارث بن أبى شمر الغسانى، الذى حكم بصرى، فقبض على سفير النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى موَتة وقتله مخالفاً بذلك كلّ الاَعراف الدولية التى تقضى باحترام السفراء وحصانتهم، ممّا أغضب الرسولوالمسلمين،فقرر الاقتصاص من قاتل سفيره.

وبالاِضافة إلى ذلك، فإنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد بعث فى شهر ربيع الاَوّل من هذه السنة ۱۵ رجلاً إلى منطقة ذات أطلاح من أرض الشام خلف وادى القرى، لدعوة الناس إلى الاِسلام، إلّا أنّ الاَهالى قتلوهم عن آخرهم موَثرين عز الشهادة على ذل الاَسر، إلّاجريحاً منهم تمكن من الوصول إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ليخبره بالحادث.

وقد أثر هذان الحادثان على الوضع السياسى بين الجانبين، فأمر النبىّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بالخروج إلى الجهاد فى شهر جمادى، ووجه جيشاً قوامه ۳ آلاف مقاتل لتأديب هوَلاء المخربين والغدرة، وعين القائد عليهم «جعفر بن أبى طالب» فإن قتل فزيد ابن حارثة، فإن أصيب، فعبد اللّه بن رواحة، فإن اصيب فليرتضى المسلمون بينهم رجلاً عليهم.

وقد خرج النبىّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه مع جماعة من أصحابه

(۱۹۱)

مشيّعاً لهم وودّعهم قائلاً: «دفع اللّه عنكم وردكم سالمين غانمين صالحين».

ومن الموَكد أنّ القائد الاَوّل لهذا الجيش كان جعفراً ثمّزيداً فعبد اللّه، فلا مجال لتغيير الوضع الذى ذهب إليه بعض الرواة والمحدّثين، الذين اختلقوا ترتيباً آخر، بوضع زيد كقائد ثمّ جعفر كمعاون له ثمّ ابن رواحة، إذ أنّ وضع هذا الترتيب بهذا الشكل أُقرّ لدوافع سياسية وأغراض أُخرى لا مجال لذكرها هنا،وتبعهم فى ذلك كتاب السيرة دون تمحيص وتحقيق.(۱)

وفى الشام أعدّ الحاكم الحارث ۱۰۰ ألف فارس لاِيقاف تقدّم المسلمين، كما أعدّ القيصر ۱۰۰ ألف آخرين فى البلقاء كقوّة احتياطيّة تتدخل عند اللزوم.(۲)

ومن الواضح أنّه لم يكن هناك أيّتكافوَ بين الجيشين الاِسلامى والرومانى، سواء فى نوعية المعدات الحربية والاَجهزة القتالية أو وسائل النقل أو عدد الجنود، والاَرض وساحة المعركة الغريبة عن المسلمين، وقيامهم بدور الهجوم لا الدفاع الذى اتّخذه الروم ونفذوه فى أرضهم وبلادهم.

وقد تواجه الجيشان فى منطقة مشارف، ولكن المسلمين تراجعوا نحو موَتة، فبدأت المبارزات الفردية أوّلاً، فقُتل جعفر بعد مبارزة شجاعة، ثمّ قُتل زيد بن حارثة، وأيضاً ابن رواحة، فاختار الجنود خالد بن الوليد قائداً، فعمد إلى استخدام تكتيك عسكرى لم يعرف من قبل، إذ أمر بالعسكر أن يحدث بعض التغييرات فى صفوفه بالليل دون صوت، ويذهب عدد منهم إلى مكان بعيد ثمّ يلتحقوا بالمسلمين عند الصباح مكبرين، فيظن العدو بوصول إمدادات عسكرية بشرية جديدة إلى جانب المسلمين. ولذا تمكن المسلمون من مواجهتهم

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۲|۳۸۰.

۲ . المغازی:۲|۷۶۰؛السیرهٔ النبویهٔ:۲|۳۷۵.

(۱۹۲)

وقتالهم، وقتل أعداد کبیرهٔ منهم، فهدأت الأحوال، فرجع الجیش الإسلامی مستفیداً من هذا التکتیک ونَجَوا بأنفسهم من خطر فناء ساحق وأکید.(۱)

إلّا أنّ المسلمین فی المدینهٔ رفضوا منطق الانسحاب من المعرکهٔ وفضلوا الاستشهاد فی ساحهٔ المعارک علی الانسحاب، فهم کانوا یعدون الموت والشهادهٔ فی سبیل اللّه أفضل من الانسحاب.

وقد تأثر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لشهادهٔ جعفر وبکی بشدهٔ، فکان کلّما تذکر جعفراً وزیداً بکی.(۲) ۲. غزوهٔ ذات السلاسل

إنّ الاطّلاع المبکر علی أسرار العدو العسکریهٔ، ومعرفهٔ حجم طاقاته ومبلغ استعداداته واکتشاف خططه، یعد من العوامل الجوهریهٔ المؤثرهٔ فی الانتصار علیه. والنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) هو أوّل من ابتکر فی تاریخ الإسلام جهازاً خاصاً بهذا العمل فی صورهٔ منظمهٔ، وتبعه الخلفاء من بعده، حین استعانوا بجواسیس وعیون للعمل فی المجالات العسکریهٔ والإداریهٔ.

واستطاع الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی غزوهٔ ذات السلاسل أن یطفئَ نار فتنهٔ باستخدام معلومات دقیقهٔ علمها عن العدو، قبل أن یخسر الکثیر بغیر ذلک. فقد علم من عناصر المخابرات الخاصهٔ به (صلی الله علیه وآله وسلم) أنّ أعداداً کبیرهٔ متحالفهٔ تجمعوا فی منطقهٔ وادی الیابس هدفوا إلی التوجّه نحو المدینهٔ للقضاء علی قوّهٔ الإسلام والمسلمین، وقتل النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» والإمام علی (علیه السلام) خاصهٔ. فأمر الرسول بنداء «الصلاهٔ جامعهٔ» أی دعوهٔ الناس إلی الاجتماع به (صلی الله علیه وآله وسلم) فقال «صلی الله علیه وآله

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۲|۳۸۱.

۲ . بحار الأنوار:۲۱|۵۴؛ المغازی:۲|۷۶۶.

(۱۹۳)

وسلم» : «یا أیّها الناس، إنّهذا هو عدو اللّه وعدوکم قد عمل علی أن یبیّتکم فمن لهم؟».

فخرجت جماعهٔ بقیادهٔ أبی بکر ساروا مسافهٔ حتی واجهوا قبیلهٔ بنی سلیم الذین قاوموا القوّهٔ الإسلامیهٔ، فقرر أبو بکر الانسحاب والرجوع من حیث أتی. إلّا أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لم یقبل بهذا الوضع، فانزعج لعودهٔ الجیش بهذه الصورهٔ المهینهٔ، فأمر عمر بن الخطاب بتولّی القیادهٔ، ولکنّه لم یحارب أیضاً لقوهٔ العدو فانسحب أیضاً إلی المدینهٔ. وطلب عمرو بن العاص من النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» أن یبعثه إلی هؤلاء الأعداء علی أساس أنّه من دهاهٔ العرب، إلاّ أنّ بنی سلیم قاتلوه فهزموه وقتلوا عدداً من جماعته، فلم ییأس النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» ونظم جماعهٔ جدیدهٔ واختار الإمام علیاً (علیه السلام) قائدها، فاستعد الإمام (علیه السلام) وتعصب بعصابهٔ کان یشدها علی جبینه فی اللحظات الصعبهٔ، ولبس بردین یمانیین، وحمل رمحاً هندیاً، ثمّ توجه نحو الهدف سالکاً طریقاً غیر معروفهٔ ولا مطروقهٔ حتی یعمّی بذلک علی العدو، فتمکن من الانتصار علیهم وذلک للأسباب التالیهٔ:

۱. لم یشعر العدو بتحرکاته، وذلک لتغییره مسیره، واستخدامه أُسلوب الکتمان فی ذلک ، إذ سار لیلاً وکمن نهاراً واستراح خلاله.

۲. کما أنّه فاجأ العدو حین صعد بجنوده إلی قمهٔ الجبال ثمّ انحدر بهم بسرعهٔ فائقهٔ إلی الوادی مرکز إقامهٔ بنی سلیم، فأحاطوا بهم وهم نیام، وحاصروهم وأسروا منهم، وفرّ آخرون.

۳. ثمّ أنّ شجاعهٔ الإمام علی (علیه السلام) وبسالته النادرهٔ أرعبت العدو، وأفقدته القدرهٔ علی المواجههٔ والمقاومهٔ، حیث فرّوا من أمامه تارکین الغنائم وراءهم.

وبذا فإنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) استقبله بحفاوة وقال له عندما نزل من فرسه:«إركب فإنّ اللّه ورسوله راضيان عنك».

(۱۹۴)

وكانت تضحية الإمام (عليه السلام) وشجاعته من الأهمية بحيث نزلت فيها سورة العاديات كاملة:(وَالعادِياتِ ضَبْحاً* فَالمُورياتِ قَدحاً* فَالمُغِيراتِ صُبْحاً* فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً* فَوسَطْنَ بِهِ جَمْعاً) .(۱)

وهناك عدد من المؤرّخين كالطبرى، نقلوا هذه الواقعة بنحو آخر مختلف عمّا ذكرناه، فلا يبعد أن تكون ذات السلاسل اسماً لغزوتين، وقد نقل كلٌّ من الفريقين ـ السنّة والشيعة ـ واحدة منها وأعرض عن الأُخرى لأسباب خاصّة.(۲) ۳. فتح مكّة

أخلّت قريش باتفاقية الحديبية ونقضتها، حينما زودت قبيلة بنى بكر بالأسلحة، وهى من كنانة المتحالفة معها، وحرضتهم على أن يبيتوا لخزاعة المتحالفين مع المسلمين فيغيروا عليهم ليلاً ، يقتلون فريقاً ويأسرون آخرين. و أُبلغ النبيبما حدث لخزاعة على أيدى بنى بكر، فوعدهم النصرة. ولكن قريشاً ندمت على فعلتها من تأليب بنى بكر على خزاعة، واشتراكهم معها فى العدوان، فأرسلوا زعيمهم أبا سفيان إلى المدينة لتطييب خاطر النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» وتسكين غضبه وتأكيد احترام قريش لمعاهدة الصلح، إلّا أنّه عندما وصل إلى بيت ابنته أُمّ حبيبة زوجة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لم يجد التقدير والاحترام المطلوب لديها على أساس أنّه مشرك نجس، فتوجه إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكلّمه حول إمكانية تجديد العهد، فلم يرد عليه وهو ما يعنى عدم اعتنائه به، فسار إلى بعض أصحابه يطلب منهم أن يشفعوا له عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وإقناعه بتجديد ميثاق الصلح، ولكن دون

---

۱ . العاديات:۱ ـ ۵.

۲ . تاريخ الطبرى:۲|۳۱۵؛ السيرة الحلبية:۳|۱۹۰؛ المغازى:۲|۷۶۹.

(۱۹۵)

جدوى. فذهب إلى منزل الإمام على (عليه السلام) والسيدة فاطمة الزهراء«عليها السلام» فرد عليه الإمام (عليه السلام) : «واللّه لقد عزم رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» على أمر ما نستطيع أن نكلّمه». فالتفت إلى السيدة الزهراء «عليها السلام» وهو يطلب شفاعتها أو شفاعة الحسنين لدى النبى ص: يا ابنة محمد، هل لك أن تأمرى و بُنَيّك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر؟ فقالت(عليها السلام) وهى تعلم بنواياه الشريرة:« ذلك إلى رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» وإنّهما صبيان وليس مثلهما يجير».(۱) فطلب النصيحة من الإمام (عليه السلام) فقال له: «ما أجد لك شيئاً أمثل من أن تقوم فتجير بين الناس ـ أى تعطى الأمان للمسلمين ـ ثمّ إلحق بأرضك». فأدّى ما طلبه منه، ورجع إلى مكّة وأخبر سادة قريش بما صنع، فاجتمعوا للتشاور فيما يطفئ غضب المسلمين ويثنى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عن عزمه.(۲)

أمّا النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد أعلن التعبئة العامة بهدف فتح مكة، وتحطيم أقوى قلعة من قلاع الوثنية، وإزالة حكومة قريش الظالمة، التى كانت أقوى الموانع والعقبات فى طريق تقدم الدعوة الإسلامية وانتشار الإسلام.

وطلب من اللّه سبحانه و تعالى فى دعائه أن يعمى عيون قريش وجواسيسهم كيلا يعلموا بحركة المسلمين وهدفهم: «اللّهم خُذ على قريش أبصارهم فلا يرونى إلّابغتةً ولا يسمعون بى إلّا فجأة».(۳)

واجتمع فى مطلع شهر رمضان الكثيرون، فقد شاركت قبائل وطوائف مختلفة فى هذا الفتح العظيم، اشتهر منهم:

ـ المهاجرون: ۷۰۰+۳ ألوية إضافة إلى ۳۰۰ من الخيل_____.

۱ . إمتاع الأسماع:۱|۳۵۹.

۲ . المغازى:۲|۷۸۰؛ السيرة النبوية:۲|۳۸۹؛ بحار الأنوار: ۲۱|۱۰۲.

۳ . المغازى:۲|۷۹۶.

(۱۹۶)

ـ الاَنصار: ۴۰۰۰+ألوية كثيرة إضافة إلى ۷۰۰ من الخيل.

ـ قبيلة مزينة: ألف مع مائة فرس، ولواءان.

ـ قبيلة جهينة: ۸۰۰ مع خمسين فرساً و ۴ ألوية.

ـ قبيلة بنى كعب: ۵۰۰ مع ثلاثة ألوية.

هذا بالاِضافة إلى اشتراك عدد آخر من قبائل غفار وأشجع وبنى سليم.(۱)

ويذكر ابن هشام، أنّ جميع من شهد فتح مكّة من المسلمين بلغوا عشرة آلاف، من بنى سليم ۷۰۰، ويقول بعضهم ألف، ومن بنى غفار ۴۰۰، ومن أسلم ۴۰۰، ومن مزينة ألف و ۳۰۰ نفر، وسائرهم من قريش والاَنصار وحلفائهم وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد.(۲)

إلاّ أنّ أخبار هذه الحملة الكبيرة وصلت إلى قريش، فقد أخبر جبرائيل (عليه السلام) النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ أحد المسلمين أرسل كتاباً إلى قريش يخبرهم فيه بتوجههم إلى مكة، وأنّ امرأة تدعى «سارة» وهى مغنية، تريد توصيل الكتاب لهم لقاء حصولها على مال. وقد ساعد النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» و المسلمون هذه المغنية من قبل، عندما تركت عملها فى مكة واتجهت إلى المدينة، ورغم ذلك فإنّها خانتهم بعملها جاسوسة تعمل لصالح قريش. ممّا جعل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يطلب من الاِمام على (عليه السلام) والمقداد و الزبير أن يلحقوا بها ويدركوها ويصادروا منها الكتاب. وتمكّنوا من اللحاق بها عند روضة الخاخ ـ الخليقة ـ إلاّ أنّها أنكرت وجود كتاب لديها فى رحلها، فهددها الاِمام (عليه السلام) : لتخرجنّ لنا هذا الكتاب أو لنكشفنّك. فاستخرجت الكتاب.(۳)

---

۱ . المغازى:۲|۸۰۰؛ إمتاع الاِسماع:۱|۳۶۴.

۲ . السيرة النبوية:۴|۶۳.

۳ . بيّن القرآن الكريم ذلك فى عدّة آيات من سورة الممتحنة.

(۱۹۷)

وهكذا أعد النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) للحركة الكبرى، دون أن يعلم أحد وجهته على وجه التحديد، وكان ذلك فى يوم ۱۰ رمضان. وفى الطريق أفطر على الماء وأمر جنده بالاقتداء به: «إنّكم مصبحوا عدوكم،والفطر أقوى لكم». إلاّ أنّ البعض منهم أمسك عن الاِفطار ظناً منهم أنّ الجهاد أفضل فى حالة الصوم، فغضب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك و قال عنهم: «أُولئك العصاة».(۱)

وفى هذا الوقت، خرج العباس بن عبد المطلب من مكة متوجهاً إلى المدينة ليلتحق بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) خلال الطريق، فهو سيؤدى دوراً بارزاً هاماً فى عملية الفتح العظيم. كما التحق به عدوّان له أحجما عن الاِيمان برسول اللّه والاستجابة لدعوته و هما: أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد اللّه بن أبى أُمية بن المغيرة، فقد كانا من أشدّ المعارضين للرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» والموَذين له، بالرغم من أنّ أبا سفيان هذا كان ابن عمّ الرسول ص وأخاه من الرضاعة، وعبد اللّه هو أخو اُمّ سلمة ابنةعاتكة عمّة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» . وحاولا مقابلة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ أنّه لم يأذن لهما، ولم تنفع الوسائط فى ذلك، إلاّما ذكره لهما الاِمام على (عليه السلام) ، بأن يقولا للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : (قالُوا تاللّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللّهُ عَلَيْنا وَإِنْ كُنّا لخاطِئين)(۲) فسوف يعفو عنهما كما فعل يوسف (عليه السلام) مع إخوته.وقد حدث ما اقترحه الاِمام (عليه السلام) فقبل

إسلامهما.

وحينما وصل الجيش الإِسلامى إلى مشارف مكّهٔ، عمد النبى ص إلى إرعاب أهلها وتخويفهم بإشعال النيران فوق الجبال والتلال، وزيادهٔ فى التخويف وإظهار القوهٔ، أمر بأن يشعل كلّفرد منهم ناراً فى شريط طويل على الاَرض.

وهنا اتّجه «العباس بن عبد المطلب» ليوَدّى دوره العملى لصالح الطرفين،

---

١ . وسائل الشيعهٔ: ٧|١٢۴؛ السيرهٔ الحلبيهٔ:٣|٩٠؛ المغازى:٢|٨٠٢.

٢ . يوسف:٩١.

فيقنع قريشاً بالتسليم وعدم المقاومهٔ، إذ أخبرهم بقوّهٔ المسلمين وعددهم ومحاصرتهم لمكّهٔ المكرمهٔ، واصطحب معه أبا سفيان حتى يطلب له الاَمان و لهم كذلك من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فأجاره عند الوصول إلى معسكر المسلمين، خاصهٔ عندما حاول «عمر بن الخطاب» أن يقضى عليه ـ أى يقتل أبا سفيان ـ كما أنّه حاول إعادهٔ قتله أمام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) على أساس أنّه عدو للّه فلابدّأن يقتل.

وتحدث النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى خيمته مع أبى سفيان قائلاً: «ألم يأن لك أن تعلم أنّه لاإله إلاّاللّه؟» فقال أبو سفيان: بأبى أنت و أُمّى ما أحلمك وأكرمك وأوصلك، واللّه لقد ظننت أن لو كان مع اللّه إله غيره، لقد أغنى عنى شيئاً بعد. فقال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : «ألم يأن لك أن تعلم أنّى رسول اللّه؟ »فقال: أما واللّه فإنّ فى النفس منها حتى الآن شيئاً. فغضب العباس من عناده و قال: أسلم واشهد ألاّ إله إلاّاللّه وأنّ محمّداً رسول اللّه قبل أن يُضرب عنقك. فشهد شهادهٔ الحقّ وأسلم ودخل فى عداد المسلمين. فارتفع بذلك أكبر سد، وانزاح أكبر مانع من طريق الدعوهٔ الإِسلامية. ومع ذلك فقد أمر النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» العباس بحبسه لاَنّه لم يأمن جانبه بعد، قبل أن يتم فتح مكّهٔ: «يا عباس احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل ـ أى أنفه ـ حتى تمر به جنود اللّه فيراها». فطلب العباس من النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنّ أبا سفيان رجل يحب الفخر فاجعل له شيئاً. فاستجاب له النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال:

«من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن،ومن دخل المسجد فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن». وذلك بالرغم من أخلاق أبى سفيان المنحدرهٔ وأعماله السيئهٔ تجاه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والمسلمين، طيلهٔ السنوات الماضيهٔ».

وكان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قد عزم على أن يفتح مكهٔ دون إراقهٔ

دماء وإزهاق أرواح وتسليم العدو دون شروط. وقد تم ذلك نتيجهٔ التخطيط السليم،وتحييد موقف أبى سفيان العدائى وهوقائد قريش،ولما كانت القطع العسكريهٔ الإِسلاميهٔ تمر من أمام أبى سفيان، كان العباس يوضح له اسمها وخصوصياتها، فمرت كتيبهٔ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال للعباس: ما لاَحد بهوَلاء قبل ولا طاقهٔ يا أبا الفضل، واللّه لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداهٔ عظيماً. فرد عليه العباس موبخاً: ويحك يا أبا سفيان، ليس بملك، إنّها النبوهٔ.

وحينئذٍ أطلق النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا سفيان ليرجع إلى مكّهٔ فيخبرهم بما رأى من قوّهٔ الجيش الإِسلامى، ويحذرهم من مغبهٔ المواجههٔ والمقاومهٔ، والتسليم للاَمر الواقع بإلقاء السلاح والاستسلام دون قيد أو شرط. فصاح فى أهل مكّهٔ: يا معشر قريش، هذا محمّد قد جاءكم فيما لا قبل لكم به، أو قال: هذا محمّد فى عشرهٔ آلاف، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن، و من ألقى السلاح فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن،ومن أغلق بابه فهو آمن.

وأضاف النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى ذلك: و من دخل تحت لواء أبى رويحهٔ فهو آمن. وهو موقع خامس عينه الرسول

(صلی الله علیه وآله وسلم) للتأمین من القتل.

وأدّی کلّ ذلک إلی إضعاف نفوس أهل مکّهٔ، حتی القیادیین الاَعداء، رکنوا إلی المطالبهٔ بالتسلیم دون مقاومهٔ.

وبالرغم من أنّالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قد أمر جنوده بعدم بدء القتال، فلا یقاتلوا إلّامن قاتلهم، إلّا أنّه أمر بقتل عشرهٔ من الاَفراد وإن وجدوا تحت أستار الکعبهٔ وهم:

۱. عکرمهٔ بن أبی جهل

۲. هبار بن الاَسود

۳.عبد اللّه بن أبی السرح

(۲۰۰)

۴. قیس بن حبابهٔ الکندی

۵. الحویرث بن نقیند

۶. صفوان بن أمیهٔ

۷. وحشی بن حرب، قاتل حمزهٔ

۸. عبد اللّه بن الزبعری

۹. حارث بن طلالهٔ

۱۰. عبد اللّه بن خطل

وأربعهٔ نساء.(۱)

وکان کلّواحد من هوَلاء إمّا قتل أحداً، أو ارتکب جنایهٔ أو شارک فی موَامرهٔ أوحرب ضدّ الإسلام والمسلمین.

وفی دخول مکّهٔ أخذ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) الحیطهٔ والحذر، ففرّق الجنود، علی أن یدخلوها من أسفلها، وآخرون یتخذون طریقاً من أعلاها، وأعداداً أُخری تدخل من جمیع المداخل والطرق الموَدیهٔ إلی داخل مکّهٔ، فدخلت الفرق کلّها مکّهٔ دون قتال، إلّا ما حدث مع جبههٔ خالد بن الولید، الذی قابلته مقاومهٔ صغیرهٔ تمکن من السیطرهٔ علی الوضع بعد هروب المعتدین.

أمّا النبی الاَکرم (صلی الله علیه وآله وسلم) فقد دخل مکهٔ من ناحیهٔ أذاخر وهی أعلی نقطهٔ فی مکّهٔ، فضربت له قبهٔ من أدم بالحجون ـ عند قبر عمّه العظیم أبی طالب ـ لیستریح فیها، فقد أبی أن ینزل فی بیت من بیوتها. واغتسل بعد الاستراحهٔ، فرکب راحلته القصواء متوجهاً إلی المسجد الحرام لزیارهٔ بیت اللّه المعظم والطواف به علی راحلته، حیث لم یترجل،وکبّر فکبّر المسلمون، حتی

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۲|۴۱۰؛ تاریخ الخمیس:۲|۹۰.

(۲۰۱)

ارتجت مکهٔ لدویّصوتهم، فسمعه المشرکون الذین تفرّقوا فی الجبال ینظرون المشهد المثیر. وحینما کان یمر علی أی صنم من أصنام المشرکین، یقول و هو یشیر بقضیب فی یده: (جاءَ الحقُّ وزَهَقَ الباطِلُ إنَّ الباطِلَ کانَ زَهُوقاً)(۱) فیقع الصنم لوجهه، ثمّأمر بتحطیم أکبر الاَصنام علی مرأی من المشرکین.

وبعد أخذ استراحهٔ، طلب من عثمان بن طلحهٔ أن یأتیه بمفتاح الکعبهٔ، فقد کان هو سادن الکعبهٔ، حیث کانت السدانهٔ تتوارث جیلاً بعد جیل. وفتح النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) باب الکعبهٔ و دخل البیت، و دخل بعده، أُسامهٔ بن زید، و بلال وعثمان. ثمّأمر (صلی الله علیه وآله وسلم) بإغلاق الباب، الذی قام خالد بن الولید بحراسته ومنع الناس عنه.

ولمّا کانت جدران الکعبهٔ من الداخل مغطاهٔ بصور الاَنبیاء والملائکهٔ وغیرهم، فإنّ النبیص أمر بمحوها جمیعاً وغسلها بماء زمزم.

وقد اشترک الإمام علی (علیه السلام) فی کسر بعض الأصنام الموضوعهٔ فی الکعبهٔ، وحاول النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یصعد علی کتفیه، إلّاأنّ ضعف الإمام (علیه السلام) لم یساعده فی ذلک، فطلب منه النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» أن یصعد ـ علیّ ـ علی کتفه قائلًا: «یا علیّاصعد علی منکبی»، فصعد علی منکبه، فألقی صنم قریش الأکبر وأصنام أُخری محطمهٔ إلی الأرض.(۲) ثمّ وقف النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) علی باب الکعبهٔ وقال: «الحمد للّه الذی صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده». ثمّ اتجه إلی الناس الذین یشاهدون الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) وهو یکسر الأصنام ویحمد اللّه، فسألهم:

«ماذا تقولون وماذا تظنون؟» فقالوا: نقول خیراً ونظن خیراً. أخ کریم وابن

---

۱ . الإسراء: ۸۱.

۲ . مسند أحمد بن حنبل:۱|۸۴؛ السیرهٔ الحلبیهٔ:۳|۸۶؛ تاریخ الخمیس:۲|۸۶.

أخ کریم، وقد قدرت. فقال (صلی الله علیه وآله وسلم) : «فإنّی أقول لکم کما قال أخی یوسف: (قالَ لا تَثْریبَ عَلَیْکُمُ الیَومَ یَغْفِرُ اللّهُ لَکُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمین)(۱).

وبهذا أعلن (صلی الله علیه وآله وسلم) العفو العام والشامل عن أهل مکهٔ بقوله: «ألا لبئس جیران النبی کنتم،لقد کذّبتم،وطردتم وأخرجتم وآذیتم ثمّ ما رضیتم حتی جئتمونی فی بلادی تقاتلوننی، اذهبوا فأنتم الطلقاء».(۲)

وکان الوقت ظهراً فحان وقت الصلاهٔ ، فصعد بلال سطح الکعبهٔ ورفع نداء التوحید و الرسالهٔ ـ الأذان ـ وبعدها ردّمفتاح الکعبهٔ علی عثمان بن طلحهٔو قال له:

«هاک مفتاحک یا عثمان، الیوم یوم برّ ووفاء». فالنبی «صلی الله علیه وآله وسلم» هو أوّل من یلتزم بالتعلیم الإلهی فی أداء الأمانهٔ إلی أهلها، فیعید مثل تلک الأمانهٔ الکبری إلی صاحبها. ثمّ ألغی جمیع مناصب الکعبهٔ السائدهٔ فی الجاهلیهٔ، إلاّ ـ ما کان نافعاً للناس، کالسدانهٔ، والحجابهٔ ـ و هی القیام بشوَون أستار الکعبهٔ ـ و سقایهٔ الحجیج.(۳)

وفی حدیث له (صلی الله علیه وآله وسلم) إلی أقاربه، فی اجتماع ضم بنی هاشم و بنی عبد المطلب، أوضح لهم أنّ صلهٔ القربی التی تربطهم به «صلی الله علیه وآله وسلم» لا ـ تبرر لأحد منهم أن یتجاهل قوانین الحکومهٔ الإسلامیهٔ، فیتخذ من انتسابه إلی زعیمها ذریعهٔوغطاء لارتکاب ما لا یحل للآخرین.

وهو (صلی الله علیه وآله وسلم) بهذا قد شجب کلّ تمییز وتفضیل غیر صحیح وسلیم، داعیاً إلی لزوم العدل ومراعاهٔ المساواهٔ بین جمیع الطبقات: «یا بنی

---

۱ . یوسف:۹۲.

۲ . بحار الأنوار: ۲۱|۱۰۶؛ السیرهٔ الحلبیهٔ:۲|۴۱۲.

۳ . بحار الأنوار: ۲۱|۱۳۲.

هاشم، یا بنی عبد المطلب، إنّی رسول اللّه إلیکم وإنّی شفیق علیکم، لا تقولوا أنّمحمّداً منّا، فواللّه ما أولیائی منکم ولا من غیرکم إلاّ المتّقون، فلا ـ أعرفکم تأتونی یوم القیامهٔ تحملون الدنیا علی رقابکم، ویأتی الناس یحملون الآخرهٔ. ألا وإنّی قد أعذرت فیما بینی و بینکم وفیما بین اللّه عزّوجلّ وبینکم، وإنّ لی عملی ولکم عملکم».(۱)

ثمّ دعا إلی اجتماع تاریخی کبیر عند بیت اللّه الحرام، حضره حشد کبیر من أهالی مکهٔ، وألقی فیهم خطاباً تاریخیاً عالج الأمراض

الاجتماعیة الخاصة بالمجتمع العربی فی ذلک العصر وحتی عصرنا الحالی، ومن أهمّما ورد وتناوله (صلی الله علیه وآله وسلم) فی هذا الخطاب:

۱. التفاخر بالنسب: فقد کان من الاَمراض المستحکمة فی البیئة العربیة الجاهلیة، إذ کان من أکبر أمجاد المرء أن ینتسب إلی قبیلة معروفة، أو یتفرع نسبه عن عشیرة بارزة کقریش مثلاً. فأبطل الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی خطابه هذه العادة السیئة بقوله: «أیّها الناس إنّ اللّه قد أذهب عنکم نخوة الجاهلیة وتفاخرها بآبائها، ألا إنّکم من آدم و آدم من طین».

وبذا فإنّه (صلی الله علیه وآله وسلم) صنّف الشخصیة بالتقوی و الورع: «ألا إنّ خیر عباد اللّه عبد اتقاه» فأعطی الفضیلة والمنزلة لاَهل التقوی والورع خاصة.

۲. التفاضل بالقومیة العربیة: فقد اعتبروا الانتساب إلی العرق العربی مفخرة، فقال (صلی الله علیه وآله وسلم) : «إنّ العربیة لیست بأب والد، ولکنّه لسان ناطق، فمن قصر عمله لم یبلغ به حسبه».

۳. المساواة بین أفراد البشر: فقد دعا إلی دعم المساواة بین الاَفراد والجماعات: «إنّ الناس من آدم إلی یومنا هذا مثل أسنان المشط، لا فضل للعربی

---

۱ . بحار الاَنوار: ۲۱|۱۱۱.

علی العجمی، ولا للاَحمر علی الاَسود، إلّا بالتقوی». وبذلک ألغی التمییز العنصری موَسساً بذلک میثاق حقوق الاِنسان قبل أیّ جهة عالمیة.

۴. الاَحقاد والحروب الطویلة : إذ أنّالحروب المتلاحقة بین القبائل العربیة أدت إلی نشأة الحقد و الضغینة، فلم یجد طریقاً للقضاء علیها إلّابالطلب من الناس أن یتنازلوا عمّا لهم من دماء فی أعناق الآخرین، سفکت فی عهد الجاهلیة، فتعتبر ملفات العهد القدیم باطلة. وقال فی ذلک«ألا إنّ کلّمال ومأثرة ودم فی الجاهلیة تحت قدمی هاتین».

۵. الاُخوة الاِسلامیة: حیث دعا إلی اتّحاد المسلمین ووحدة کلمتهم وحقّالمسلم علی أخیه المسلم، فهو من أهمّ ممیزات الدین الاِسلامی، وهو بهذا یرغّب غیر المسلم فی اعتناق الاِسلام إذا سمع ورأی مثل هذه الحقوق والعلاقات المتبادلة بین المسلمین:«المسلم أخو المسلم، و المسلمون إخوة، وهم ید واحدة علی من سواهم، تتکافوَ دماوَهم لیسعی بذمّتهم أدناهم».(۱)

وبعد ذلک تفرّغ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) للحکم علی بعض المجرمین والموَذین،حیث کان هناک عدد من المجرمین المکیّین، کان لابدّ من عقابهم علی ما فعلوا من أعمال سیئة، وذلک بالرغم من إصدار العفو العام، وقد طارد الاِمام علی (علیه السلام) اثنین منهم لجآ إلی بیت اُمّ هانیَ اُخت الاِمام (علیه السلام) التی أجارتهما،ولکن الاِمام (علیه السلام) طلب منها أن یعلم النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بأمانها لیعطی رأیه فی جوارها وأمانها کمرأة، فقبل (صلی الله علیه وآله وسلم) ذلک و قال: «قد أجرنا من آجرت، وأمّنا من أمّنت، فلا یقتلهما».(۲)

---

۱ . روضة الکافی:۲۴۶؛ السیرة النبویة:۲|۴۱۲؛ مغازی الواقدی:۲|۸۳۶؛ بحار الاَنوار:۲۱|۱۰۵.

۲ . الاِرشاد:۷۲.

وهو بهذا وضع قاعدة تقبل جوار المرأة وأمانها. کما أنّعبد اللّه بن أبی السرح الذی ارتدّعن الاِسلام وأمر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بقتله،نجا من القتل بشفاعة عثمان بن عفان له. وکذلک عکرمة بن أبی جهل الذی فرّ إلی الیمن، وتشفّعت فیه زوجته، فنجا من

القتل. کما أمّن أیضاً کبیر المجرمین صفوان بن أَمیة حینما طلب «عمیر بن وهب»من النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یعفو عنه، فأمهله أربعة أشهر لیعلن إسلامه بعد التفکیر.

وکذلک وضع (صلی الله علیه وآله وسلم) قاعدة مبایعة النساء له (صلی الله علیه وآله وسلم) ، فقد بایعته المرأة للمرّة الاُولی فی بیعة العقبة بهذه الکیفیة: [حیث أمر الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) بإحضار قدح ماء، ثمّألقی فی الماء شیئاً من الطیب والعطر فأدخل یده فیه،وتلا الآیة التی وردت فیها الاُمور المذکورة، ثمّ نهض من مکانه و قال لهن: من أرادت أن تبایع فلتدخل یدها فی القدح، فإنّی لا أصافح النساء].(۱) وقد أجری البیعة بهذا الاَسلوب، لوجود عدد کبیر من النساء الفاسدات بینهن، فکان لابدّمن ذلک حتی لا تستأنف إحداهن عملهن القبیح بعد ذلک فی السرّ. هدم بیوت الاَصنام

وللقیام بهذه المهمة الضروریة، أرسل النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فرقاً عسکریة إلی ضواحی مکة وداخلها وفی بیوتها لهدم الاَصنام المتواجدة فیها، کما أعلن (صلی الله علیه وآله وسلم) : «من کان فی بیته صنم فلیکسره». و أرسل خالد بن الولید إلی تهامة لدعوة قبیلة جذیمة بن عامر وهدم أصنامهم، ونهاه النبیعن القتل أو إراقة الدماء. إلاّأنّه لما کانت هذه القبیلة قد قتلت أیّام الجاهلیة عمّ خالد

---

۱ . فی سورة الممتحنة ۱۲: (ألاّ یشرکن بالله شیئاً ولا یسرقن ولا یزنین ولا یقتلن أولادهنّ ولا یأتین ببهتانٍ یفترینه بین أیدیهنّ وأرجلهنّ ولا یعصینک فی معروف) .

(۲۰۶)

ووالد عبد الرحمن بن عوف، فإنّه حقد علیهم، وأمر بقتل عدد منهم، الاَمر الذی أغضب النبیعندما علم بذلک، فأرسل مالاً کثیراً مع الاِمام علی (علیه السلام) لیدفع دیة هوَلاء المقتولین وقال: «اللهمّإنّی أبرأ ممّا صنع خالد بن الولید».(۱) وارتاح بعد ذلک لما أقدم علیه الاِمام علی (علیه السلام) من معاملة طیبة لاَهالی المنکوبین و قال: «والله ما یسرنی یا علیّأنّ لی بما صنعت حمر النعم، أرضیتنی رضی الله عنک، أنت هادی اُمّتی».(۲) ۴. معرکة حنین

وبعد أن استقر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی مکة مدّة خمسة عشر یوماً، غادرها إلی أرض قبیلة هوازن و ثقیف، بعد أن عیّن معاذ بن جبل لیُعلّم الناس القرآن وأحکام الاِسلام، وعتاب بن أسید لاِدارة الاُمور والصلاة بالناس جماعة فی مکة المکرمة.

وقد بلغ الجیش الذی سار به إلی هوازن: ۱۲ ألف مسلحاً، إذ شارکه هذه المرة ألفان من شباب قریش الذین أسلموا بعد الفتح بقیادة أبی سفیان.(۳) إلاّ أنّ کلّ ذلک العدد الکبیر لم یساعد فی النجاح والانتصار کما ذکر القرآن الکریم: (لَقَدْ نَصَرَکُمُ اللّهُ فِی مَواطِنَ کَثیرَةٍ وَیَوْمَ حُنَینٍ إِذْأَعْجَبَتْکُمْ کَثْرَتُکُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْکُمْ شَیئاً وَضاقَتْ عَلَیْکُمُ الاَرْضُ بِما رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّیْتُمْ مُدْبِرین) (۴) وقد برز من طرف العدو: مالک بن عوف النصری الذی عرف بالفروسیة والشجاعة، کما أنّه أدار الاتّصالات المکثفة بین هوازن وثقیف، لاِخراج خدعة عسکریة توجه منها ضربة إلی جیش

---

۱ . السیرة النبویة: ۲|۴۲۰؛ الکامل: ۱|۱۷۳؛ إمتاع الاَسماع:۱|۴۰۰.

۲ . مجالس ابن الشیخ: ۳۱۸.

۳ . طبقات ابن سعد:۲|۱۳۹؛مغازی الواقدی:۳|۸۸۹.

۴ . التوبة:۲۵.

(۲۰۷)

الاِسلام، فقد اقترح بوضع الاَطفال والنساء والاَموال وراء ظهور الرجال حتی یضطروا إلی أن یقاتلوا عنهم، کما أرسلوا الجواسیس

ورجال مخابراتهم للتجسس على المسلمين، مثلما بعث النبيرجاله إلى ديار الأعداء.

وحسب الوضع والموقع، قرّر مالك بن عوف أن يخفى الجنود خلف الصخور وفوق الجبال ليباغتوا المسلمين فى الوادى، الذى دخلته أوّل كتيبهٔ، من بنى سليم بقيادهٔ خالد بن الوليد فبادرهم العدو و أخذ يرشقهم بالاحجار والنبال ويضربونهم بالسيوف، فوقعوا فيهم ضرباً وقتلاً، ممّا أدّى إلى إصابهٔ المسلمين بالفوضى وبلبلهٔ الموقف وخلخلهٔ الصفوف فالفرار، الأمر الذى جعل النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» يأمر العباس بن عبد المطلب بأن ينادى على هوَلاء الفارّين والهاربين ويرجعهم، فبلغت صرخاته مسامعهم فثارت حميتهم ونادوا: لبيك لبيك. وبذا فقد تمكن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) من تنظيم صفوف جيشه من جديد، وحملا حملهٔ رجلٍ واحدٍ على العدو لغسل ما لحق بهم من عار الفرار، وتمكّنوا من النيل منهم وإجبارهم على الانسحاب من الموقع والفرار من أمامهم وذلك بتشجيع وحماس من الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : «أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب». ممّا كان الأثر الفعال فى إلقاء الهزيمهٔ المنكرهٔ بقبيلهٔ هوازن، تاركين وراءهم أموالهم ونساءهم وصبيانهم الذين كانوا قد وضعوهم خلف ظهورهم حسب أوامر وخطهٔ قائدهم.

أمّا النتيجهٔ النهائيهٔ للمعركهٔ، فكانت شهادهٔ ثمانيهٔ أفراد من المسلمين، وأسر ستهٔ آلاف من العدو، وغنائم كثيرهٔ من الحيوان وأربعهٔ آلاف أوقيهٔ فضهٔ.(۱)

وأعطى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أوامره بإرسال الغنائم والأسرى إلى الجعرانهٔ ـ بين مكهٔ والطائف ـ و بلغ من حنق المسلمين على المشركين فى

---

۱ . ۴ آلاف أوقيهٔ تساوى ۸۵۲ كيلو غرام.

هذه المعركهٔ، أن قتلوا الرجال وذرّيتهم، فلمّا بلغ ذلك النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: «ألا لا تُقتَل الذريهٔ». وعندما قيل له: إنّما هم أولاد مشركين. قال «صلى الله عليه وآله وسلم» : «أو ليس خياركم أولاد المشركين؟ كلّ نسمهٔ تولد على الفطرهٔ حتى يعرب عنها لسانها، وأبواها يهوّدانها أو ينصّرانها».(۱) ۵. غزوهٔ الطائف

سكنت قبيلهٔ ثقيف، واشتركوا مع هوازن فى قتال المسلمين، وهربوا بعد المعركهٔ السابقهٔ إلى الطائف متحصنين فى قلاعها وحصونها، فأمر النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» بالإعداد لمطاردتهم وملاحقتهم حتى ديارهم. فأرسل فريقاً عسكرياً بقيادهٔ أبى موسى الأشعرى لملاحقتهم فى أوطاس، فأحرز انتصاراً كبيراً على العدو. وأمّا النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد توجه بجيشه إلى الطائف، حيث هدم حصن مالك بن عوف فى طريقه، وسواه بالأرض، حتى لا يستغله العدو فيما بعد.

واشتهرت حصون الطائف وقلاعها بالمنعهٔ وارتفاع الجدران، فتمكنوا من ردّ المسلمين عن طريق حذفهم ورميهم، الذى أدّى إلى تراجعهم. فاقترح سلمان الفارسى أن يرمى الحصن بالمنجنيق ـ الّذى يأخذ دور الدبابهٔ فى الحروب الحديثهٔ ـ فبدأوا برمى الحصون وأبراجها بالحجارهٔ طوال عشرين يوماً، ممّا أصاب عدداً من المسلمين فى هذه الأعمال.(۲)

وممّا يذكر أنّ سلمان الفارسى هو الذى صنع جهاز المنجنيق، وعلّم المسلمين كيفيهٔ استخدامه، بينما يرى آخرون أنّ المسلمين حصلوا على هذا

---

۱ . إمتاع الاسماع:۱|۴۰۹.

۲ . السيرهٔ النبويهٔ:۴|۱۲۶ ويرى ابن هشام أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هو أوّل من استخدم المنجنيق فى الجزيرهٔ العربيهٔ.

السلاح من يهود خيبر، وأنّ سلمان ربما أدخل عليه تحسينات إضافة أنّه علم المسلمين أسلوب استعماله.

كما أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان قد حصل على بعض الآليات الحربية من خلال ما ترك فى حروبه لقبيلة دوس التى استخدمتها فى معاركها ضدّالمسلمين، فاستفاد منها النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى غزو الطائف.

إلّا أنّ نتائج تلك العمليات والآليات لم تأت بنتيجة حاسمة، فاتجه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى جانب آخر قد يكون أكبر قوّة وأثراً من الجانب العسكرى، وهو الناحية النفسية والاقتصادية. إذ أنّ أرض الطائف كانت زراعية، ذات نخل وأعناب، ممّا فكر به الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) لتهديدهم وتخويفهم لأنّه سيعمد إلى قطع الأعناب وإفناء المزارع، إذ استمر المعتصمون بالحصون فى المقاومة. وعندما لم يرضخوا للتهديد، نفذ المسلمون عملياً أوامر النبى ص بالقطع والحرق والإتلاف، ممّا أزعج الأهالى وطلبوا من النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» أن يأمر رجاله بالكف عن ذلك، فتركوا العمل بهذا التكتيك. وقام بمحاولة أخيرة للتخلص منهم، فنادى: أى عبد نزل من الحصن وخرج إلينا فهو حر. فنزل عدد منهم ملتحقاً بالمسلمين، وعرف منهم الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بعض الأخبار المرتبطة بالحصن، وأنّه لا نية لهم للاستسلام، و لديهم الاستعداد للمقاومة حتى لو طال الحصار عاماً واحداً، فلن يقعوا فى أزمة أو ضيق بسبب طول الحصار. ولذا فإنّ الجيش الإسلامى رأى أنّه من الأصلح الرجوع عن ساحة القتال، وذلك للأسباب التالية:

١.مقتل عدد من المسلمين، من قريش والأنصار، كما أنّ شهر شوال كان قد انتهى وبدأ شهر ذى القعدة وهو من الأشهر الحرم، وللحفاظ على هذه السُّنّة، فقد رأى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن ينهى الحصار فى أقرب وقت.

(٢١٠)

٢. كما أنّ موسم الحجّ كان قد اقترب، وخاصة أنّ إدارة الموسم ومناسكه أصبحت فى يد المسلمين الآن، وليس بيد المشركين كما فى السابق.

ولكلّ ذلك ترك النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) الطائف متوجهاً إلى الجعرانة حيث حفظت الغنائم والأسرى، فاستقر فيها ١٣ يوماً وزع فيها الغنائم بأسلوب جدير بالدراسة والتأمل: فقد أخلى سبيل بعض الأسرى، وخطط لإخضاع وإسلام مالك بن عوف قائد المعارك ضدّ المسلمين، وكان من بين المشركين مع هوازن، قبيلة بنى سعد التى أرضعت إحدى نسائها ـ حليمة السعدية ـ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وكبر بينهم وعاش معهم خمس سنوات، ولذا فإنّ جماعة مسلمة منهم قدمت إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) يطلبون سراح الأسرى من هذه القبيلة، وذكّروه بكلّ حياته بينهم فى تلك السنوات. فردّ عليهم النبيص محسناً إليهم بأكثر ممّا قدموا، وتنازل عن نصيبه فى الأسرى، فتبعه المهاجرون والأنصار و الآخرون، فارجعوهم إلى ذويهم. كما أنّ النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» دعا أُخته شيماء وبسط لها رداءه ورحب بها، ودمعت عيناه، وسألها عن أُمّه وأبيه من الرضاعة، فأخبرته بموتهما، فقال: إن أحببت فأقيمى عندنا محببة مكرمة، وإن أحببت أن أُمتعك وترجعى إلى قومك فعلت. فاختارت الرجوع إلى أهلها بعد أن أسلمت طوعاً ورغبة، ومنحها ثلاثة عبيد وجارية.(١)

وقد أدّت معاملات النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه، وإطلاق الأسرى إلى رغبة هوازن فى الإسلام، فأسلموا من قلوبهم، ففقدت الطائف آخر حليف لها.

أمّا بالنسبة لمالك بن عوف فقد رأى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فرصة طيبة للسيطرة عليه، وهو رئيس المتمردين، فقال لوفد بنى سعد: أخبروا

---

١ . البداية والنهاية:٢|٣٦٣؛ الإمتاع:١|٤١٣.

(٢١١)

مالکاً إنّه إن أتانی مسلماً رددت علیه أهله وماله وأعطیته مائهٔ من الإبل. وعندما بلغه ذلک، وعلم بقوّهٔ الإسلام وأخلاق النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وعظمته، قرر الالتحاق بالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فخرج من الطائف لإدراک النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی مکهٔ أو الجعرانهٔ، حین ردّ علیه ماله وأهله وأعطاه الإبل، فأسلم وحسن إسلامه، وجعله قائداً علی من أسلم من قومه حارب بهم ثقیف.

وأمّا الغنائم، فقد قسمها بین المسلمین، ووزع الخمس الّذی هو حقّه الخاص، بین أشراف قریش حدیثی العهد بالإسلام لیتألّفهم، مثل: أبی سفیان ومعاویهٔ ابنه، وحکیم بن حزام، والحارث بن هشام و سهیل بن عمرو، وحویطب ابن عبد العزی، والعلاء بن جاریهٔ، وصفوان بن أمیهٔ، وغیرهم ممّن کانوا أعداءه بالأمس القریب، لکلّ واحد منهم مائهٔ بعیر.(۱) وهذا الفریق یصطلح علیه فی الفقه الإسلامی: المؤلّفهٔ قلوبهم. وهم یشکّلون إحدی مصارف الزکاهٔ بنص القرآن الکریم.

إلّا أنّ بعضهم لم یستحسن أسلوب النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی التوزیع، ورأی أنّه لم یعدل حین وزع خمس الغنیمهٔ علی أبناء قبیلته، ومن أشهرهم:

ـ ذو الخویصرهٔ التمیمی، الذی رفض أُسلوب النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» ممّا دعا عمر بن الخطاب أن یستأذن النبی ص لقتله. ولکن النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» قال: دعه فإنّه سیکون له شیعهٔ (أی تَبع) یتعمّقون فی الدین حتی یخرجوا منه کما یخرج السهم من الرمیهٔ.(۲) وقد أصبح فعلاً زعیماً لفرقهٔ الخوارج فی عهد الإمام علی (صلی الله علیه وآله وسلم) .

کما اشتکی عدد من جانب الأنصار، حول کیفیهٔ توزیع الخمس، فخطب

---

۱ . المحبّر: ۴۷۳؛مغازی الواقدی: ۳|۹۴۴؛ السیرهٔ النبویهٔ:۳|۴۹۳.

۲ . وجاء فی السیرهٔ الحلبیهٔ أنّه أصل الخوارج.

فیهم النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) موضحاً موقفه من هذا التوزیع فی تألیف القلوب:«أفلا ترضون یا معشر الأنصار أن یذهب الناس بالشاهٔ والبعیر، وترجعوا برسول اللّه إلی رحالکم. والذی نفس محمّد بیده، لولا الهجرهٔ لکنت إمرئً من الأنصار، ولو سلک الناس شعباً وسلکت الأنصار شعباً، لسلکت شعب الأنصار».(۱)

ثمّ ترحم علیهم قائلاً: «اللّهمّ ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار».

فأثار بهذه الکلمات مشاعرهم فبکوا بشدّهٔ وقالوا: رضینا یا رسول اللّه حظاً وقسماً. ویکشف ذلک عن عمق حکمهٔ النبی ص وحنکته السیاسیهٔ، وأُسلوب معالجته للمشکلات بروح الصدق واللطف.

وبعد ذلک خرج النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) معتمراً من الجعرانهٔ، ثمّ انصرف راجعاً إلی المدینهٔ فوصلها فی أواخر ذی القعدهٔ أو أوائل شهر ذی الحجّهٔ، مستخلفاً علی مکّهٔ: عتاب بن أسید، الذی بلغ من العمر عشرین عاماً، و قُدّر له راتبٌ یومیٌّ، درهم واحد، ولما احتجّ بعضهم علی هذا التعیین، قال: «لا یحتج منکم فی مخالفته بصغر سنه، فلیس الأکبر هو الأفضل، بل الأفضل هو الأکبر، وهو الأکبر فی موالاتنا وموالاهٔ أولیائنا، ومعاداهٔ أعدائنا، فلذلک جعلناه الأمیر علیکم والرئیس علیکم، فمن أطاعه فمرحباً به، ومن خالفه فلا یبعدُ اللّه غیره».(۲)

وأکد بذلک النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) معیار الأهلیهٔ والجدارهٔ والکفاءهٔ فی حیازهٔ المناصب الاجتماعیهٔ والأُمور الاجتماعیهٔ الأُخری.

ومن أحداث هذه السنهٔ أیضاً_____:

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۲|۴۹۸؛ مغازی الواقدی: ۳|۹۵۷.

۲ . بحار الأنوار: ۲۱|۱۲۲؛ إمتاع الأسماع:۱|۴۳۲.

(۲۱۳)

وفاة زينب بنت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهى التى كان زوجها ابن خالتها أبى العاص الذى بقى على شركه بعد أن آمنت هى بأبيها، ولكنّه آمن فى الفترةالأخيرة وأعاد النبى ص إليه زوجته.

كما أنّالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) رزق فى أواخر هذا العام ولداً سمّاه إبراهيم من زوجته ماريـة القبطية، فأهدى المولدة هدية ثمينة، وعق له فى اليوم السابع وحلق شعره وتصدق بوزنه فضة فى سبيل اللّه.(۱_____)

۱ . تاريخ الخميس:۲|۱۳۱.

الفصل التاسع أحداث السنة التاسعة والعاشرة و

اشاره

الفصل التاسع أحداث السنة التاسعة والعاشرة و الحادية عشرة من الهجرة

أحداث السنة التاسعة من الهجرة

أحداث السنة التاسعة من الهجرة

۱. عام الوفود

انتهت السنة الثامنة بسقوط أكبر قاعدة من قواعد الوثنية والشرك، فى أيدى المسلمين، الذين انتصروا على أعدائهم تماماً، فأخذت القبائل المتمردة تتقرب إليهم تدريجياً، وتوالت وفودُها على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) تقدم ولاءها وتعلن إسلامها وتتقبل الرسالة المحمّدية، ممّا دعت تلك الكثرة من الأعداد الوافدة على النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يسمى بعام الوفود.(۱)

إنّ دراسة الوفود وما دار بينهم و بين الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تفيد بوضوح بأنّ الإسلام انتشر فى الجزيرة العربية عن طريق الدعوة والتبليغ. وتحدث القرآن الكريم فى سورة خاصة عن حضور تلك الوفود على النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» وما حقّقه الإسلام من فتح وانتصار:(إذا جاءَ نَصْرُ اللّهِوَالْفَتْح * وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فى دِينِ اللّهِ أَفْواجاً* فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كانَ تَوّاباً) .(۲)

إلّا أنّه بالرغم من ذلك فإنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أعدّ فى هذا

---

۱ . سجل المؤرخ محمد ابن سعد فى الطبقات:۱|۲۹۱ ، أسماء ۷۳ وفداً قدموا على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) طوال السنة۹هـ

۲ . سورة النصر.

(۲۱۸)

العام عدّة سرايا بعثها إلى جهات معينة، من جملتها سرية الإمام على «عليه السلام» إلى أرض طىء، وقد اختصت لهدم مظاهرالوثنيّة.

كما وقعت غزوة واحدة مثل غزوة تبوك، وإن لم يقاتل فيها النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» أحداً، إلاّ أنّها كانت تمهيداً لفتح المناطق الحدودية. ۲. هدم الأصنام

أدرك النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى ضوء تعاليم الوحى أنّ الوثنية كجرثومة الكوليرا، تهدم فضائل الإنسان وشرفه، وتقضى على مكارم الأخلاق، وتحط من مكانة الإنسان الرفيعة، وتجعله كائناً حقيراً أمام الطين والحجر. وعلى هذا الأساس أمره اللّه تعالى أن

یجتث جذور الشرک من کیان ذلک المجتمع الموبوء، بإزالهٔ کلّمظاهر الوثنیهٔ وأنواعها وأشکالها، مستخدماً القوهٔ تجاه الجماعات المعارضهٔ. وعلم (صلی الله علیه وآله وسلم) أنّ فی قبیلهٔ طیء صنماً کبیراً یقدَّس حتی ذلک الوقت، فأرسل الإمام علیاً (علیه السلام) مع ۱۵۰ فارساً لیحطم هذا الصنم ویهدم بیته.

ونجح الإمام (علیه السلام) فی مهمته، وعاد بالغنائم والأسری إلی المدینهٔ، وهرب رئیسها «عدی بن حاتم الطائی» إلی الشام ملتحقاً بأهل دینه، لأنّه کان نصرانیاً حسب ما ذکر بنفسه، وترک أُخته فی قومه. إلّا أنّ النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» أرجعها إلی أخیها بالشام، فأخذت توبخه ممّا صنع من هروبه مع أهله، وترکها وحیدهٔ، ثمّ طلبت منه أن یذهب إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ویعلن إسلامه، فاحترمه النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عندما قدم إلیه فی المدینهٔ، وقدم له ما یلیق به کأمیر وسید علی قومه.

ولما شاهد من سیرته وأفعاله ما یدل ویوَکد علی أنّه نبی اللّه، أسلم علی

(۲۱۹)

یدیه (صلی الله علیه وآله وسلم).(۱) ۳. غزوهٔ تبوک: وهی قلعهٔ قویّهٔ فی طریق حجر والشام.

أعدّ إمبراطور الروم قوّهٔ عسکریهٔ لمهاجمهٔ المسلمین الذین ازدادت قوّتهم وأعدادهم وخطرهم علی الدولهٔ الرومانیهٔ. وتألفت هذه القوّهٔ من ۴۰ ألف فارس و کانت مجهزهٔ بأحدث الأسلحهٔ و المعدات، وتقدمت إلی منطقهٔ البلقاء، فأمر النبی ص عندها أصحابه بالتهیّوَ والاستعداد لغزو الروم، فی موسم شدید الحرارهٔ، وجدب وعسرهٔ، إلّا أنّ الدوافع المقدّسهٔ والجهاد فی سبیل اللّه غَلَبَ علی کلّتلک الأُمور الدنیویهٔ، فشارک ۳۰ ألفً من المسلمین فی هذه الغزوهٔ تحددت نفقاتها من الزکاهٔ من أهل الغنی والثروهٔ. وقد اعتبرت هذه الغزوهٔ خیرَ مَحِکٍّ لمعرفهٔ المجاهدین الصادقین من المنافقین والمبدعین، إذ أنّ بعضهم تخلّف بحجّهٔ الخوف من أن یفتتن بالنساء الرومیات، وهو عذر صبیانی أقبح من الذنب: (وَمِنْهُمْ مَنْ یَقُولُ ائْذَنْ لِی وَلا تَفْتِنِّی أَلا فِی الفِتْنَهِٔ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحیطَهٌٔ بِالکافِرِین) (۲).

وکان منهم أیضاً المنافقون الذین تظاهروا بالإسلام، فثبّطوا الناس عن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وخوفوهم من قوّهٔ الرومان، و اعتذروا بالحر الشدید: (وَقالُوا لا تَنْفِرُوا فِی الحَرِّ قُلْ نارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّحرّاً لَوْ کانُوا یَفْقَهُون) .(۳)

کما أنّ مجموعهٔ من الخونهٔ ألّفت شبکهٔ جاسوسیهٔ فی المدینهٔ، تمکن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) من القضاء علیها بهدم المکان الذی اجتمعت به وحرقهٔ، وهو بیت سویلم الیهودی_____.

۱ . مغازی الواقدی:۲|۹۸۸؛ السیرهٔ النبویهٔ:۳|۵۷۸؛ الدرجات الرفیعهٔ فی طبقات الشیعهٔ الإمامیهٔ:۳۵۲.

۲ . التوبهٔ:۴۹.

۳ . التوبهٔ:۸۱.

(۲۲۰)

وکذلک تخلّف عنهم المخلّفون الثلاثهٔ، الذین جاء ذکرهم فی القرآن الکریم، حینما قالوا بأنّهم سیلحقون برکبه (صلی الله علیه وآله وسلم) بعد ما یفرغون من الحصاد، فوبّخهم اللّه تعالی وعاقبهم، لیکونوا عبرهً لغیرهم. کما تخلف عن الغزوهٔ ولکن بنیهٔ صادقهٔ البکاوَون، وذلک لعدم تمکّنهم من المشارکهٔ فی الجهاد، لفقرهم و عدم حصولهم علی دواب تحملهم، ولم یستطع النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یجهز ذلک لهم فقال: لا أجد ما أحملکم علیه. کما لم یشارک فیها الإمام علیّ (علیه السلام) فقد أبقاه النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» فی المدینهٔ، خوفاً من إثارهٔ فتنهٔ أو قیام انقلاب خلال غیابه، بمساعدهٔ القوی المضادهٔ للإسلام. وبالرغم من أنّالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قد استخلف علی المدینهٔ«محمد بن مسلمهٔ» فإنّه قال للإمام علی (علیه السلام) : «أنت خلیفتی فی أهل بیتی ودار هجرتی و قومی» فکأنّه تعیّن کقائد عسکری فی المدینهٔ یحفظ الأمن والاستقرار فیها. ولذا فإنّ المنافقین استغلوا ذلک فرصهٔ لنشر الشائعات والأقاویل فی عدم اصطحاب النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) للإمام علی (علیه السلام) معه فی الجیش، ممّا

جعل الاِمام (علیه السلام) یسیر إلی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) وهو علی بعد ثلاثهٔ أمیال من المدینهٔ لیسأله عن هذا الاَمر قائلاً: «یا نبی اللّه، زعم المنافقون أنّک إنّما خلّفتنی أنّک استثقلتنی وتخففت عنی» فقال الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) حینئذٍ کلمته التاریخیهٔ الخالدهٔ التی اعتبرت من الاَدلهٔ القاطعهٔ علی إمامته وخلافته بعده «صلی الله علیه وآله وسلم» : «کَذِبوا ولکنّی خلّفتُک لما ترکتَ ورائی، فارجع فاخلفنی فی أهلی وأهلک، أفلا ترضی یا علیّ أن تکون منّی بمنزلهٔ هارون من موسی إلاّ أنّه لا نبیّ بعدی».(۱) وهکذا فقد استعرض النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) المعسکر قبل تحرّک الجیش، وألقی فیهم خطاباً هاماً لتقویهٔ معنویات المجاهدین، وشرح فیه هدفه من هذه التعبئهٔ العامهٔ الشاملهٔ_____.

۱ . إمتاع الاَسماع:۱|۴۵۰.

(۲۲۱)

وفی الطریق واجه متاعبَ ومشاق کثیرهٔ، ولذا سمی هذا الجیش بجیش «العسرهٔ»، إلاّأنّ إیمانهم العمیق، وحبّهم للهدف المقدس، سهّل علیهم الاَمر. وعندما مروا بأرض ثمود، غطی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وجهَه بثوبه وأمر أصحابه بسرعهٔ السیر: «لا تدخلوا بیوت الذین ظلموا إلاّوأنتم باکون خوفاً أن یصیبکم مثلما أصابهم». کما نهاهم أن یشربوا من مائها ولا یتوضأوا به للصلاهٔ ولا یطبخ به طعام.(۱) ولکنّهم شربوا عندما وصلوا إلی البئر التی کانت تشرب منها ناقهٔ صالح (علیه السلام) فنزلوا علیها بأمر الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) .

کما أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أظهر فی الطریق بعض الاُمور الغیبیهٔ حتی لا یوَثّر شکّ بعضهم فی إیمان الآخرین، مثلما جری لناقته التی ضلت الطریق، وبدأ المنافقون فی التقلیل من قوّهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) واتّصاله باللّه سبحانه و تعالی، فأخبرهم بموقعها، بعلم من اللّه تعالی. وتنبأ عن أبی ذر و ما سیجری له عندما تأخّر عنهم فقال: رحم اللّه أبا ذر یمشی وحده ویموت وحده ویبعث وحده.(۲)

علی کلّ حال، وصل الجیش فی مطلع شهر شعبان إلی أرض تبوک، دون أن یجدوا أثراً لجیش الروم الذی کان قد انسحب إلی داخل بلاده مفضلاً عدم مواجههٔ المسلمین، وموَکدین حیادهم تجاه الحوادث والوقائع التی تجری فی الجزیرهٔ العربیهٔ. فجمع النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) القادهٔ و شاوَرَهم فی أمر التقدّم فی أرض العدو، أو العودهٔ إلی العاصمهٔ. فقرروا العودهٔ لیستعید الجمیعُ نشاطَه بعد المشاق والتعب، إضافهٔ إلی أنّهم حقّقوا هدفهم بتخویف العدو وإلقاء الرعب فی قلوبهم، فقالوا للنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) : إن کنت اُمرت بالسیر فَسِرْ، فقال (صلی الله علیه وآله وسلم) : «لو اُمرت به ما استشرتُکم فیه».(۳) فاحترم

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۲|۵۲۱؛ السیرهٔ الحلبیهٔ:۳|۱۳۴.

۲ . السیرهٔ النبویهٔ:۲|۵۲۱؛ السیرهٔ الحلبیهٔ:۳|۱۳۴.

۳ . مغازی الواقدی: ۳|۱۰۱۹.

(۲۲۲)

الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) آراء هوَلاء وقرر العودهٔ إلی المدینهٔ.

ورأی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أنّ الوقت مناسب للاتّصال ببعض حکّام وروَساء المناطق الحدودیهٔ، لیعقد معهم معاهدات أمن وعدم إعتداء، لیأمن جانبهم. فاتصل شخصیاً بزعماء أیلهٔ وأذرح والجرباء. وعندما قدم یوحنا بن روَبهٔ زعیم أیلهٔ، إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قدم له فرساً أبیض وأعلن عن طاعته له (صلی الله علیه وآله وسلم) ، فاحترمه (صلی الله علیه وآله وسلم) وصالحه وکساه برداً یمانیاً، وقبل أن یدفع جزیهٔ قدرها ۳۰۰ دینار سنویاً علی أن یبقی علی دینه المسیحی، ووقع الطرفان علی کتاب أمان، فضمن بذلک أمن المنطقهٔ الاِسلامیهٔ شمالاً.

وفی طریق تبوک تقع منطقـهٔ دومهٔ الجندل ذات الخضـرهٔ والماء، وتبعد عن الشام ۵۰ فرسـخاً، وعن المدینهٔ عشرهٔ أمیال، حکمها رجلٌ مسیحی هو: أکیدر بن عبد الملک. فأرسل النبی (صـلی الله علیه وآله وسلم) قوّهٔ بقیادهٔ خالد بن الولید لِاخضاعه، فتمکن من السیطرهٔ علیهم وإحضـار أکیـدر إلی الرسـول «صـلی الله علیه وآله وسـلم» ، فـأعلن خضوعه وقبـل دفع الجزیـهٔ والبقـاء علی دینه، وکتب عهـداً وصالحه، وأهداه، ثمّ أوصله إلی بلده بحراسهٔ خاصهٔ.(۱) فانتهت بذلک الاَعمال العسکریهٔ فی تبوک.

ویمکن تقییم نتائج تلک العملیات العسکریهٔ کما یأتی:

۱. إبراز مکانهٔ وسمعهٔ الجیش الإسلامی فی المناطق الخارجیهٔ، ممّا أثر فی القبائل هناک فتسارعوا بالقدوم والوفود علی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) بعد عودته من تبوک، لتعلن خضوعها وطاعتها، حتی سمّی ذلک العام بعام الوفود.

۲. ضمان أمن الحدود بعد توقیع المعاهدات والاتفاقیات مع حکّام تلک

---

۱ . بحار الاَنوار: ۲۱|۲۴۶؛ طبقات ابن سعد: ۲|۱۶۶.

المناطق.

۳. تمهید الطریق للمسلمین لفتح الشام بعد ذلک، عندما تعلموا منه «صلی الله علیه وآله وسلم» أسالیب تکوین وإعداد الجیوش الکبری لمحاربهٔ القوی العظمی.

۴. تمییز المؤمن عن المنافق.

وبعـد أن مکث (صـلی الله علیه وآله وسـلم) عشـرین یومـاً فی تبوک، توجه إلی المدینـهٔ، إلّا أنّ اثنی عشـر منافقاً تآمروا لاغتیال النبی «صـلی الله علیه وآله وسـلم» قبل أن یصل إلی عاصـمته، کان ثمانیهٔ منهم من قریش والآخرون من أهل المدینهٔ، وذلک بتنفیر ناقته فی العقبـهٔ ـ بین المدینـهٔ والشـام ـ لیطرحوه فی الوادی، غیر أنّه (صـلی الله علیه وآله وسـلم) علم بموَامرتهم فأرعبهم بصـیاحه فیهم، فترکوا العقبـهٔ هـاربین، ورفض (صـلی الله علیه وآله وسـلم) أن یرسـل من یقضـی علیهم أو اللحاق بهم. ثمّ وصل الجیش إلی المدینـهٔ فرحین مسـرورین معتزین بمـا حقّقوه من انتصـار علی الاَعـداء، وإلقـاء الرعب فی قلب دولـهٔ کبیرهٔ، ولمـا أرادوا التفاخر والتباهی علی الـذین تخلّفوا بعذر وقلوبهم مع جنود الإسـلام، فإنّ النبی «صـلی الله علیه وآله وسـلم» منعهم من ذلک، لاَنّ النیّهٔ الصالحهٔ والفکر الطیّب یقوم مقام العمل الصالح الطیّب.

ثمّ أقـدم (صـلی الله علیه وآله وسـلم) علی معاقبـهٔ الثلاثهٔ الذین تخلّفوا عن الجیش بأعذار واهیهٔ وهم: هلال بن أُمیهٔ، کعب بن مالک، ومرارهٔ بن الربیع، فقـد أعرض بوجهه الکریم عنهم، ولم یکترث بهم حینما قـدّموا التهنئهٔ بعودتهم مظفرین، وقال فیهم: لا تکلّموا أحداً من هوَلاء الثلاثهٔ، ممّا أثر فی التعامل معهم تجاریاً، فکسدت بضائعهم ، وانقطعت روابطهم مع أقربائهم، فأثر ذلک فی نفسیاتهم: (حَتّی إِذا ضاقَتْ عَلَیْهِمُ الاَرضُ بِما رَحُبَتْ وَضاقَتْ عَلَیْهِمْ أَنْفسُهُمْ) .(۱)

---

۱ . التوبهٔ:۱۱۸.

فقاموا بالتوبهٔ إلی اللّه، فأعلن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عفوه عنهم،ورفع المقاطعهٔ عنهم.(۱)

وکانت هذه آخر معرکهٔ اشترک فیها الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) إذ لم یشارک بعدها فی أیّقتال. ۴. مسجد ضرار

أصبح أبو عامر والد حنظلهٔ غسیل الملائکهٔ، الذی استشهد فی أُحد، من المتعاونین مع المنافقین، الذین خططوا دائماً للتخریب و إفساد أعمال الإسـلام،ولـذا قرر النبی (صـلی الله علیه وآله وسـلم) اعتقاله فهرب إلی مکّـهٔ و منها إلی الطائف ثمّ إلی الشام، فقاد منها شـبکهٔ

تجسسیهٔ لصالح المنافقین. وکتب فی إحدی رسائله إلی جماعته، یطلب منهم أن یبنوا مسجداً فی قباء فی مقابل مسجد المسلمین لیتخذوه مرکزاً لتخطیط وتنفیذ موَامراتهم. وکان النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» قد رفض من قبل طلبهم هذا قبل مسیره إلی تبوک، فاستغلوا غیابه فأقاموه. و لمّا عاد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) طلبوا منه أن یوَدی رکعتین فیه لیسبغوا علیه الصفهٔ الشرعیهٔ، إلّا أنّ جبرائیل (علیه السلام) أوحی إلیه «صلی الله علیه وآله وسلم» بحقیقهٔ الاَمر والنیهٔ، وسمّاه مسجد ضرار ووصفه بأنّه مرکز لِایجاد الفرقهٔ والتآمر بین المسلمین:(وَالَّذِینَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِراراً وَکُفْراً وَتَفْرِیقاً بَیْنَ الْمُؤْمِنِینَ وَإِرْصاداً لِمَنْحارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَیَحْلِفُن إِنْ أَرَدْنا إِلّاالحُسْنی وَاللّهُ یَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَکاذِبُونَ* لا تَقُمْ فِیهِ أَبَداً لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلی التَّقْوی مِنْ أَوَّل یَومٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فیهِ فِیهِ رِجالٌ یُحِبُّونَ أَنْ یَتَطَهَّرُوا وَاللّهُ یُحِبُّ الْمُطَّهِّرِینَ).(۲)

---

۱ . السیرهٔ الحلبیهٔ: ۳|۱۶۵.

۲ . التوبهٔ:۱۰۷.

ممّا دعا الرسولص أن یأمر فوراً بتدمیره وإحراقه وتسویته بالاَرض، فتحول مکانه إلی مزبلهٔ فیما بعد.(۱) وکان ذلک ضربهٔ قویّهٔ للمنافقین، إذ انتهی حزبهم الخبیث وهلک حامیهما الوحید عبد اللّه بن أُبی بعد شهرین من غزوهٔ تبوک. ۵. وفد ثقیف

وهی من القبائل العنیدهٔ التی تصلبت فی موقفها أمام المسلمین،وخاصهٔ عندما حاصرهم الجیش الاِسلامی، فلم یتنازلوا أو یسلموا، إلّا أنّ موقفهم تغیّر بعد غزوهٔ تبوک التی أشهرت قوّهٔ المسلمین،وخوفت عدّهٔ جهات، ممّا دفع عروهٔ بن مسعود الثقفی أحد سادتهم إلی أن یقدم إلی المدینهٔ ویعلن إسلامه علی یدی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) ثمّ یرجع إلی قومه داعیاً لهم إلی الاِسلام، فرشقوه بالنبال والسهام حتی استشهد.

إلّا أنّ موقفهم المتصلب تغیّر بعد فترهٔ حینما علموا أنّمصالحهم التجاریهٔ وغیرها معرضهٔ للخطر إذا لم یحسنوا علاقاتهم بالمسلمین، فقرروا التوجه إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وإعلان إسلامهم، فأوفدوا عنهم عبد یالیل مع خمسهٔ رجال للتفاوض مع النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ،وهناک أمر النبیبإکرامهم،وعین «خالد بن سعید» قائماً بشوَون صیافتهم.

وفی المفاوضات التی جرت بین الطرفین، اشترط علیهم الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» أن یهدموا الاَصنام فرفضوا أوّل الاَمر، ولکنّهم أطاعوه بالتالی علی أن یقوم أشخاص غرباء ـ لیسوا من قبیلتهم ـ بهدمها. کما طلبوا إعفاءهم من الصلاهٔ، فقال (صلی الله علیه وآله وسلم) : «لا خیر فی دین لا صلاهٔ فیه». ثمّ وقّع

---

۱ . السیرهٔ النبویهٔ:۲|۵۳۰؛ بحار الاَنوار: ۲۰|۲۵۳.

الطرفان علی شروط المعاهدهٔ التی تمّت بینهما، واختار «صلی الله علیه وآله وسلم» منهم عثمان بن أبی العاص(۱) الذی حرص علی التفقّه فی الدین وتعلّم القرآن، فأمّره علیهم وجعله نائباً دینیاً وسیاسیاً عنه فی قبیلهٔ ثقیف، وأن یصلی بالناس جماعهٔ، مراعیاً أضعفهم: «یا عثمان تجاوز فی الصلاهٔ ـ أی خفف الصلاهٔ وأسرع فیها ـ وأقدر الناس بأضعفهم،فإنّ فیهم الکبیر والصغیر والضعیف وذا الحاجهٔ». ثمّ کلّف (صلی الله علیه وآله وسلم) أبا سفیان و المغیرهٔ بن شعبهٔ، للتوجه معهم لهدم الاَصنام هناک.(۲) ۶. إعلان البراءهٔ من المشرکین فی منی

فی أواخر هذا العام ـ ۹هـ ـ نزل جبرائیل (علیه السلام) علی النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» مع عدّهٔ آیات من سورهٔ البراءهٔ، یطلب أن یتلوها رجل یختاره الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) فی موسم الحج. وقد تضمنت الآیات رفع الاَمان عن المشرکین، وإلغاء جمیع

العهود ـ إلّاما التزم بها أصحابها ولم ينقضوها ـ فيبلغ ذلك إلى روَوس المشركين ليوضحوا موقفهم تجاه الدولة الإِسلامية خلال أربعة أشهر، فإذا لم يتركوا ما هم عليه من شرك ووثنية خلال الأَربعة أشهر، نزعت عنهم الحصانة ورفع عنهم الأَمان. أمّا الدوافع التى كانت وراء صدور هذا العهد: البراءة:

١. كان التقليد السائد عند العرب جاهلياً أن يعطى زائر الكعبة ثوبه الذى يدخل به مكة إلى فقير، ويطوف بثوب آخر، وإذا لم يكن له ثوب آخر، فإنّه يستعيره ليطوف به حول البيت، وإن لم يجد طاف عرياناً بادى السوأة، حتى لو كانت إمرأة، فإنّها تطوف عارية بالبيت على مرأى من الناس، وهو الأَمر الذى

---

١ . كان أحدثهم سناً.

٢ . السيرة النبويّة:٢|٥٣٧؛ السيرة الحلبية:٣|٢١٦؛ أُسد الغابة:١|٢١٦.

(٢٢٧)

انطوى على نتائج سيئة.

٢. كما أنّه بعد انتشار الإِسلام وإظهار قوّته فى خلال عشرين عاماً، رأى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يستخدم القوّة لضرب كلّمظاهر الوثنية، على أنّها نوع من العدوان على الحقوق الإِلهية والإِنسانية، فكان لابدّ من استئصال جذور الفساد باستخدام القوّة العسكرية كآخر وسيلة.

٣. ثمّ إنّ الحجّ كان أكبر العبادات والشعائر الإِسلامية، فكان على الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يقوم بتعليم المسلمين مناسك الحجّ على الوجه الصحيح بعيداً عن تأثير أىّ نوع من الشوائب والزوائد، فكان لابدّ من اشتراك النبى ص بنفسه فى تعليمهم هذه العبادة بصورة عملية، ولكن بشرط أن تخلو منطقة الحرم ونواحيها من المشركين العابدين للأَصنام، ليصبح الحرم الإِلهى خالصاً للموحدين والعباد الواقعيين.

٤. والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يحارب لفرض العقيدة لأَنّالعقائد لا تخضع لأَىّ قهر أو فرض، بل انحصر نضاله فى القضاء على مظاهر الاعتقاد بالأَوثان، بواسطة هدم بيوت الأَصنام.

ولكلّ ذلك فإنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) اختار أبا بكر بعد أن علمه تلك الآيات من سورة البراءة، ووجه صوب مكة يرافقه أربعون رجلاً ليتلوها على مسامع الناس يوم عيد الأَضحى، إلّاأنّ جبرائيل (عليه السلام) أخبره «صلى الله عليه وآله وسلم» : «إنّه لا يوَدّى عنك إلاّ أنت أو رجل منك» ممّا جعل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يطلب من الإِمام على (عليه السلام) القيام بهذه المهمة: «إلحق أبا بكر فخذ براءة من يده و إمض بها إلى مكّة و انبذ بها عهد المشركين إليهم، أى إقرأ على الناس الوافدين إلى منى من شتى أنحاء الجزيرة العربية براءة، بما فيها النقاط الأَربع التالية:

(٢٢٨)

١. لا يدخل المسجد مشرك.

٢. لا يطوف بالبيت عريان.

٣. لا يحج بعد هذا العام مشرك.

٤. من كان له عهد عند الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو له إلى مدّته، أى يحترم ميثاقه وماله و نفسه إلى يوم انقضاء العهد، ومن لم يكن له عهد ومدّة من المشركين فإلى أربعة أشهر، فإن أخذناه بعد أربعة أشهر قتلناه، ويسرى هذا ابتداء من اليوم العاشر من ذى الحجّة. ويعنى هذا أنّهذا الفريق من المشركين، عليه أن يحدد موقفه من الدولة الإِسلامية، فإمّا الانضمام إليها وترك مظاهر الشرك، و إمّا القتال.(١)

وقد أدرك الإمام (عليه السلام) أبا بكر فى الجُحفة وأبلغه أوامر النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» فأعطاه الآيات، ورجع أبو بكر إلى المدينةمستفسراً عن سبب موقف النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فأخبره بما أمره جبرائيل (عليه السلام) .

ولم يمض على قراءتها المدّة المعلومة، حتى اعتنق أكثر المشركين الإسلام، فتم بذلك استئصال جذور الوثنية فى أواسط السنة ١٠ هـ ويؤكد هذا الموقف على نيّة النبيبالكشف عملياً عن أهلية الإمام على (عليه السلام) وصلاحيته للقيام بأُمور الدولة فى المستقبل.

---

١ . فروع الكافى: ١|٣٢٦.

أحداث السنة العاشرة من الهجرة

أحداث السنة العاشرة من الهجرة ١. ورود وفد نجران، و المباهلة

تقع نجران على الحدود بين الحجاز و اليمن، واعتنق أهلها المسيحية، وكان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) قدكتب إلى أُسقف نجران أبو حارثة يدعوه إلى الإسلام أو دفع الجزية، أو الحرب بين الطرفين، فتشاور مع رجاله وشخصيات دينية كان من ضمنهم شرحبيل الذى عرف بالعقل والحكمة والتدبير فقال: قد علمتُما وعد اللّه إبراهيم فى ذرّية إسماعيل من النبوّة. ثمّ اتّفقوا على إرسال وفد منهم إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ضمّ ستين شخصاً من أهل العلم بقيادة ثلاثة من أساقفتهم:

ـ أبو حارثة بن علقمة: أسقف نجران الأَعظم والممثل الرسمى للكنائس الرومية فى الحجاز.

ـ عبد المسيح : رئيس الوفد.

ـ الأَيهم: من الشخصيات المقدّرة عندهم.(١)

وحينما وصلوا المدينة ودخلوا المسجد لمقابلة النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» فى ملابسهم الخاصة من ديباج وحرير وذهب، والصلبان فى أعناقهم، انزعج النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك فأخبرهم الإمام على (عليه السلام)

---

١ . السيرة الحلبية:٣|٢١١.

بأن يضعوا حللهم وخواتيمهم ثمّ يعودوا إليه، فدخلوا من ثمّ على النبى الأَكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى احترمهم وتقبّل هداياهم، ثمّ طلبوا الإذن بالصلاة ـ أى صلاتهم ـ فأذن لهممدلّلاً بذلك على التسامح الدينى الذى تميز به الرسول الأَكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) والإسلام.

ثمّ جرت المفاوضات و المناقشات الدينية بينهم و بين النبى ص وخاصة فيما يرتبط بالسيد المسيح، فأوضح لهم النبى ص ما جاء حوله مفصلاً فى القرآن الكريم، و أنّه بشر وليس إلهاً ولكنّهم لم يرضخوا لمنطق النبى ودلائله فدعاهم إلى المباهلة بعدما نزلت عليه الآيات: (فَمَنْ حاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِماجاءَكَ مِنَالعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللّهِ عَلى الكاذِبين) .(١)

واتّفق الطرفان على إجراء المباهلة فى الصحراء خارج المدينة، فاختار الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من أهله أربعة أشخاص فقط هم: الإمام على (عليه السلام) والسيدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والإمامان الحسن و الحسين «عليهما السلام» فلم يكن غيرهم أطهر نفساً وأقوى وأعمق إيماناً. وفى الموعد المحدد سار النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى الموقع بأسلوب مميز، فقد احتضن الإمام الحسين (عليه السلام) وأخذ بيد الإمام الحسن (عليه السلام) وسارت السيدة الزهراء(عليها السلام) خلفه ، والإمام على (عليه السلام) خلفها، وهو يقول: إذا دعوتُ فأمِّنُوا

وكان زعماء الوفد النجرانى قد قرروا أنّه إذا خرج النبيبأهله فقط، لم يباهلوه فإنّ ذلك يدل على صدقه وثقته بحاله، فلما شاهدوا ذلك بأنفسهم اندهشوا له، فكيف خرج النبيبابنته الوحيدة وأفلاذ كبده المعصومين للمباهلة،فأدركوا أنّهواثق من نفسه ومن دعوته، إذ لو لم يكن كذلك لما خاطر بأحبائه ولما عرضهم للبلاء السماوى، ولهذا قال أُسقف نجران: يا معشر

---

١ . آل عمران:٦١.

النصارى، إنّى أرى وجوهاً لو شاء اللّه أن يزيل جبلاً من مكانه لَازاله بها، فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الاَرض نصرانى إلى يوم القيامة. فاتّفقوا بذلك على عدم أداء المباهلة، واستعدادهم لدفع الجزية سنوياً للنبى «صلى الله عليه وآله وسلم» فى مقابل قيام الدولة الإسلامية بالدفاع عنهم.

وجاء عن السيدة عائشة: أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) خرج يوم المباهلة وعليه مرط ـ كساء ـ مرجّل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثمّ جاء الحسين فأدخله، ثمّ فاطمة ثمّ على، ثمّ قال: (إِنَّما يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَعَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً).(١) ويوَكد الزمخشرى، أنّ ذلك دليل قوىّ على فضل أصحاب الكساء، وبرهان على صحّة نبوّة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وأمّا عن وقت حدوث المباهلة، فقد جاء أنّه لا خلاف بين المورّخين بأنّ كتاب الصلح كتب عام ١٠هـ وفى يوم ٢٥ من شهر ذى الحجّة.ويذكر السيد ابن طاووس أنّه كان يوم ٢٤ وهو الاَصح، بينما رأى فريق آخر أنّه كان فى يوم ٢١ أو ٢٧ من الشهر نفسه.(٢)

وقد جاء عن السيد ابن طاووس قصة المباهلة فى كتاب الإقبال بصورة مفصّلة لم ترد فى أىّ كتاب آخر، مشيراً بأنّ محتوياته اقتبست من كتابين:

١. كتاب المباهلة لاَبى الفضل محمّد بن عبد المطلب الشيبانى.(٣)

٢. كتاب عمل ذى الحجّة تصنيف الحسن بن إسماعيل بن إشناس.(٤)

---

١ . الاَحزاب:٣٣.

٢ . الإقبال:٧٤٣.

٣ . يرى النجاشى أنّ له فترتين من الحياة، كان فى إحداها موثوقاً به، وفى الاُخرى لم يكن موثوقاً به.

٤ . من مشايخ الطائفة الإمامية، توفى ۴۶۰هـ ونقل أحاديث المباهلة.

أما رأينا حول توقيت المباهلة، فإنّ الدراسة العلمية تثبت أنّ الواقعة لم تحدث فى شهر ذى الحجّة عام ١٠هـ أنّ الرسول ص كان قد توجه إلى مكّة لتعليم مناسك الحجّ فى هذه السنة، وفى اليوم ١٨ من هذا الشهر ـ و هو يوم الغدير، نصب علياً (عليه السلام) فى غدير خم(١) خليفة على المسلمين من بعده، ولم تكن حادثة الغدير بالاَمر الهيّن حتى يتابع النبى ص سفره فوراً إلى المدينة، إذ أنّه نصب خيمة جلس فيها الإمام على (عليه السلام) ليدخل عليه المهنّئون،واستمر ذلك حتى ليلة ١٩ من ذى الحجّة، حيث بدأت أُمّهات المؤمنين فى التهنئة عند نهاية المراسيم، فلا يمكن لذلك أن يغادر الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» غدير خم فى يوم ١٩، نظراً لوجود الكثير من الحجّاج الذين كانوا يودعون النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فى هذه البقعة.

والشواهد التاريخية توَكد أنّ النظرية المذكورة فى توقيت المباهلة لا تحظى بالاعتبار الكافى، فلابدّ لمعرفة زمن الحادثة التى هى من مسلمات القرآن والتفسير والحديث، تحرّى المزيد من التحقيق والدراسة والتقصّى. وأمّا سبب اختيار العلماء للوقت والزمن، فذلك لاَنّ الشيخ الطوسى اختاره استناداً إلى روايات نَقَلها فى كتابه، مع وجود رجال غير ثقات ضمن سنده.

وتعتبر قصة مباهلة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) مع وفد نجران من أحداث التاريخ الإسلامى الجميلة و المثيرة، وإن قصّر بعض المفسرين والمؤرخين فى رواية تفاصيلها وتحليلها، إلاّ أنّ عدداً من العلماء كالزمخشرى فى الكشاف، والإمام الفخر الرازى فى تفسيره، وابن الأثير فى الكامل، تناولوها بدقائقها.(۲_____)

۱ . تبعد عن الجحفة ميلين، والجحفة على ۶ أميال من البحر الأحمر،وتقرب من رابغ الآن، و۴ أميال من مكة. أمّا بحساب المقاييس الحديثة فهى تبعد عن مكّة ۲۲۰ كم. والميل عبارة عن ۳ آلاف ذراع، والفرسخ يساوى ۹ آلاف ذراع، و قيل إنّ الميل ۴ آلاف ذراع،والفرسخ ۱۲ ألف ذراع. و الميل ثلث الفرسخ،والفرسخ يعادل ۳ أميال.

۲ . الكشاف: ۱|۳۸۲؛ مفاتيح الغيب للرازى:۲|۴۷۱؛ الكامل: ۲|۱۱۲.

(۲۳۳)

كما أنّها وما نزل فيها من القرآن الكريم تعتبر أكبر فضيلة تدعم موقف الشيعة، فى الكشف عن مقام ومكانة من باهل بهم رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» والذين يتخذهم الشيعة أئمّة وقادة لهم، فالآية الكريمة اعتبرت الإمام الحسن والحسين «عليهما السلام» أبناء للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والسيّدة فاطمة الزهراء (عليها السلام) هى المرأة الوحيدة التى ترتبط بالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وعبّر عن على (عليه السلام) بأنفسنا، فكان بحكم هذه الآية بمنزلة نفس رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أى من حيث الصفات النفسية والموَهلات الروحية. ۲. وفود القبائل فى المدينة

بعد إعلان البراءة من المشركين والوثنيين فى موسم حج ۹هـ ارتبكت القبائل فعمدت إلى إيفاد مندوبين عنها إلى عاصمة الإسلام للحوار والتعرف على الدين الجديد والخضوع للدولة الإسلامية. وهو ما يكشف عن أنّه فى عام ۱۰هـ فَقَد هوَلاء كلَ حصن يمنعهم عن رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ لم تنته الفترةُ المقررة لإعلان موقفهم ـ سواء بالرفض أو القبول ـ بعد أربعة أشهر، إلاّوقد دخَلَت كلّمناطق الحجاز تحت راية التوحيد، بالإضافة إلى سكان اليمن والبحرين واليمامة.

وقد بعث (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى اليمن: معاذ بن جبل لينشر دين التوحيد ويشرح لهم التعاليم فأوصاه قائلاً: «يسّر ولا تعسّر، وبشّر ولا تنفّر» إلاّ أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) رأى أن يرسل الإمام عليّاً (عليه السلام) إلى تلك الجهات ليزيل المشكلات التى تعرقل تقدّم الإسلام فى تلك الديار. ولكن الإمام (عليه السلام) تواضَعَ فى ذلك وقال: يا رسول اللّه تبعثُنى وأنا شابٌّ أقضى بينهم ولا أدرى ما القضاء ـ أى ما فعلته قبل هذا ـ فضربَ الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» بيده على صدره و قال: «اللّهم اهد قلبه و ثبّت لسانه» ثمّ أوصاه بوصايا أربع هامة قائلاً: «يا على أُوصيك : بالدعاء فإنّ معه الإجابة، وبالشكر فإنّ معه المزيد،

(۲۳۴)

وإيّاك أن تخفر عهداً أو تعين عليه، وأنهاك عن المكر فإنّه لا يحيق المكر السيّءُ إلاّبأهله، وأنهاك عن البغى، فإنّه من بُغى عليه لينصرنّه اللّه».

وفى اليمن دخلت قبيلة همدان كلّها فى الإسلام فى يوم واحد، حينما قرأ عليهم كتاب رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فكتب الإمام (عليه السلام) بذلك إلى النبيفاستبشر وابتهجَوخَرَّ ساجداً شكراً للّه وقال: «السلام على أهل هَمْدان». وعلى أثر إسلام همدان تتابع أهل اليمن على الإسلام.(۱)

وقد حاولت جماعةٌ من القبائل اغتيال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد اتّفق ثلاثة من أفراد قبيلة بنى عامر المعروفة بالشر و الطغيان أن يدخلوا المدينة على رأس وفد بنى عامر متظاهرين بالتفاوض مع الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» واغتياله غدراً. والثلاثة هم: عامر، أربد، و جبار. وشملت خطتهم أن يتحدث عامر إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فى الوقت الذى يعد فيه أربد لضربه بالسيف، إلاّ أنّ الوضع لم يجرِ كما خُطِّطَ له، فقد هاب أربد النبيوانصرف عن نيّته، فغضب عامر و هدّد بمحاربة النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» وغادر المجلس بعد أن دعا عليه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى صاحبه، فاستجاب اللّه دعاءه سريعاً حيث مات فى

الطریق بمرض الطاعون، واحترق أربد بصاعقهٔ وهو فی الصحراء. ۳. حجّهٔ الوداع

فی عام ۱۰ هـ أمرَ اللّهُ تعالی نبیّه الکریم (صلی الله علیه وآله وسلم) أن یشارک فی مراسم الحجّ، ویعلّم مناسکه للناس، ویوقفهم علی واجباتهم فی هذه العبادهٔ الکبری عملیّاً، کما یقوم بإزالهٔ کلّما ارتبط بها من زوائد طیلهٔ السنوات

---

۱ . الکامل: ۲|۳۰۵؛ بحار الأنوار: ۲۱|۳۶۰.

(۲۳۵)

الماضیهٔ، ویعیّن حدود عرفات ومنی و یوم الإفاضهٔ منها. ولذلک فقد تهیّأ عددٌ کبیر من المسلمین لمرافقهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی هذه الرحلهٔ المبارکهٔ، فخرج الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) من المدینهٔ یوم ۲۶ من ذی القعدهٔ حتی بلغ ذی الحُلیفهٔ ـ قرب مسجد الشجرهٔ ـ فأحرم ودخل الحَرم ملبّیاً: «لبیک اللّهمّ لبیک، لبیک لا شریک لک لبیک، إنّ الحَمدَ والنعمهٔ لک والملک لبیک، لا شریک لک لبیک» وهو نداء إبراهیم (علیه السلام) . وکان یکرّر التلبیهٔ کلّما شاهد راکباً أو علا مرتفَعاً من الأرض أو هبط وادیاً، وعندما شارف مکهٔ قطع التلبیهٔ. فدخل مکّهٔ فی الیوم الرابع من شهر ذی الحجّهٔ متوجّهاً نحو المسجد الحرام رأساً، ودخله من باب بنی شیبهٔ وهو یحمد اللّه ویثنی علیه ویصلّی علی إبراهیم (علیه السلام) ، فبدأ من الحَجَر الأسود فاستلمه أوّلاً(۱) ثمّ طاف سبعهٔ أشواط حول الکعبهٔ المعظمهٔ، ثمّصلّی رکعتین خلف مقام إبراهیم (علیه السلام) ثمّتوجه نحو الصفا والمروهٔ للسعی بینهما، ثمّ التفت إلی حُجّاج بیت اللّه الحرام وقال: «من لم یسق منکم هدیاً فلیحلّولیجعلها عمرهٔ (أی فلیقصّر فیحل له ما حرم علیه الإحرام) ومن ساق منکم هدیاً فلیقم علی إحرامه».

إلّا أنّ البعض منهم کره أن یحل إحرامه والنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) مُحرم، فأمرهم بتنفیذ ما قال: «لو کنت استقبلت من أمری ما استدبرتُ لفعلتُ کما أمرتکم». أی أنّنی لو کنت أعلم بالمستقبل وعرفت موقف الناس المتردد وخلافهم هذا من قبل، لما سقت الهدی، وفعلتُ ما فعلتموه، ولکن ما العمل وقد سُقتُ الهدیَ فلا یمکننی الإحلال من الإحرام حتی یبلغ الهدیُ محلّه. فمن

---

۱ . استلمه یعنی مسح الحجر الأسود بالیدین قبل الشروع بالطواف، واستلامه نوع من تجدید المیثاق مع الخلیل إبراهیم (علیه السلام) والعمل علی نصرهٔ عقیدهٔ التوحید علی نحو ما فعل إبراهیم (علیه السلام) . وقد اعتمر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی الفترهٔ المدنیهٔ مرّتین، واحدهٔ فی عام ۷هـ و الأُخری عام ۸ هـ بعد فتح مکهٔ، فهذه کانت ثالث عمرهٔ له مع الحجّ.

(۲۳۶)

الواجب علیّأن أبقی فی إحرامی، أی أنحر هدیی بمنی کما أمر اللّه سبحانه و تعالی، وأما أنتم فمن لم یسق الهدی منکم فإنّ علیه أن یحلّإحرامه، واحسبوها عمرهً ثمّ احرموا للحجّمرّهٔ أُخری.

وقد کره النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) خلال فترهٔ الحجّ أن یمکث فی دار أحد، ولذا فإنّه کان یأمر بضرب ـ أی بإعداد ـ خیمهٔ له خارج مکّهٔ. وقصد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عرفات فی الیوم الثامن من ذی الحجّهٔ عن طریق منی التی توقّف فیها إلی طلوع الشمس من الیوم التاسع، فرکب بعیره نحو عرفات، ونزل فی خیمهٔ أُعدَّت له فی نمرهٔ، وألقی هناک خطاباً تاریخیاً هاماً وهو علی ناقته، فی جموع بلغت ۱۰۰ ألف.

وبدأ خطابه قائلاً: «أیّها النّاس اسمعوا قولی واعقلوه، فإنّی لا أدری لعلی لا ألقاکم بعد عامی هذا بهذا الموقف أبداً، أیّها النّاس، إنّ دماءَکم وأموالکم ـ وأعراضَکم ـ علیکم حرام إلی أن تلقوا ربّکم کحرمهٔ شهرکم هذا وکحرمهٔ بلدکم هذا، وکحرمهٔ یومکم هذا».

وقد ألغی فی هذا الخطاب عادات الثأر الجاهلیهٔ المشوَومهٔ بادئاً بأقربائه، مثل الانتقام، والخیانهٔ، أی أداء الأمانهٔ، والربا، کما استوصی بالنساء خیراً.

«وقد ترکتُ فیکم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً، أمراً بیناً کتاب اللّه وسنّهٔ نبیّه. والمسلمُ أخو المسلم، والمسلمون إخوهٔ، ولا نبی بعدی ولا أُمّهٔ بعدکم. ألا کلّشیء من أمر الجاهلیهٔ موضوعٌ تحت قدمی».

ثمّ سار بعد الغروب إلی المزدَلفهٔ، ووقف فیها من الفجر إلی طلوع الشمس، وتوجه فی الیوم العاشر إلی منی وأدّی مناسکها، ثمّتوجه نحو مکّهٔ لَاداء بقیهٔ المناسک.

وکان الإمام علی (علیه السلام) یومذاک فی الیمن، فعلم بتوجّه النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» إلی مکّهٔ، فخرج مع جنوده للمشارکهٔ فی الموسم واصطحب

(۲۳۷)

معه شیئاً من بز الیمن وحریرها أخذها جزیهٔ من أهل نجران. وبعد أن أدّی مناسک العمرهٔ، رجع الإمام (علیه السلام) إلی جنوده حسب ما أمره الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» فوجد أنّ نائبه الذی عینه أثناء غیابه قد وزّع علی کلّ فرد منهم حلّهٔ من البز، کان یرید تسلیمها إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ، فطلب منهم ردّها مع الَاشیاء الَاُخری من جزیهٔ أهل نجران. ۴. الخلافهٔ بعد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)

هل الخلافهٔ منصبٌ تعیینی أو انتخابی؟ یری الشیعهٔ أنّ القیادهٔ منصب تعیینی فیه نصٌّ،فلابدّ أن یتعیّن خلیفهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) من جانب اللّه سبحانه و تعالی، بینما یری أهلُ السنّهٔ أنّها منصب انتخابی جمهوری، أی تقوم الاُمّهٔ هی بعد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) باختیار فرد منهم یتولّی إدارهٔ البلاد. و لکلّ من الاتّجاهین دلائل ذکرها أصحابها فی الکتب العقائدیهٔ.

إنّ الظروف السائدهٔ فی تلک الفترهٔ حتمت بأن یعیّن النبی ص خلیفهً له، وذلک لما کان علیه الوضع من تهدید العدو للدولهٔ الإسلامیهٔ، فأوجب مواجههٔ الَاخطار الخارجیهٔ بتعیین قائدٍ سیاسیٍّ یمکنه السیطرهٔ علی الوضع، کما أنّ خطر حزب النفاق کان لا یزال له دوره فی تقویض دعائم الکیان الإسلامی داخلیاً، وقد بیّن دورهم التخریبی وخطرهم الَاکید، القرآن الکریم فی عدّهٔ سور.

ولذا فإنّه مع وجود تلک الَاخطار الخارجیهٔ والداخلیهٔ، التی کانت تنتهز الفرص للقضاءعلی الدولهٔ الإسلامیهٔ الحدیثهٔ، فإنّه کان لابدّ من تعیین قائد دینی سیاسی، یمکنه القضاء علی ما یظهر من اختلاف وانشقاق بعده «صلی الله علیه وآله وسلم» فی المجتمع الإسلامی، ویکون بذلک ضماناً لبقائه واستمراریته.

وبالإضافهٔ إلی تلک الَاحوال الاجتماعیهٔ والسیاسیهٔ للمسلمین، فإنّ هناک

(۲۳۸)

روایات وأخباراً أکدت صحّهٔ الموقف والرأی الذی ذهب إلیه علماء الشیعهٔ، وثبتت فی المصادر المعتبرهٔ، أنّ النبیّ (صلی الله علیه وآله وسلم) نصّ علی خلیفته مراراً، إذ لم ینص علی خلیفته ووصیه فی أواخر حیاته فحسب، بل بادر إلی ذلک فی بدء الدعوهٔ، وخاصهٔ فی الفترهٔ التی أمره فیها سبحانه وتعالی بأن ینذر عشیرته الَاقربین ویدعوهم إلی عقیدهٔ التوحید، حینما وقف خطیباً فی أربعین رجلًا من زعماء بنی هاشم:«أیُّکم یوَازرنی علی هذا الَامر علی أن یکون أخی ووصیی وخلیفتی فیکم؟» فأحجم القوم و قام علی (علیه السلام) وأعلن موَازرته له، فقال الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) : «إنّ هذا أخی ووصیی وخلیفتی فیکم فاسمعوا له وأطیعوا».(۱)

وعُرف هذا الحدیث بحدیث یوم الدار، وحدیث بدء الدعوهٔ.

کما أنّ حدیث الغدیر یُعدّ من أهمّ الَاحداث والوقائع التی توَکّد صراحهٔ علی خلافته (علیه السلام) إذ أنّه فی الطریق إلی المدینهٔ، بلغ موکب الحجّ العظیم رابغ(۲) حیث نزل جبرائیل (علیه السلام) علی رسول اللّه «صلی الله علیه وآله وسلم» بمنطقهٔ تدعی غدیر خم و بلغه الآیهٔ التالیهٔ: (یا أَیُّهَا الرَّسُول بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْلَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رِسالتهُ وَاللّهُ یَعْصِمُکَمِنَ النّاسِ)(۳) وکان ذلک الَامر هو الإعلان عن خلافهٔ الإمام علی (علیه السلام) أمام ۱۰۰ ألف شاهد.

وقال فی خطابه: «إنّی تارک فیکم الثقلین ما إن تمسّکتم بهما لن تضلّوا أبداً، کتابَ اللّه سببٌ، طرفٌ بید اللّه، وطرفٌ بأیدیکم،

فتمسّكوا به؛ والآخر عترتى، وإن

---

۱ . تاريخ الطبرى:۲|۲۱۶؛ الكامل فى التاريخ:۲|۶۲.

۲ . تقع الآن على طريق مكة ـ المدينة، وتبعد عن الجحفة ثلاثة أميال، والتى هى من مواقيت الإحرام، وتتشعب منها طرق أهل المدينة ومصر والعراق.

۳ . المائدة:۶۷.

اللطيف الخبير نبّأنى أنّهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنهما فتهلكوا». ثمّ رفع يَدَ الإمام على (عليه السلام) قائلاً: «يا أيّها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟» قالوا: اللّه ورسوله أعلم. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إنّ اللّه مولاى و أنا مولى المؤمنين، وأنا أولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلىٌّ مولاه.(۱) اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، وأحب من أحبّه، و ابغض من أبغضه، وأدر الحقّ معه حيث دار».

وفى الحقيقة إنّنا قلّما نجد حادثةً تاريخيةً حظيت فى العالم فى التاريخ الإسلامى والأُمّة الإسلامية بمثل ما حَظِيَت به واقعة الغدير. فقد استقطبت اهتمام فئاتٍ مختلفة من المحدثين والمفسرين والفلاسفة والكتاب والشعراء والأُدباء والخطباء وأرباب السير والتراجم، واعتنوا بها أشدّ الاعتناء. و من أسباب خلودها واستمراريتها، نزول آيتين حولها فى القرآن الكريم.(۲) كما أنّ المسلمين سابقاً والشيعة بصورة خاصة ، اتّخذوا هذا اليوم عيداً ومناسبةً مفرحةً، جعله خالداً حتّى الآن. فقد كان يوم ۱۸ من شهر ذى الحجّة معروفاً بيوم عيد الغدير عندهم، حتى أنّ بعض المؤرخين أرّخوا به بعض الأحداث، كما أنّ أبا ريحان البيرونى والثعالبى، اعتبراه من الأعياد الإسلامية.(۳)

كما أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أمر المهاجرين والأنصار، ونساءه بالدخول على الإمام على (عليه السلام) لتقديم التهنئة له بهذه الفضيلة الكبرى، مثلما ذكر زيد بن أرقم، وأنّ أوّل من صافق النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلياً: أبو بكر وعمر و عثمان وطلحة والزبير، وباقى المهاجرين والأنصار

---

۱ . كرر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه العبارة ثلاث مرات دفعاً لأىّ التباس.

۲ . المائدة:۶۷و۳.

۳ . وفيات الأعيان:۱|۶۰؛ الآثار الباقية: ۳۹۵؛ ثمار القلوب: ۵۱۱.

والناس.

كما أنّ ۱۱۰ صحابياً تناولوا هذه الواقعة التاريخية الهامة بالرواية والحديث، كما رواه أيضاً ۸۹ تابعياً، و ۳۶۰ شخصاً من علماء أهل الشيعة وفضلائهم، وصحّحه جمع كبير من الآخرين. فقد رواه فى القرن ۳هـ: ۹۲ عالماً، وفى القرن ۴هـ: ۴۴ عالماً، إلى القرن ۱۴ هـ حيث رواه عشرون عالماً. وألّف الطبرى فى ذلك كتاباً أسماه:الولاية فى طرق حديث الغدير روى فيه الحديث عن النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» بـ۵۷ سنداً. كما رواه عدد من علماء الحديث أمثال: ابن حجر العسقلانى، وأبو سعيد السجستانى، والنسائى، وأبو العلاء الهمدانى. وبلغ عدد من ألّف رسالة خاصة أو كتاباً مستقلاً حول الواقعة و تفاصيلها ۲۶ شخصاً. أمّا علماء الشيعة فقد تناولوا فيها كتباً و مؤلفات قيّمة، أشملُها الغدير الذى كتبه العلاّمة القدير آية اللّه الشيخ الأمينى.(۱)

وبعد نزول الآية السابقة، والإجراءات التى أقدم عليها النبى ص نزلت الآية: (اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَأَتْمَمتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتى وَرَضيتُ

لَكُمُ الإِسْلامَ دِيناً).(۲)

فكبّر النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بصوت عال وقال: «الحمد للّه على إكمال الدّين، وإتمام النعمة، ورضى الربّ برسالتى، وولاية على بن أبى طالب بعدى». ثمّ قام حسّان ابن ثابت الأنصارى واستأذن النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» فى أن ينشد أشعاراً بهذه المناسبة_____.

۱ . يشتمل على ۱۱ مجلد فى ۶ آلاف صفحة.

۲ . المائدة: ۳.

(۲۴۱) ۵. المرتدّون من المتنبّئين

فى نهاية عام ۱۰هـ قدم نفران من اليمامة وسلّما النبيكتاباً من مسيلمة (الكذّاب) يدّعى فيه النبوة ويُشرِك نفسَه مع رسول الإسلام فى أمر الرسالة، يريد بذلك أن يعرّف الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بنبوته هذه: فإنّى قد أُشركتُ فى الأمر معك، وإنّ لنا نصف الأرض، ولقريش نصفُ الأرض، ولكن قريشاً قومٌ يعتدون.(۱) فالتفت النبيّإلى رسولى المتنبىَ و قال: «أما واللّه لولا أنّالرسل لا تُقتل لضربت أعناقكما لأنّكما أسلمتما من قبل و قبلتما برسالتى فَلِم اتبعتما هذا الأحمق وتركتما دينكما ؟».

ثمّ كتب (صلى الله عليه وآله وسلم) إليه كتاباً مقتضباً: «بسم اللّه الرّحمن الرّحيم، من محمّد رسول اللّه إلى مسيلمة الكذّاب السّلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد فإنّ الأرض للّه يورثُها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين».(۲)

كما ادّعى النبوة فى نفس الوقت، الأسود بن كعب العنسى، فى اليمن، إلاّ أنّ الخلفاء من بعد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) تمكّنوا من القضاء على تلك الحركات المرتدة، إذ أنّها كانت أوّل أعمال الخلفاء الراشدين. ۶. الأخطار الخارجية

وكان خطرُ الروم أشدَّ الأخطار الخارجية، فاعتبره النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» أمراً جدّياً لا يمكن التقليل من شأنه، ولذا فإنّه أعدّ جيشاً كبيراً فى(سنة

---

۱ . لم يبدأ كتابه باسم اللّه أو مثل ما كان يفعله المشركون فى العهد الجاهلى.

۲ . السيرة النبوية:۲|۶۰۰.

(۲۴۲)

۸هـ) لمحاربتهم، كما سار إلى تبوك فى (سنة۹هـ)لإظهار قوّة المسلمين أمامهم. ثمّ رأى بعد حجّة الوداع أن يُعدَّ جيشاً من المهاجرين والأنصار، واشترك فيه أشخاصٌ بارزون فى الدولة أمثال: أبى بكر وعمر وأبى عبيدة و سعد بن أبى وقاص، وكلّ من هاجر إلى المدينة خاصّة، وأمر بقيادته: أُسامةَ بن زيد، وقال له: «سِرْ إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيلَ، فقد وليتك هذا الجيش، فاغز صباحاً وشنّ الغارة على أهل أُنبى».(۱)

وقد أرادَ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعيين قائد صغير السنّ على هذا الجيش الكبير، أن يؤكّد أساس الكفاءة الشخصية فى تولّى المناصب والمسؤوليات، فهى لا ترتبط بالسن والعمر، بل بالكفاءة والمؤهلات المطلوبة.

ولذا فإنّه لم يكن هناك مبررٌ لاعتراض البعض على تولّى قيادته من حيث السنّ وعمر الشباب.(۲)

ذلك أنّ هؤلاء غفلوا عن المصالح و الأهداف التى توخّاها الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» من هذا الإجراء، فقدّروا كلَّ عمل بعقولهم المحدودة، و قايسوها بمقاييسهم الشخصية، ممّا أثر ذلك فى تأخير تحرك الجيش من معسكر الجرف(۳)،

ر الذى استقر به أُسامة منتظراً من سيلحق به من المسلمين_____.

۱ . أنبى، من مناطق البلقاء فى سوريا قرب مؤتة بين عسقلان و الرملة.

۲ . ذهب بعض إلى أنّه كان فى عمر ۱۷ سنة، و آخرون بأنّه كان فى ۱۸ سنة، على أنّهم اتّفقوا على أنّه لم يتجاوز العشرين.

۳ . الجرف: علی بعد ۳ أمیال من المدینهٔ نحو الشام.

(۲۴۳) ۷. مرض النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)

وبعد یوم من إعداد الجیش السابق، مَرِض النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بصداع شدید ترکه طریحَ الفراش، وهو المرض الذی قضی فیه «صلی الله علیه وآله وسلم» .وقد علم الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) أنّهناک من تخلّف عن الجیش، ومن یعرقل التوجه إلی موقعه، ومن یطعن فی قیادهٔ أُسامهٔ، فغضب لذلک بشدّهٔ وخرج معصّباً جبهته إلی مسجده، یحذرهم من عواقب أعمالهم غیر السلیمهٔ وخاطبهم بقوله:

«لئن طَعنتم فی إمارتی لأُسامهٔ، فقد طعنتم فی إمارتی أباه من قبله، وأیمُ اللّه کان للإمارهٔ خلیقاً، وأنّ ابنه من بعده لخلیق للإمارهٔ، وإنَّه کان لمن أحبّ الناس إلیّ، واستوصُوا به خیراً فإنّه من خیارکم».

ونظراً لأهمیهٔ هذا الجیش، فإنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) کان یقول و هو فی الفراش: «جهّزوا جیش أُسامهٔ، لَعَنَ اللّهُ من تخلّف عنه».(۱)

وفی الوقت الذی استعدّ فیه أُسامهٔ وآخرون من المهاجرین والأنصار للسیر نحو الجرف، انتشر بینهم خبرُ تدهورِ صحّهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ممّاجعلهم یعدلون عن قصدهم حتی یوم الإثنین، إلاّ أنّه «صلی الله علیه وآله وسلم» حثّه علی الخروج قائلاً: «اغدُ علی برکهٔ اللّه».(۲) فتهیّأ الجیشُ للتحرّک والمغادرهٔ، إلاّ أنّ خبر احتضارالرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) جعلهم یعودون إلی المدینهٔ متجاهلین أوامرَ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) .

وقد ذکر المؤرخون أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) خرج فی اللیلهٔ التی توفّی فی صبیحتها، مع الإمام علی (علیه السلام) إلی البقیع مع عدد آخر، فقال

---

۱ . الملل و النحل:۱|۲۳؛ طبقات ابن سعد:۲|۱۹۰.

۲ . طبقات ابن سعد:۲|۱۹۰.

(۲۴۴)

لهم: «إنّی أمرت أن استغفر لأهل البقیع»، و عندما وصل إلی المکان سلّم علی أهل القبور قائلاً:

«السّلامُ علیکم أهل القبور، لیهنئکم ما أصبحتم فیه ممّا أصبح الناس فیه، أقبَلَت الفتن کقِطَع اللّیل المظلم یتبع بعضها بعضاً، یتبع آخرها أوّلها». ثمّ التفت إلی الإمام علی (علیه السلام) و قال:

«یا علی، إنّی خیّرت بین خزائن الدنیا والخلود فیها أو الجنهٔ، فاخترت لقاء ربّی والجنّهٔ. إنّ جبرائیل کان یعرض علیّ القرآن کلّسنهٔ مرّهٔ، وقد عرضه علیّ العام مرّتین،ولا أراه إلاّلحضور أجلی».(۱) ۸. وفاهٔ ابنه إبراهیم

وفی هذه السنهٔ، و بعد ۱۸ شهراً من ولادته، توفّی إبراهیم ابن النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» فحزن علیه. و کان النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قد فَقَد خلال السنوات الماضیهٔ، ثلاثهٔ من أولاده: القاسم و الطاهر والطیّب. وثلاثهٔ من بناته: زینب ورقیهٔ و أُمّ کلثوم. وبقیت له بنت واحدهٔ هی السیّدهٔ فاطمهٔ الزهراء (علیها السلام) من خدیجهٔ(علیها السلام) .

واعتبر النبیّ (صلی الله علیه وآله وسلم) الحزنَ علی المیت رحمهً إذ قال: «إنّما هذا رحمهٔ، ومن لا یرحم لا یُرحَم،ولکن نُهیت عن خمش الوجوه، وشقّالجیوب، ورنّهٔ الشیطان».(۲)

---

۱ . بحار الأنوار: ۲۲|۴۶۶؛طبقات ابن سعد:۲|۲۰۴.

۲ . السیرهٔ الحلبیهٔ:۳|۳۱۰.

(۲۴۵)

أحداث السنهٔ الحادیهٔ عشرهٔ من الهجرهٔ

أحداث السنهٔ الحادیهٔ عشرهٔ من الهجرهٔ ۱. الکتاب الذی لم یکتب

قرر الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) بهدف الحیلولهٔ دون انحراف مسألهٔ الخلافهٔ عن محورها الاَصلی، والحیلولهٔ دون ظهور الاختلاف و الافتراق، أن یعزز مکانهٔ علی (علیه السلام) ویدعم إمارته وخلافته، و أهل بیته، بإثبات ذلک فی وثیقهٔ خالدهٔ تضمن بقاء الخلافهٔ فی خطها الصحیح.

ففی خلال زیارهٔ بعض الصحابهٔ له أثناء مرضه قال: «إئتونی بدواهٔ وصحیفهٔ، أکتب لکم کتاباً لا تضلّون بعده». فبادر عمر قائلاً: إنّ رسول اللّه قد غلبه الوجع، حسبنا کتاب اللّه.(۱) فکثر اللغَط والنقاش حول إحضار ما طلبه النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» أو عدمه، ممّا أغضب النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فقال: «قوموا عنّی لا ینبغی عندی التنازع»، وقال ابن عباس: الرزیهٔ کلّالرزیهٔ ما حال بیننا وبین کتاب رسول اللّه.(۲)

وقد نَقل هذه الواقعهٔ فریقٌ کبیرٌ من محدّثی الشیعهٔ والسنهٔ ومؤرخیهم، وتُعتَبر من الروایات الصحیحهٔ. وإذا سأل أحد عن عدم إصرار النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» علی کتابهٔ ذلک الکتاب، فذلک لاَنّه (صلی الله علیه وآله وسلم) إذا

---

۱. الملل والنحل:۱|۲۲.

۲ . صحیح البخاری: ۱|۲۲؛ صحیح مسلم: ۲|۱۴؛ مسند أحمد:۱|۳۲۵.

(۲۴۶)

أصرّ علی موقفه، لاَصرّ هوَلاء فی الإساءهٔ إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وخاصهٔ أنّهم قالوا عنه، أنّه غلبه الوَجَع أو هجر، ثمّ قیامهم بعد ذلک بإشاعهٔ الاَمر بین الناس.

وقد روی ابن حجر العسقلانی، أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قال لاَصحابه وقد امتلاَت بهم الحجرهٔ وهو فی مرضه: «أیّها الناس یوشک أن أُقبضَ سریعاً فینطلق بی، وقد قدمت إلیکم القولَ معذرهً إلیکم، إلاّ أنّی مخلفٌ فیکم کتابَاللّه ربّی عزّوجلّ وعترتی أهل بیتی».

ثمّ أخذ بید علی (علیه السلام) وقال :«هذا علیّ مع القرآن والقرآن مع علیّ، خلیفتان نصیران لا یفترقان حتی یردا علیّ الحوض فاسألهما ماذا خلفت فیهما».(۱)

ومن الواضح أنّالنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لفت الاَنظار إلی حدیث الثقلین مرّهً أُخری، برغم ما ذکره فی مواضع متعدّدهٔ، حتّی یؤکد أهمیهٔ الثَّقلین، وتدارک ما فات من کتابهٔ الکتاب الذی لم یوفّق لکتابته.

وفی هذه اللحظات، طلب بعضاً من الدنانیر کان قد وضعها عند إحدی زوجاته، وأمر علیاً (علیه السلام) لیتصدّق بها.

وکان النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قد سُقی دواءً خطأً فی علاجه،فقد تخیلت «أسماء بنت عمیس» أنّ مرضَه ـ ذات الجنب ـ تعلمت علاجه من عقار مرکب من نبات وأعشاب من الحبشهٔ، إلاّ أنّ النبیّ (صلی الله علیه وآله وسلم) لما عَلِمَ بالدواء، ذکر بأنّ مرضه لیس ذات الجنب. ۲. اللحظات الاَخیرهٔ

فی هذه الفترهٔ الحرجهٔ، کانت السیدهٔ الزهراء(علیها السلام) تلازم فراش

---

۱. الصواعق المحرقهٔ ، : ۵۷، باب ۹؛ کشف الغمّهٔ: ۴۳.

(۲۴۷)

والدها (صلى الله عليه وآله وسلم) لا تفارقه لحظة، وفجأة طلب منها أن تقرب رأسها إلى فمه ليحدّثها، فراح يكلّمها بصوت خفيفٍ لم يُعرَف،ولكن الزهراء(عليها السلام) بكت بشدّة، إلّا أنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أشار إليها مرّة أُخرى فحدّثها بشىء آخر، فرحت به وتبسمت مستبشرة. ولم تكشف عن ذلك إلّا بعد وفاة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بناء على إصرار عائشة: «أخبرنى رسول اللّه ص أنّه قد حضر أجلُه وأنّه يُقبَض فى وجعه، فبكيت، ثمّ أخبرنى أنّى أوّل أهله لحوقاً به فضحكت».(۱)

وفى آخر لحظة من حياته الشريفة طلبَ الإمام عليّاً (عليه السلام) قائلاً: «أُدعوا لى أخى». فعرف الجميع بأنَّه يريد عليّاً (عليه السلام) فدعَوا له عليّاً، فقال له: «أُدن منّى فدنا منه، فاستند إليه فلم يزل مستنداً إليه يكلّمه».

وسأل رجل ابن عباس: هل توفّى رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى حِجر أحد؟ قال: توفّى وهو مستند إلى صدر علىٍّ،وهو الذى غسَّله وأخى الفضلُ بن عباس.

وقيل إنّ آخر جملة نطق بها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) هى:«لا، إلى الرفيق الأعلى». فكأنّ ملك الموت خيّره عند قبض روحه الشريفة فى أن يصح من مرضه أو يلبّى دعوة ربّه، فاختار اللحاق بربّه.

وسأل كعب الأحبار عن آخر كلمة قالها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال الإمام على (عليه السلام) : أنّه قال: الصلاة الصلاة.

وقد ترك الدنيا (صلى الله عليه وآله وسلم) يوم الإثنين ۲۸ صفر، فَسُجّى ببرد يمانى، ووُضع فى حجرته بعض الوقت، وارتفعت صرخات العيال، وعلا بكاء الأقارب، وانتشر نبأ وفاته فى كلّأنحاء المدينة التى تحولت إلى مأتم كبير.

وقام الإمام على (عليه السلام) بغسل جسده الشريف وكفّنه، إذ أنّه كان قد

---

۱. طبقات ابن سعد:۲|۲۶۳؛ الكامل فى التاريخ: ۲|۲۱۹.

(۲۴۸)

ذكر: «يغسّلنى أقربُ الناس إلىّ». وصلّى عليه مع المسلمين، وتقرر دفنُه فى حجرته المباركة. وحفر قبره أبو عبيدة بن الجراح وزيد بن سهل، ودفنه الإمام على (عليه السلام) يساعده الفضل بن العباس.

و لمّا فرغ الإمام (عليه السلام) من غسله (صلى الله عليه وآله وسلم) كشف الإزار عن وجهه (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال والدموع تنهمر من عينيه: بأبى أنت و أُمّى، طبتَحيّاً وطبتَميّتاً، انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت أحد ممّن سواك من النبوة والأنباء. ولولا أنّك أمرت بالصبر ونهيت عن الجزع، لأنفدنا عليك ماءَ الشؤون، ولكان الداءُ مماطلاً، والكمَدُ محالِفاً وقلّا لك، ولكنّه ما لا يُملَك ردّه ولا يستطاع دفعه! بأبى أنت و أُمّى أُذكرنا عند ربّك واجعلنا من بالك».(۱)

وهكذا غربت شمس أعظم شخصية غيّرت مسار التاريخ البشرى بتضحياته الكبرى وجهوده المضنية، وأعظم رسولٍإلهيٍ فتح أمام الإنسانية صفحات جديدة ومشرقة من الحضارة والمدنية.

ومن هنا فإنّنا نختم حديثنا هذا بالشكر للّه تعالى على هذه النعمة الكبرى، والحمد للّه ربّالعالمين.(۲) جعفر السبحانى قم المقدّسةالحوزة العلمية

شعبان المعظم ۱۳۹۰هـ

---

۱. نهج البلاغة: خطبة رقم ۲۳۵.

۲ . تمّ تدوين هذه المحاضرات وتوثيقهاوتحقيقها فى شهر شعبان المعظم عام ۱۴۰۹هـ فى مدينة قم. جعفر الهادى.

الفصل العاشر

الفصل العاشر

حکایات وروایات موَثرهٔ

جاء ذکرها فی الکتاب (۲۵۰) (۲۵۱) العادات و التقالید فی جزیرهٔ العرب قبل الاِسلام وأد البنات

متی بـدأت عادهٔ وأد البنات؟ وقـد تأکّد أنّ بنی تمیم هی أوّل قبیلهٔ أقدمت علی هذه الجریمهٔ النکراء، حینما امتنعوا عن دفع الضـرائب لمَلِکِ الحیرهٔ النعمـان بن المنـذر، فحـاربهم واسـتولی علی أموالهم ونسـائهم، فکلّموه فی إرجاع نسائهم،فقرر أن تختار المرأهٔ نفسـها العودهٔ أو البقاء، فاختار بعضـهن البقاء وعدم العودهٔ إلی أهالیهن،وخاصهٔ بنت قیس بن عاصم الذی نذر أن یدسّ کلَّ بنت تُولد له منذ ذلک الوقت. فسنّبذلک لقومه وأد البنات، وأخذتها بقیهٔ القبائل.

وقـد سأل النبیّ (صـلی الله علیه وآله وسـلم) قیساً عن عـدد البنات اللائی وأدهن فی الجاهلیهٔ فقال: اثنتا عشـرهٔ بنتاً له، بل قیل أکثر من ذلک!!

وروی عن ابن عباس، أنّ الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرهً فمخضت رأسـها فإذا ولـدت بنتاً رمت بها فی الحفرهٔ، وإذا کان ولـداً حبسته!! موقف النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) من الخرافات التی سادت الجزیرهٔ العربیهٔ

کافَح الرسول (صـلی الله علیه وآله وسـلم) الخرافـات والاَساطیر والاَفکار الفاسـدهٔ الباطلـهٔ، فلمّا مات إبراهیم ابنه (صـلی الله علیه وآله وسلم) حزن علیه و

(۲۵۲)

بکی بشـدّهٔ، فی الوقت الـذی حدث کسوف للشـمس، فذهب المولعون بالخرافات علی عادتهم إلی ربط هذه الظاهرهٔ بموت إبراهیم، علی أنّه دلیل علی عظمهٔ المصاب، فقالوا: انکسَـفَت الشـمس لموت إبراهیم ابنِ رسول اللّه «صـلی الله علیه وآله وسلم» ، إلّا أنّه (صلی الله علیه وآله وسـلم) صـعد المنبر فقال: «أیّها النّاس إنّالشـمسَ والقمر آیتان من آیات اللّه یَجریان بأمره ومطیعان له لا ینکسفان لموتِ أحد ولا لحیاته، فإذا انکسفا أو أحدهما صلّوا».

ثمّ نزل فصلّی صلاهٔ الکسوف وهی صلاهٔ الآیات.(۱) الحالهٔ الاجتماعیهٔ فی إیران الساسانیهٔ

یـذکر الشاعر الفارسـی: الفردوسـی قصـهٔ وقعت فی العهـد الـذهبی للدولـهٔ الساسانیـهٔ، تتناول التعلیم، وخاصّـهٔ ما یتعلّق بتعلیم الفقراء و حرمانهم من اکتساب الثقافهٔ، فقد وصل الحال السیّء للدولهٔ أن رغبت فی أموال کثیرهٔ تکفی نفقات الحروب المسـتمرهٔ، لِاعداد ۳۰۰ ألف مقاتـل، فاسـتدعی الملـک أنوشـروان وزیره بزرجمهر یطلب مساعـدته فی توفیر المـال اللازم، فـاقترح علیه بتحصـیلها عن طریق القروض الشـعبیهٔ، فأرسل منـدوبیه إلی المـدن الاِیرانیـهٔ لتحصـیل المال اللازم من التجار وأصـحاب الثروهٔ، وظهر من بینهم رجل حذّاء أبدی اسـتعداده لتحمّل نفقات الجیش بمفرده، بشـرط السـماح لولده بتحصیل العلم، إلّا أنّ الملک غضب علی الوزیر ونهره قائلاً: دع هـذا، ما أسوأ ما تطلبه، إنّ هـذا لا یکون، لاَنّ ابن الحـذّاء بخروجه من وضـعه الطبقی یهـدم التقلیـد الطبقی المتَّبع فینفرط عقد الدولهٔ، ویکون ضررُ هذا المال علینا أکثر من نفعه، وشرّه أکثر من خیره_____.

۱. بحار الاَنوار: ۹۱|۱۵۵.

(۲۵۳)

ویسـتمر الفردوسـی فی شـرحه لهذا الوضع عن لسان أنوشروان: إذا أصبح ابن الحذّاء عالماً وکاتباً، فإنّه عندما یجلس ولدُنا فی الحکم واحتاج إلی کاتب فإنّه سیضـطر إلی تعیین ذلک الولد، وهو من عامهٔ الشـعب ومن أبناء الطبقهٔ الدنیا، فی حین جرت العادهٔ أن نستعین بأبنـاء الاَشـراف والنبلاء. وإذا حصـل هـذا الحـذّاء علی العلـم والمعرفـهٔ حصـل علی عیـون بصـیرهٔ، وآذان سـمیعهٔ، فیری مـا یجب ألّا یراه،ویسمع ما یجب ألّا یسمعه، فتحدث الحسرهٔ والاَسف لاَبناء الملوک بعدئذ!!

وبذا فإنّ الملک رفَضَ طلبه وأعاد ماله إليه. وهذا الملک هو ما يصفه البعض بالعدل «أنوشروان العادل»مع أنّه لم يحل المشكلهٔ الثقافيهٔ فی مجتمعه، كما ذكر عنه، أنّه دفن فی القبور أحياء ما يقرب من ۸۰ ألفاً ومائهٔ ألف فرد، خلال فتنهٔ مزدک، التی اندلعت بسبب الظلم الاجتماعی والتمايز الطبقی واحتكار الثروات والمناصب، وحرمان أكثريهٔ الشعب من حقوقها الاَوّليهٔ.

ومن هنا يظهر بطلان الحديث المروی عن النبی «صلی الله عليه وآله وسلم» :«وُلدتُ فی زمن الملک العادل أنو شروان».

وقد ذُكر الكثير عن البذخ والترف فی البلاط الساسانی، من كثرهٔ المجوهرات والاَشياء الثمينهٔ والرسوم، سَحرت العيون وخلبت الاَلباب. وممّا اشتهر منها، سجادهٔ بيضاء كبيرهٔ فرشت فی إحدی الصالات، واسمها: بهارستان كسری، إذاجلسوا عليها وقت الشراب وتعاطی الخمر، فكأنّهم كانوا جالسين فی حدائق ورياض. صنعت أرضيتها من الذهب و وشيها بفصوص وجواهر وحرير، وكانت ۶۰*۶۰ ذراعاً، وقيل ۱۵۰*۷۰ ذراعاً، ومنسوجهٔ من خيوط الذهب والمجوهرات الغاليهٔ!!

وممّا قيل عن كسری خسرو برويز، أنّه جمع الاَموال مالم يجمع مثله من

(۲۵۴)

الملوک، إذ كان أرغب الناس فی اقتناء الجواهر واللآلیَ و الاَوانی. حفر زمزم

نَزَلت عندها قبيلهٔ جُرهم التی رأست مكّهٔ لسنين طويلهٔ، وتستفيد من مياه العين. إلاّ أنّه بعد تفشی المفاسد والشهوات فقد جفّت العين. وعندما هددت خزاعهٔ جرهم، أمر زعيمهم بإلقاء الغزالين الذهبين والسيوف الغاليهٔ المهداهٔ إلی الكعبهٔ، فی مقر زمزم و ملئها بالتراب، حتی لا يستولی عليها خصومُه، ومتی عاد إلی مكّهٔ استخرج الكنز واستفاد منه. إلاّ أنّ قتالاً نشب بين الطرفين، فاضطرت جرهم وأبناء إسماعيل مغادرهٔ مكهٔ إلی اليمن دون الرجوع إليها ثانيهٔ، فتزعم مكهٔ: خزاعهٔ، ثمّ سيطر عليها قصیّ بن كلاب، حتی عبد المطلب الذی ترأسها وقرر حفر بئر زمزم، التی لم يُعرَف موقعها إلاّ بعد بحث طويل، كما أنّالآخرين رَفَضوا انفراده بالحفر، طالبين الاشتراک معه فی ذلک، ليحصلوا علی الفَخر مثله فقالوا: إنّها بئر أبينا إسماعيل، وإنّ لنا فيها حقّاً فأشركنا معک، إلاّ أنّ عبد المطلب أصر علی أن ينفرد فی ذلک، حتی يمكنه بعد ذلک أن يسبّل ماءها فيسقی منها جميع الحجاج دون أن يتاجر بها.

ولما طال النزاع بينهم قرروا التحاكم إلی كاهن من العرب سكن ما بين الحجاز والشام. وفی الطريق أصابهم عطشٌ شديدٌ وأيقنوا بالهلاک، ففكروا فی كيفيهٔ دفنهم إذا هَلكوا وماتوا، فاقترح عبد المطلب أن يحفر كلّ واحد حفيرته، فإذا مات دفنهُ الآخرون، فلا تبقی أجسادُهم طعمهٔ للوحوش والطيور. فقاموا بذلک وانتظروا الموت. إلاّ أنّ عبد المطلب صاح فجأهٔ يحثهم علی البحث عن الماء فی الصحراء بصورهٔ جماعيهٔ، ممّا كان له الاَثر فی ظهور عين عذبهٔ أنقذتهم من الموت المحقق، فعادوا من حيث جاءوا وقالوا لعبد المطلب:

(۲۵۵)

«واللّه قضی لک علينا يا عبد المطلب، واللّه لا نخاصمک فی زمزم أبداً، إنّ الذی سقاک هذا الماء بهذه الفلاهٔ لهو الذی سقاک زمزم، فارجع إلی سقايتک راشداً».

وخلال الحفر عثر علی الغزالين والسيوف المرصّعهٔ، ممّا سبّب نزاعاً آخر بينه و بين قريش، التی اعتبرت نفسها شريكهً فی هذا الكنز. فتقرر اللجوءُ إلی القرعهٔ لحلّالمشكلهٔ، فخرجت القرعهُ باسم عبد المطلب، فأصبَحت الاَشياء إليه، فصنع من السيوف باباً للكعبهٔ، وعلّق الغزالين فيها. الوفاء بالعهد والنذر(۱)

نذر عبد المطلب إذا رزقه اللّه عشرهٔ أولاد، أن يقدّم أحدهم قرباناً للكعبهٔ دون أن يخبر أحداً بذلک، وقد حصل ما أراد، فكان لابدّ من الوفاء بالنذر، فشاور أبناءَه بالاَمر فوافَقوا علی أن يختار أحدَهم للذبح عن طريق القرعهٔ. وتمت القرعهٔ فأصابت عبد اللّه والد الرسول الاَكرم (صلی الله عليه وآله وسلم) فأخذه إلی مكان الذبح. و حينما علمت قريش بذلک، حَزِنوا وبكوا وخاصهٔ الشباب منهم، فاقترحوا أن يفدی عبداللّه، وأظهروا استعدادهم لدفع الفدية إذا جاز لک. وبعد أن تحيّر فی هذا الموقف الصعب، اقترح عليه أحدُهم:

لا تفعل وانطلق إلی أحد کهنهٔ العرب عسی أن یجد لک حلاً. فوافقوا علی ذلک. فتوجهوا نحو یثرب لملاقاهٔ الکاهن الذی سألهم: کم دیهٔ المرء عندکم؟ قالوا: عشرهٔ من الاِبل. فقال: ارجعوا إلی بلادکم وقرّبوا عشراً من الاِبل واضربوا علیها وعلی صاحبکم ـ أی عبد اللّه ـ

---

۱. القصهٔ جدیرهٔ بالاهتمام، فی أنّها تجسد مدی إیمان عبد المطلب وقوهٔ عزمه وصلابهٔ إرادته وإصراره علی الوفاء بعهده والالتزام به.

القداح، فإن خرجتِ القرعهٔ علی صاحبکم فزیدوا عشراً حتی یرضی ربکم، وإن خرجت علی الاِبل، فانحروها فقد رضی ربّکم ونجا صاحبکم وکانت عنه فداءً.

فأجروا القرعهَ فی مکّهٔ فی جماعهٔ من الناس،وزادوا عشراً عشراًحتی إذا بَلَغَ عدد الاِبل مائهٔ خرجت القِداح علی الاِبل ونجا عبد اللّه من الذبح، ففرحوا ونحرت الاِبل.(۱)

قضایا عجیبهٔ فی فترهٔ طفولهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)

أرادت حلیمهٔ السعدیهٔ أن ترضع النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی حضور أُمّه، ففتحت جیبها وأخرجت ثدیها الَایسر، ووضعت الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» فی حجرها لترضعه، فترک النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ثدیها الَایسر ومال إلی الثدی الَایمن الذی کان جهاماً ـ أی خالیاً من اللبن و لم یکن یدرّ به ـ فغیّرت الثدی إلی فمه، خوفاً من ألا یجد فیه النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» شیئاً فلا یأخذ بعده الَایسر، ولکن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أصرّ علی مصّ الثدی الَایمن، ولما استلمه امتلاَ وانفتح، فأدهش الجمیع.

وتذکر حلیمهٔ أیضاً تلک البرکهٔ التی لحقتها وقومها بسبب النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» قائلهٔ: إنّ البوادی أجدبت وحملنا الجهد علی دخول البلد، فدخلتُ مکّهٔ مع نساء بنی سعد، فأخذتُ رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) فعرفنا به البرکهٔ والزیادهٔ فی معاشنا حتی أثرینا وکثرت مواشینا وأموالنا.

وقد احترمها النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وأجلَّها بعد سنوات عندما کبر، وحینما قدمت إلیه فی سنوات الجدب والقحط تزوره، احترمها وأکرمها

---

۱. نقل عن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) قوله:« أنا ابن الذبیحین». الَاوّل: إسماعیل بن إبراهیم «علیهما السلام» ، والثانی: أبوه. بحار الَانوار: ۱۲|۱۲۳.

وفَرَش رداءه تحت قدمیها، واصغی لها.

ولما شکت حالها وهلاک مواشیها، طلب (صلی الله علیه وآله وسلم) من السیدهٔ خدیجهٔ(علیها السلام) أن تعطیها بعیراً و ۴۰ شاهٔ، فانصرفت مسرورهً.

وقیل، أنّها جاءته مرّهٔ فلما دخلت علیه قال (صلی الله علیه وآله وسلم) :« أُمّی أُمّی».(۱) رأی قریش فی القرآن

کان القرآن من أکبر وأقوی أسلحهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فی إخضاع أساتذهٔ الفصاحهٔ والبلاغهٔ أمام حلاوهٔ کلماته وعباراته القویهٔ، فاعترفوا بأنّ حدیثه لم یعرفه البشرُ من قبل ولم یعهد له التاریخ الاِنسانی نظیراً. وربما أدت جاذبیته وتأثیر حدیثه إلی انهیار قوّهٔ الَاعداء.ومن تلک النماذج:

الولید بن المغیرهٔ، الذی کانت العرب ترجع إلیه فی حلّمشکلاتهم، فطلبوا رأیه فی حلّ مشکلهٔ قوّهٔ انتشار الاِسلام، والقرآن، هل هو

سحرٌ أم کهانهٌ أم حدیث إنسان؟ فجاء إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وقال: أنشدنی شعرک. فقال (صلی الله علیه وآله وسلم) : «ما هو بشعرٍ ولکنّه کلام اللّه الذی بعث أنبیاءه ورسله». وقرأ علیه سورهٔ «الرحمن» فاستهزأ وقال: تدعو إلی رجل بالیمامهٔ یسمی الرحمان. قال (صلی الله علیه وآله وسلم) : «لا ولکنّی أدعوا إلی اللّه وحده الرحمن الرحیم». ثمّ افتتح سورهٔ حم السجدهٔ وبلغ إلی قوله تعالی: (فَإِنْ أعرضوا فقل أنذرتکم صاعقهٔ مثل صاعقهٔ عاد وثمود) فاقشعر جلدُه ، وقامت کلّشعرهٔ فی رأسه ولحیته، فمضی إلی بیته ولم یرجع إلی قریش.

فقالت قریش: یا أبا الحکم صبا أبو عبد شمس إلی دین محمّد، أما تراه لم

---

۱. وتنسب حلیمهٔ إلی سعد بن بکر بن هوازن. وهی ابنهٔ أبی ذوَیب،وزوجها الحارث بن عبد العزی.

یرجع إلینا و قبل قوله ومضی إلی منزله. فاغتمت قریش وسارإلیه أبوجهل قائلاً: یا عمّ نکسّت روَسَنا وفضحتنا، صبوتَ إلی دین محمّد؟ فقال: ما صبوتُ وإنّی علی دین قومی وآبائی، ولکنّی سمعت کلاماً صعباً تقشعرّمنه الجلود. فقال أبو جهل: أشعرٌ هو؟

ـ ما هو بشعر.

ـ فخطب هی؟

ـ لا و إن الخُطَب کلام متصل. وهذا الکلام منثورٌ لا یشبه بعضه بعضاً... له حلاوهٔ.

ـ فما هو؟ قال: قولوا، هوسحر فإنّه آخذ بقلوب الناس.

فأنزل اللّه سبحانه و تعالی فیه: (ذَرْنی وَمَنْ خَلقت وَحیداً...) .(۱)

کما حاول عتبهٔ بن ربیعهٔ وهو من کبراء قریش وأشرافها أن یثنی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عن الجهر بدینه، فکلّمه وطمّعه فی المال و الجاه والشرف، فأسمعه (صلی الله علیه وآله وسلم) آیاتٍ من سورهٔ فصّلت:(بِسمِ اللّه الرَّحمن الرّحیم: حم* تَنْزِیلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحیمِ* کِتابٌ فُصِّلَت آیاتُهُ قُرآناً عَربیّاً لِقَومٍ یَعْلَمُونَ* بَشیراً وَنَذِیراً فَأَعرَضَ أَکْثَرهُمْ فَهُمْ لا یَسْمَعُون* وَقالُوا قُلُوبُنا فی أَکِنَّهٍ مِمّا تَدْعُونا إلیه) (۲)

فسمع وبقی صامتاًحتی انتهی النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» ،فقام إلی أصحابه وقد تغیّرت ملامحه، فقال بعضهم: نحلف باللّه لقد جاءکم أبو الولید بغیر الوجه الذی ذهب به.

فقالوا: ما وراءک یا أبا الولید؟ قال: سمعتُ قولاً واللّه ما سمعتُ مثله قط. واللّه ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالکهانهٔ. یا معشر قریش أطیعونی واجعلوها

---

۱. المدثر:۱۱ـ۳۰.

۲ . فصّلت:۱ـ۵.

بی وخلوّا بین هذا الرجل و بین ما هو فیه فاعتزلوه، فواللّه لیکوننّ لقوله هذا الذی سمعت نبأ عظیم. فإن تصبه العرب فقد کفیتموه بغیرکم. وإن یَظهر علی العرب فملکه ملککم وعزّه عزّکم وکنتم أسعد الناس به.

فانزعجوا وقالوا: سَحَرَک واللّه بلسانه. فقال: هذا رأیی فاصنعوا ما بدا لکم. لماذا عارضت قریش النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وعاندته؟

۱.حسدهم للنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ، فقد تمنّوا أن یکونوا هم أصحاب هذا المنصب والمنزلهٔ، إذ جاء فی تفسیر قوله تعالی:

(وقالُوا لَولا نُزِّلَ هذا القُرآنُ على رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتيْنِ عَظِيم) (۱) أنّه: الوليد بن المغيرهٔ، الذى قال: أينزلُعلى محمّد وأترك وأنا كبير قريش و سيدها، ويترك أبو مسعود عمرو بن عمير الثقفى سيد ثقيف، ونحن عظيما القريتين.

وكذلك أُمّيهٔ بن أبى الصلت قال نفس الشىء وتمنّى أن ينال هذا المقام، فلم يتبع النبيّص إلى آخر حياته.

۲. انغماسهم وحبّهم للشهوات، حيث كانوا أصحاب لَعْب ولهوٍ وفسق ومُجون، دون أن يقيّدهم فى ذلك أىّ أمر، ممّا جعل دعوهٔ النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» مخالفهٔ لعاداتهم القديمهٔ.

۳. الخوف من عقوبات اليوم الآخر، إذ كانت تحدث ضجهٌ كبرى فى أوساطهم، فيهدم مجالسَلهوهم وأنسهم، فحاربوه حتى لا يسمعوا تهديده ووعيده، كالآيات:

(فَإِذا جاءَتِ الصّاخَّهُ* يوم يَفِرُّ المَرءُ مِنْ أَخِيهِ* وَأُمّهِ وَأَبيه* وصاحِبَتِهِ وَبَنيه*

---

۱. الزخرف:۳۱.

لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَومَئِذٍ شَأْنٌ يُغنِيه) .(۱)

۴. الخوف من القبائل المشركهٔ، فقد ذكر «الحارث بن نوفل بن عبد مناف» للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنّا لنعلم أنّ قولك حق، ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى ونوَمن بك مخافهٔ أن يتخطفنا العرب من أرضنا، إن تركنا الوثنيهٔ التى تدين بها، ويعتبروننا سدنهٔ لَاوثانها، ولا طاقهٔ لنا بها. عبس و تولّى

رأى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّ إسلام أحد الزعماء وكبار القوم يحل الكثير من المشاكل، ممّا جعله يصرّ على أن يجر الوليد بن المغيرهٔ والد خالد، إلى الإسلام، إذ كان أكبر سناً فى قريش، وأكثرهم نفوذاً وشخصيهٔ، حيث دُعى حكيم العرب. فكلّمه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم طامعاً فى إسلامه، وفى الَاثناء جاء ابنُ أُمّ مكتوم وهو رجل من المسلمين وكان أعمى يكلّم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ويستقرئه القرآن، فشقّ ذلك منه على رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى أضجره، لَانّه شغله عمّا كان فيه من أمر الوليد وما طمع فيه من إسلامه، فلما أكثر عليه انصرف عنه عابساً وتركه، فنزل قوله تعالى: (عَبَسَوَتَوَلّى* أَنْ جاءَهُ الَاعْمى...) .

إلّا أنّ علماء الشيعهٔ فنّدوا هذه الروايهٔ التاريخيهٔ واستبعدوا صدور مثل هذا السلوك عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الذى امتدحه اللّه سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم، وأنّه ليس فيه ما يدل أنّ الذى عبس و تولّى هو الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» . وقد روى الإمام الصادق (عليه السلام) أنّ المراد به رجل من بنى أُميّهٔ عبس و تولّى، عندما حضر ابن أُمّ مكتوم الَاعمى، عند النبى (صلى الله عليه وآله وسلم)

---

۱. عبس: ۳۳ـ ۳۷.

فنزلت الآيات توبيخاً له. أُسطورهٔ الغرانيق

قيل إنّ الَاسود بن المطلب، والوليد بن المغيرهٔ، وأُميّهٔ بن خلف، والعاص ابن وائل، قالوا للرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : يا محمّد هلمّ فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن و أنت فى الَامر. فأنزل اللّه تعالى: (لا أَعْبُدُ ما تَعْبُدُون* وَلا أَنْتُمْ عابِدُونَ ما أَعْبُد) .(۱)

ومع ذلك فإنّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) رغب فى أن يساوم قريشاً ويجاريهم، فقال فى نفسه: ليت نزل فى ذلك أمرٌ يقرّبنا من قريش. وبينما كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يتلوا القرآن فى الكعبهٔ، فبلغ قوله تعالى من سورهٔ النجم: (أَفَرَأَيْتُمُ اللّاتَ وَالعُزّى* وَمَناهَ

الثّالثَهَ الاَخری) (۲) أجری الشیطان علی لسانه الجملتین الآتیتین: «تلک الغرانیق العُلی منها الشفاعهٔ تُرتَجی». فقرأهما من دون اختیار، ثمّقرأ بعدها من الآیات. ولما بلغ آیهٔ السجدهٔ، سَجَد هو و من حضر من المسلمین و المشرکین أمام الاَصنام، إلّا الولید الذی عاقه کِبَرُ سنّه عن السجود، ففرح المشرکون وارتفعت صیحاتهم: لقد ذَکَر محمّد آلهتنا بخیر. فانتشر الخبر بالتقارب والمصالحهٔ بین الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) والمشرکین، ولکنّهم عرفوا بأنّالاَمر تغیّر ثانیهٔ، حیث نزل مَلَکُ الوحی علی النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» وأمره بمخالفهٔ الاَصنام ومجاهدهٔ الکفّار، وأنّ الشیطان هو الذی أجری تلک الکلمات علی لسانه، فهی لیس من الوحی فی شیء أبداً. فنزلت الآیات فی ذلک من سورهٔ الحجّ ۵۲ـ ۵۴:(وَما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِکَ مِنْ رَسُولٍ وَلا نَبِیٍّ إِلّا إِذا تَمَنّی أَلْقَی الشَّیْطانُ فی أُمْنِیَّتِهِ فَیَنْسَخُ اللّهُما یُلْقِی الشَّیْطانُ ثُمَّ یُحْکِمُ اللّهُ آیاتِهِ وَاللّهُ عَلیمٌ حَکیمٌ_____...) .

۱. الکافرون:۲ ـ ۳.

۲ . النجم: ۱۹ ـ ۲۰.

(۲۶۲)

هذه الاُسطورهٔ نقلها الطبری فی تاریخه، وردّدها المستشرقون، وهی باطلهٔ تماماً، فالعقل یحکم بأنّ المرشدین الذین یبعثهم اللّه تعالی إلی البشریهٔ، مصونون من أی خطأ وزلل، حتی لا تزول ثقهٔ الناس بهم وبأفکارهم. والقرآن شهد ببطلانها أیضاً فکیف تمکّن الشیطانُ من الانتصار علی النبیّ ص وسرّب إلی القرآن شیئاً باطلاً؟ فیصبح القرآن الذی یعادی الوثنیهٔویحاربها، داعیاً إلی عبادتها. والقرآن یوَکّد: (إنّ عِبادِی لَیْسَ لَکَ عَلَیْهِمْ سُلْطان)(۱) (إِنَّه لَیْسَ لَهُ سُلْطانٌ عَلَی الّذِینَ آمَنُوا وَعَلی رَبِّهِمْ یَتَوَکَّلُونَ).(۲)

ولذا فإنّ الحدیث باطل لم ینطق به النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) . لمحات من تضحیات وحبّ أبی طالب للنبی (صلی الله علیه وآله وسلم)

اجتمع أسیادُ قریش وأشرافها فی بیت أبی طالب للتحدّث عن رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) الذی کان متواجداً معهم، وعن دینه والمشکلات السائدهٔ فی مکهٔ، ومحاولهٔ إبعاد النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عن دعوته، ولکنّهم یئسوا فی الحصول علی أیّهٔ نتیجهٔ مرضیهٔ، فترکوا بیت أبی طالب غاضبین مهددین، وقال عقبهٔ بن أبی معیط: لا نعود إلیه أبداً، وما خیر من أن نغتال محمّداً.

فَغَضِبَ أبو طالب دون أن یرد علیهم بشیء لأنّهم کانوا فی بیته. وحدث أنّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) خرج من بیته فی نفس الیوم ولم یعد، فجمع أبو طالب الفتیان من بنی هاشم و بنی المطلب، وطلب منهم أن یتبعوه إلی المسجد، ویجلس کلُّ واحد منهم إلی عظیم من عظمائهم. فجاء زید بن حارثهٔ وسأله أبو

---

۱. الحجر:۴۲.

۲ . النحل:۹۹.

(۲۶۳)

طالب: یا زید أحسستَ ابن أخی؟ قال: نعم کنت معه آنفاً. فقال أبو طالب :لا أدخلُبیتی أبداً حتی أراه. فخرج زید سریعاً إلی بیت عند الصفا فیه النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» مع أصحابه وأخبره، فجاء النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) إلی أبی طالب، فقال له: أین کنت؟ أکنتَفی خیر؟ قال: «نعم». قال: أدخل بیتک.

وفی الغد خرج أبو طالب ومعه النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) إلی أندیهٔ قریش و قال: یا معشر قریش هل تدرون ما هممت به؟ قالوا: لا. فقال للفتیان من بنی هاشم و بنی المطلب: إکشفوا عمّا فی أیدیکم. فکشفوا فإذا کلُّ رجل منهم معه حدیدهٔ صارمهٔ. فقال: واللّه لو قتلتموه ما بقّیت منکم أحداً حتی نتفانی نحن و أنتم. فانکسر القوم، و کان أبو جهل أشدّهم انکساراً وخیبهٔ. تخطیط النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) العسکری یوم بدر

یُعتبر الحصول علی المعلومات حول العدو، ومعرفهٔ أسراره العسکریهٔ ومدی استعدادته، ومبلغ قوته، ودرجهٔ معنویات أفراده، علی أمر من الاَهمیهٔ و القیمهٔ، عسکریاً، منذ القدم وحتی الیوم. ولذا فإنّ الجیش الاِسلامی استقر فی منطقهٔ لاءمت مبادیَ التستر ومنع أی عمل من شأنه کشف أسراره، کما أنّه «صلی الله علیه وآله وسلم» کلف فرقاً مختلفهٔ بتحصیل وجمع المعلومات عن قریش وأفراد جیشها، حتی توفر لدی القیادهٔ الاِسلامیهٔ من المعلومات، کان أهمها:

ـ معرفهٔ نقطهٔ تواجد قریش ومکان قاعدتهم. فقد سأل النبی ص بنفسه، وأحد قواده، شیخاً من العرب عن قریش و محمّد وأصحابه، فقال: إنّ محمّداً وأصحابه خرجوا یوم کذا، فهم الآن بمکان کذا، وکذلک بالنسبهٔ لقریش.

ـ معلومات عن أعدادهم وعتادهم، فقد أرسل (صلی الله علیه وآله وسلم) الاِمام علیّاً (علیه السلام) والزبیر ابن العوام و سعد بن أبی وقاص إلی ماء بدر

(۲۶۴)

لالتماس الاَخبار، فقبضوا علی غلامین وأحضروهما إلی النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» الذی سألهما عن قریش، فقالا: هم و اللّه وراء هذا الکثیب الذی تری بالعدوهٔ القصوی.

فقال النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) : «کم القوم وعدّتهم؟» فقالا: لا ندری، هم کثیر. فقال (صلی الله علیه وآله وسلم) : کم ینحرون کلّ یوم من الاِبل؟ قالا: یوماً تسعاً ویوماً عشراً. فقال ص:« القوم فیما بین التسعمائهٔ والاَلف. فمن فیهم من أشراف قریش؟» قالا: عتبهٔ بن ربیعهٔ، وأبو البختری بن هشام، وحکیم بن حزام، وشیبهٔ بن ربیعهٔ، وأبو جهل بن هشام، وأُمیّهٔ بن خلف. فقال «صلی الله علیه وآله وسلم» لاَصحابه: «هذه مکّهٔ قد ألقت إلیکم أفلاذ کبدها».

ـ معلومات حول القافلهٔ، حیث کلّف (صلی الله علیه وآله وسلم) شخصین بالتوجه إلی قریهٔ بدر لتقصّی الحقائق عن قافلهٔ قریش. فسمعا عند الماء جاریتین تقول إحداهما للاُخری: إنّما تأتی القافلهٔ غداً أو بعد غد، فأعملُ لهم ثمّ أقضیک الذی لک. فقال لها مجدی بن عمرو الجهنی: صدقت. ثمّ خلص بینهما.

فعاد الاثنان إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وأخبراه بما سمعا. فعرف (صلی الله علیه وآله وسلم) بذلک وقت ورود القافلهٔ ومکان تواجدهم، ممّا مکّنه من الاِعداد والترتیب لملاقاتهم.

وعندما وصل أبو سفیان إلی بدر وسأل مجدی بن عمرو عن محمد ورجاله، أجابه: ما رأیت أحداً أُنکرُه، إلّا أنّی قد رأیت راکبین قد أناخا إلی هذا التل ثمّاستقیا ثمّ انطلقا. فأخذ أبو سفیان من أبعار بعیریهما ففتّه فإذا فیه النوی، فقال: هذه واللّه علائف یثرب، هذه عیون محمّد وأصحابه، ما أری القوم إلّاقریباً.

فرجع إلی أصحابه، واتّخذ جههٔ ساحل البحر الاَحمر، مبتعداً عن بدر.

(۲۶۵) من أحداث معرکهٔ أُحد

۱. نفقات الحرب

تحمّل أسیاد قریش نفقات المعرکهٔ، من اقتراح قدمه«صفوان بن أُمیّهٔ» و «عکرمهٔ بن أبی جهل» إلی أبی سفیان بأن یدفع کلّ واحد منهم مبلغاً من المال قائلین: یا معشر قریش، إنّمحمّداً قد وَتَرَکم، وقتل خیارکم، فأعینونا بهذا المال علی حربه، فلعلنا ندرک منه ثأرنا بمن أصاب منّا.

وقد أوضح القرآن الکریم موقفهم هذا بقوله: (إِن الّذِینَ کَفَرُوا یُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ لِیَصُدُّوا عَنْ سَبِیلِ اللّهِ فَسَیُنْفِقونَها ثُمَّ تَکُون عَلَیْهِمْ حَسْرَهً ثُمَّ یُغْلَبُون وَالّذِینَ کَفَرُوا إِلی جَهَنَّمَ یُحْشَرُون) .(۱)

۲. مشارکهٔ النساء فی الحرب

فقد شارکت نساء مکّهٔ الوثنیات مع الرجال فی هذه المعرکهٔ علی خلاف عادهٔ العرب، وذلک حتی یحرّضن الرجال علی القتال و

الصمود، ویمنعن المقاتلین من الفرار و الهروب، لاَنّالفرار یعنی أسرهن، ویشعلن الحماس فی النفوس بدق الدفوف، وإنشاد الاَشعار المثیرهٔ الداعیهٔ إلی الثار.

۳. إثارتهم للنبی (صلی الله علیه وآله وسلم)

حاول عدد من أفراد قریش، القیام بنبش قبر اُمّ محمّد «صلی الله علیه وآله وسلم» : آمنهٔ بنت وهب، قائلاً :فإنّ النساء عورهٔ، فإن یصب من نسائکم أحد قلتم هذه رمّهٔ اُمّک، فإن کان براً بأُمّه کما یزعم فلعمری لیفادینکم برّمهٔ أُمّه، وإن لم یظفر

---

۱. الاَنفال:۳۶.

بأحد من نسائکم فلعمری فلیفدین رمهٔ أُمّه بمال کثیر إن کان بها براً.

إلّا أنّ أهل الرأی منهم رفض الاقتراح وقالوا: لو فَعَلنا ذلک، نبشت بنو بکر وخزاعهٔ ـ و هم أعداء قریش ـ موتانا. ۴. إطلاق الشعارات تصبح مسألهٔ بث الدعایهٔ السیئهٔ وزرعها فی النفوس واستثمارها، سهلهٔ وموَثرهٔ فی الاِنسان عند الهزائم وإصابهٔ النکبات، فتصبح أکثر تقبلاً وأیسر تأثیراً.

ولذا فإنّ أبا سفیان أمر برفع الاَصنام والمناداهٔ بأعلی الاَصوات، بعد معرکهٔ اُحد: اُعلُ هبل، اُعل هبل. فأدرک النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) عمق الخطورهٔ من هذا الاَسلوب الموَثر فی النفوس، فأمر المسلمین بالاِجابهٔ علی ذلک بشعار مضاد قوی، فقال : «قولوا: اللّه أعلی وأجل، اللّه أعلی وأجل». فاستمر أبو سفیان فی إطلاق شعاراته المزیفهٔ: نحن لنا العزی ولا عُزی لکم. فردّ النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» علیهم: «اللّه مولانا ولا مولی لکم». فنادی المشرکون: یومٌ بیوم بدر. فأجاب المسلمون: لا سواء، قتلانا فی الجنهٔ، وقتلاکم فی النار. ۵. عن اُمّیهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)

روی العلاّمهٔ المجلسی عن الاِمام الصادق (علیه السلام) أنّه قال: کان ممّا منّ اللّه عزّوجلّ علی رسوله (صلی الله علیه وآله وسلم) أنّه کان لا یقرأ ولا یکتب، إلّا انّه عندما توجه أبو سفیان إلی اُحد، کتب العباس بن عبد المطلب إلی النبی

(صلی الله علیه وآله وسلم) یخبره بذلک، فوصله الکتاب وهو فی بعض حیطان المدینهٔ، فقرأه ولم یخبر أصحابه، وأمرهم أن یدخلوا المدینهٔ فأخبرهم عندئذ.(۱) ۶. التضحیهٔ والفداء فی سبیل اللّه

وخیر من مثلها فی معرکهٔ اُحد:

*عمرو بن الجموح: کان شیخاً أعرجاً أصیب فی رجله، وله من الاَولاد أربعهٔ یشهدون المشاهد مع النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) فأراد الاشتراک فی اُحد، ولکنّهم منعوه، فأتی الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) وقال له: إنّ بنیّ یریدون أن یحبسونی عن هذا الوجه والخروج معک فیه، فواللّه إنّی لاَرجو أن أطأ بعرجتی هذه فی الجنهٔ. فقال النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) : «أمّاأنت فقد عَذَرک اللّه ولا جهاد علیک». ثمّ توجّه إلی أبنائه وقومه: «لا علیکم ألا تمنعوه، لعلّ اللّه یرزقه الشهادهٔ». فخرج وهو یقول: اللّهم ارزقنی الشهادهٔ ولا تردّنی إلی أهلی. وقد حمل علی الاَعداء وهو یقول: أنا واللّه مشتاق إلی الجنّهٔ. فاستشهد فی المعرکهٔ.

* الشاب حنظلهٔ بن أبی عامر: کان له من العمر ۲۴ عاماً، واشترک أبوه فی اُحد إلی جانب قریش، حیث کان عدواً للنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) یحرّض علی قتاله، ومعاداهٔ الاِسلام، فهو السبب لما حدث فی مسجد ضرار. فکان علی الباطل، إلّا أنّ ابنه حنظلهٔ اتّخذ جانب الحقّ مع النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) . وفی یوم المعرکهٔ، کان قد أعدّ للزواج بابنهٔ عبد اللّه بن أبی سلول و یقیم مراسیم الزفاف والعرس فی لیلهٔ الخروج إلی اُحد، ولکنّه سمع نداء الجهاد فاستأذن الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) لیتوقف فی المدینهٔ لیلهٔ واحدهٔ حتی یجری مراسیم العرس و یقیم عند عروسته، ثمّ یلتحق بالمعسکر الاِسلامی فی الصباح. وقد نزل فی ذلک

قوله:(إِنَّما الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذا كانُوا مَعَهُ عَلى

---

۱. بحار الأنوار:۲۰|۱۱۱.

(۲۶۸)

أَمْرٍ جامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتّى يَسْتَأْذِنُوه إِنَّ الّذينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولئِكَ الّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذا استَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لمن شِئْت مِنْهُمْ) .(۱)

وخلال المعارك، استشهد وهو يطارد أبا سفيان، فقال النبى ص: رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن فى صحائف من ذهب. فكان يسمّى غسيل الملائكة أو حنظلة الغسيل، ذلك أنّه خرج إلى الحرب وهو جنب.

وكانت الأوس تعتبره من مفاخرها فتقول: ومنّا حنظلة غسيل الملائكة.

أمّا أبو سفيان فقال: حنظلة بحنظلة. ويقصد حنظلة الغسيل بحنظلة ابنه الذى قتل يوم بدر.

والأمر الغريب هنا، إنّ العروسين كانا مؤمنين متفانيين فى سبيل الحقّ، فى مقابل والدين من أعداء الرسولص، فعبد اللّه بن أبى سلول والد العروس كان على رأس المنافقين، وأبو عامر الفاسق والد العريس، سمّى فى الجاهلية بالراهب لعدائه الشديد للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) والتحق بالمشركين فى مكّة، وحرض هرقل على ضرب الحكومة الإسلامية، وقتل الكثير من المسلمين فى أُحد. إلّا أنّه عندما التقى المعسكران نادى أبو عامر: يا معشر الأوس أنا أبو عامر، فقد تخيل أنّهم سيتركون نصرة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا شاهدوه، ولكنّهم ردّوا عليه: فلا أنعم اللّه بك عيناً يا فاسق. فتركهم واعتزل الحرب بعد حين.

* أُمّ عمارة

تحدّثت النساء إلى الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بشأن

---

۱. النور:۶۲.

(۲۶۹)

اشتراكهن فى الجهاد: يا رسول اللّه نحن نقوم بكلّ ما يحتاج إليه الرجال فى حياتهم ليجاهدوا ببال فارغ، فلم حُرِمنا نحن من هذه الفضيلة؟ فأجاب «صلى الله عليه وآله وسلم» : إنّحُسْنَ التبعّل يعدل ذلك كلّه.مشيراً إلى الأسباب الطبيعية والعضوية للمرأة. إلّا أنّ بعضهن خرجن من المدينة لمساعدة جنود الإسلام، فى السقى وغسل ثيابهم وتضميد الجرحى. واشتهرت منهن فى أُحد: أُمّ عمارة نسيبة المازنية: التى قاتلت دفاعاً عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فجرحت، وقالت تشرح موقفها: أقبل ابن قميئة وقد ولّى الناس عن الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» يصيح: دلّونى على محمّد لانجوت إن نجا. فاعترض له مصعب بن عمير وآخرون، وكنت فيهم فضربنى هذه الضربة. ولقد ضربته على ذلك عدّة ضربات، ولكنّه احتمى بدرعين كانا عليه. و كان النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ينظر إلىّ، فرأى جرحاً على عاتقى، فصاح بأحد أولادى: «أُمّك أُمّك إعصب جرحها»، فعاوننى عليه.

وعندما رأت ابنها وقد جرح أقبلت إليه ومعها عصائب أعدّتها للجراح فربطت جرحه،والنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ينظر، فقالت لولدها: انهض يا بنى فضارب القوم. ممّا أعجب رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) باستقامتها وثباتها وإيمانها فقال: «ومن يطيق ما تطيقين يا أُمّ عمارة».

وفى هذه الأثناء أقبل الرجل الذى ضرب ولدها فقال النبى ص هذا ضارب ابنك. فحملت عليه كالأسد وضربت ساقه فبرك. ممّا ازداد من إعجاب النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بشجاعتها وبسالتها فتبسم وقال: «استقدت يا أُمّ عمارة، الحمد للّه الذى ظفّرك وأقرّ عينك من عدوك».

وبعد المعركهٔ طلبت الانضمام إلی جیش المسلمین الذی سار إلی حمراء الاَسد، ولکن جراحها منعتها من تأدیهٔ الغرض، وبعد رجوع النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» سأل عنها فسرّ لسلامتها. (۲۷۰) من أحداث غزوهٔ تبوک ۱. قصّهٔ مالک بن قیس

أبو خیثمهٔ: رجع إلی أهله فی یوم حار فوجد أنّ المسلمین قد غادروا مع الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) إلی تبوک، فدخل عریشاً له،وجد أنّ زوجتیه قد جهّزتا کلّما یحتاج إلیه من طعام وماء، فنظر إلیهما وفکّر ما فیه الرسول «صلی الله علیه وآله وسلم» وأصحابه من حال سیّء، فی أشدّ الحرارهٔ وهم قاصدون جهاد العدو، فقال: رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) فی الشمس و الحر والریح، و أبو خیثمهٔ فی ظلّ بارد وطعام مهیأ وامرأهٔحسناء فی ماله مقیم؟ ما هذا بالنصف. لاـ أدخل عریش واحدهٔ منکما حتی ألحق بالرسولوالمجاهدین. فخرج طالباً الرسولص فأدرکه حین نزل تبوک. ۲. تنبوَات الرسول الکریم (صلی الله علیه وآله وسلم)

عندما وصل جیش الاِسلام إلی أرض ثمود وهم فی الطریق إلی تبوک، غطی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وجهه بثوبه واستحثّ راحلته، لیسرع فی المرور علی بیوتهم وأطلالهم، وقال لاَصحابه: «لا تدخلوا بیوت الذین ظلموا إلاّوأنتم باکون، خوفاً أن یصیبکم مثل ما أصابهم». کما أنّه نهی عن شرب مائها أو التوضّوَ به للصلاهٔ أو الطبخ. حتی شربوا من البئر التی شربت منها ناقهٔ صالح النبی (علیه السلام) .

وفی تلک اللیلهٔ أمر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) أصحابه بأن یعقلوا آبالهم، ولا یخرج منهم أحد لوحده بل یخرج مع صاحبه، وذلک لمعرفهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) بأسرار الجو فی تلک البقاع. ولما خرج أحدهم فریداً فاختنق لشدهٔ الریاح، واحتملت رجلاً آخر فضربت به الجبل، انزعج ص وقال: «ألم أنهکم أن لایخرج منکم أحد إلاّو معه صاحبه».

(۲۷۱)

وأصبح الناس دون ماء فعطشوا حتی کاد أن یقطع رقابهم، لدرجهٔ أنّهم شربوا الماء من کروش إبلهم بعد نحرها. فأرسل اللّه سبحانه وتعالی سحابهٔ أمطرت فارتوی الناس.

وحدث أن ضلّت ناقهٔ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ببعض الطریق، فخرج أصحابه فی طلبها، فقال أحد المنافقین: ألیس محمّد یزعم أنّه نبیّویخبرکم عن خبر السماء وهو لا یدری أین ناقته؟ فقال الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) : «إنّ رجلاً قال: هذا محمّد یخبرکم أنّه نبی ویزعم أنّه یخبرکم بأمر السماء وهو لا یدری أین ناقته؟ وإنّی واللّه ما أعلم إلاّما علمنی اللّه، وقد دلّنی اللّه علیها،وهی فی هذا الوادی فی شعب کذا، وقد حبَستْها شجرهٔ بزمامها فانطلقوا حتی تأتونی بها». فذهب بعض الصحابهٔوأحضروها.

کما تنبّأ (صلی الله علیه وآله وسلم) بحیاهٔ أبی ذر و کیفیهٔ موته فقال: «رحم اللّه أبا ذر یمشی وحده ویموت وحده ویبعث وحده». وقد تحقّقت نبوءته «صلی الله علیه وآله وسلم» بعد ۲۳ عاماً حینما نفی إلی الربذهٔ فی الشام، وتوفی هناک وحیداً إلاّ من أهله. مأساهٔ الدعاهٔ والمبلّغین

کان النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) یبعث بمجموعات من المبلغین والدعاهٔ إلی القبائل داعیاً لهم إلی التوحید وإلی الدین الاِسلامی، وقد تألّف هوَلاء من قرّاء القرآن الکریم والعارفین بالاَحکام الاِسلامیهٔ والتعالیم النبویهٔ، أبدوا استعداداً تاماً لاَداء مهامهم الصعبهٔ حتی لو کلّفت حیاتهم.

ومن القبائل التی تقدمت إلی النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) تطلب إرسال

(۲۷۲)

عدد من هوَلاء الدعاهٔ : قبیلتا عضل والقارهٔ: «إنّ فینا إسلاماً فاشیاً، فابعث معنا نفراً من أصحابنا یُقْرِئوننا القرآن ویفقهوننا فی الاِسلام»، فتکونت جماعهٔ منهم بقیادهٔ: مرثد بن أبی مرثد الغَنوی، ساروا حتی وصلوا ماء الرجیع التی تقطن عنده قبیلهٔ هذیل، فکشفوا عن نواياهم الشریرهٔ بقتلهم والغدر بهم، إلاّ أنّ المبلغین استعدوا للقتال، فقال العدو: ما نرید قتالکم وما نرید إلاّ أن نصیب منکم من أهل مکهٔ ثمناً، ولکم عهد اللّه وميثاقه لا نقتلکم. فردّعلیه أحدهم: إنّی نذرت أن لا أقبل جوار مشرک. أو قالوا: واللّه لا نقبل من مشرک

عهـداً ولا عقـداً أبـداً. ولذا فقد قاتلوا القوم قتال الاَبطال فاستشـهدوا إلاّ ثلاثهٔ منهم: زید بن دثّنهٔ، خبیب بن عدی، و عبد اللّه بن طارق البلوی، إذ أنّهم استسـلموا فأوثقوهم،ولکن عبـد اللّه نـدم علی فعله فقاتلهم ثانیهٔ حتی قتل فدفن بمر الظهران. أمّا الآخران فباعوهما فی مکّهٔ، حیث اشتری صفوان بن اُمیّهٔ، زید بن دثّنهٔ وقتله ثأراً لاَبیه. فقام أوّل شیء بحبسه فی الحدید، وکان یتهجد باللیل و یصوم النهار، ثمّ أخرجه إلی التنعیم لیصـلبه علی مرأی من الناس، فطلب أن یصلی رکعتین، ثمّحملوه علی الخشبهٔ وقالوا له: یا زید إرجع عن دینک المحدث واتّبع دیننا ونرسلک، فیقول: واللّه لا أفارق دینی أبداً.

فقال له أبو سفیان: أنشدک باللّه یا زید أیسرّک أنّمحمّداً فی أیدینا مکانک وأنت فی بیتک؟ فقال زید بشجاعهٔ: ما یسرنی أنّ محمّداً اُشیـک بشوکـهٔ وإنّی فی بیتی وجـالس فی أهلی. فأثّرت کلماته فی نفس«أبی سـفیان» فقال: ما رأینا أصـحاب رجل قطّ أشـدّ حبّاً فی أصحاب محمّد بمحمد. فصلبوه شهیداً دفاعاً عن العقیدهٔ وحیاض الدین.

أمّـا خبیب فقـد حبسوه فترهٔ من الوقت ثمّ قرروا قتله صـلباً أیضـاً. فخرجوا به إلی التنعیم، وخرجت جماعـهٔ من النساء والصبیان و العبید ومن أهل مکّهٔ، فقال

(۲۷۳)

لهم: إن رأیتم أن تـدعونی حتی أرکع رکعتین فافعلوا. فسـمحوا له، ثمّ قال لهم: أما واللّه لولا أن تظنّوا أنّی إنّما طولت جزعاً من القتل لاسـتکثرت من الصـلاهٔ. فرفعوه علی خشـبهٔ و قالوا: إرجع عن الاِسـلام نخلّسبیلک. فقال: لا واللّه ما أحبّ إنّی رجعت عن الاِسلام وأنّ لی مـا فی الاَرض جمیعاً. فقالوا له: أما واللات والعزی لئن لم تفعل لنقتلنک. فقال: إنّ قتلی فی اللّه لقلیل. ثمّ صـرفوا وجهه عن القبلهٔ ووجهوه نحو المدینهٔ فقال: أمّا صـرفکم وجهی عن القبلهٔ فإنّ اللّه یقول: (فَأَیْنما تُوَلّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللّه) (۱) اللّهم إنّی لا أری إلاّوجه عدو، اللّهم إنّه لیس هاهنا أحـد یبلغ رسولک السـلام عنّی فبلغه أنت عنّی السـلام. ثمّ دعا علی القوم: اللّهم أحصـهم عـدداً واقتلهم بدداً ولا تغـادر منهم أحـداً. ثمّ دعوا أبنـاء من قتـل ببـدر فکـانوا أربعین غلاماً، أعطوا کلّواحـد منهم رمحاً، وقالوا لهم: هـذا الـذی قتل آباءکم. فطعنوه برماحهم،فتحرک علی الخشـبهٔ وصار وجهه نحو الکعبـهٔ فقال: الحمـد للّه الذی جعل وجهی نحو قبلته التی رضـی لنفسه ولنبیّه وللموَمنین. فغضب أحد المشـرکین: عقبهٔ بن الحارث لتمسکه بالاِسلام وإخلاصه له، فطعنه طعنهٔ قاتلهٔ وهو یوحّد اللّه ویشهد أنّمحمّداً رسول اللّه. وبقی جثمانه فترهٔ علی الخشـبهٔ بحراسهٔ الکفّار حتی أنزله اثنان من المسـلمین الاَشدّاء ودفناه کماأمر الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) .

وقد أحزن هذا الحادث الاَلیم رسول اللّه (صـلی الله علیه وآله وسـلم) وجمیع المسـلمین، وأنشد فیهم حسّان بن ثابت أبیاتاً ذکرها «ابن هشام»فی سیرته. إسلام کعب بن زهیر بن أبی سلمی

کان زهیر بن أبی سلمی من شعراء العرب البارزین فی العهد الجاهلی،

---

۱. البقرهٔ: ۱۱۵.

(۲۷۴)

وصاحب إحدی المعلّقات السبع التی نصبت فی الکعبهٔ وتفتخر بها العرب. وتوفی قبل عصر الرسالهٔ. وکان له ولدین: بجیر و کعب. أمّا بجیر فقد آمن بالاِسـلام ولازم النبی ص وأحبه، بینما عادی کعب النبی (صـلی الله علیه وآله وسـلم) فکان یهجوه فی قصائده وأشعاره ویوَلّب الناس علی الاِسلام. أمّا النبی «صلی الله علیه وآله وسلم» فکان قد هدد بالقتل بعض الشعراء الذین کانوا یهجونه «صلی الله علیه وآله وسـلم» وأهدر دماءهم. فکتب بجیر إلی کعب ینصـحه: إن کانت لک فی نفسک حاجهٔ فَطِر إلی رسول اللّه (صـلی الله علیه وآله وسـلم) فإنّه لا یقتل أحداً جاءه تائباً. فاطمأنّ لکلام أخیه وتوجه إلی المدینهٔ وقابل النبی «صـلی الله علیه وآله وسـلم» فی المسجد وقت صلاهٔ الصـبح، فصلّی معه لاَوّل مرّهٔ و جلس إلیه و وضع یده فی یده والنبی (صلی الله علیه وآله وسلم) لا یعرفه، فقال: یا رسول اللّه انّ

كعب بن زهير جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به؟ فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «نعم». فقال: أنا يا رسول اللّه كعب ابن زهير. ثمّ أخرج قصيدته اللامية التى مدح فيها رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأنشدها بين يديه فى المسجد ليتلافى بها ما سبق أن بدر منه من هجاء و طعن فى سيد المرسلينص

وقيل أنّ أحد الاَنصار وثب عليه: يا رسول اللّه دعنى وعدو اللّه أن أضرب عنقه. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «دعه عنك فإنّه قد جاء تائباً نازعاً ـ عمّا كان عليه ـ» .

وهذه القصيدة هى من أفضل قصائد كعب، اعتنى المسلمون بحفظها ونشرها منذ ذلك الوقت، كما شرحها علماء الاِسلام كثيراً، وهى تضم ۵۸ بيتاً تنتهى قوافيها باللام المضمومة، ويبدأ مطلعها:

بانَتْ سعادُ فقَلْبى اليومَ متبولُ متيّمٌ إثرها لم يُفدَ مَكْبُولُ

و سعاد هى زوجته وابنة عمّه، بدأ بها كعادة شعراء العهد الجاهلى، إلى أن قال:

أَنَّ الرسول لسيف يستضاء به مهند من سيوف اللّه مسلول

(۲۷۵)

فأبدله النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) : إنّالنبى لنور يستضاء به....

وقيل إنّالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) كساه بردة كانت عليه، طلبها معاوية فى زمنه، فقال كعب: ما كنت لاُوثر بثوب رسول اللّه أحداً. فلمّا مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم. ثمّ تداولها حكّام بنى اُميّة والعباس بعد ذلك. إسلام عدى بن حاتم

بعث النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ۱۵۰ فارساً على رأسهم الاِمام على (عليه السلام) إلى أرض طىء ليحطم صنم طىء و يهدم بيته، فنجح فى مهمته، وفرّ عدى بن حاتم الطائى رئيس القبيلة إلى الشام، ويقول هو فى ذلك: «فكنت إمرءاً شريفاً، وكنت نصرانياً، وأسير فى قومى بالمرباع ـ أخذ الربع من الغنائم لاَنّه سيدهم ـ وكنت ملكاً فى قومى لما كان يُصنع بى. فلمّا سمعت برسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» كرهته فقلت لغلام راعياً لاِبلى: إذا سمعت بجيش محمد قد وطئَ هذه البلاد فآذنّى. ففعل و قال: فإنّى قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا: هذه جيوش محمّد. فاحتملت بأهلى وولدى وقلت: ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام،وتركت اُختى فى قومى». وقد ظفر المسلمون بأُخته فى سبايا طىء إلى النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» الذى أبلغوه عن هروبه إلى الشام. فوضعوها فى مكان بباب المسجد، فكانت تقول للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عندما تراه: يا رسول اللّه هلك الوالد وغاب الوافد، فامنُن علىّ منّ اللّه عليك. قال (صلى الله عليه وآله وسلم) :«ومن وافدك؟» قالت: عدى بن حاتم. فقال (صلى الله عليه وآله وسلم) :« الفار من اللّه ورسوله». وكررت عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) قولها ثلاث مرّات، فقال لها الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) : «قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك إلى بلادك ثمّ آذنينى». ولمّا قررت السفر مع جماعة من قومها قالت: فكسانى رسول اللّه «صلى الله عليه وآله

(۲۷۶)

وسلم» وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام. ولما وصلت عند أخيها، أخذت تلومه: القاطع الظالم، احتملت أهلك وولدك، وتركت بقية والدك، عورتك. فقال لها: لا تقولى إلّاخيراً فواللّه مالى من عذر. ثمّ سألها: ماذا ترين عن أمر هذا الرجل ـ أى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت: أرى واللّه أن تلحق به سريعاً، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله، وإن يكن ملكاً فلن تذلّ فى عزّ اليمن وأنت أنت. فقال: واللّه إنّ هذا هو الرأى.

وعندما قدم إلى المدينة، اصطحبه النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بيته، وأجلسه على وسادة طيّبة، وجلس هو على الاَرض. فقلت فى نفسى: واللّه ما هذا بأمر ملك. ثمّ قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : «إيه يا عدى بن حاتم، ألم تكن ركوسياً ـ وهو دين بين

النصاری و الصابئین ـ؟» قلت: بلی. فقال:« أو لم تکن تسیر فی قومک بالمرباع؟» قلت: بلی. فعرفت أنّه نبیّمرسل یعلم ما یُجهل.

فقد تنبأ أمامه بالرخاء وسعهٔ المال للمسلمین،وازدیاد عددهم، ومساحهٔ الاَرض التی یحصلون علیها، وسیطرتهم علی الملک، و العیش بالقصور البیض من أرض بابل. فأسلم عدی بن حاتم. ورأی بعینیه بعد فترهٔ، القصور البیض فی بابل و قد فتحت، والمرأهٔ تخرج من القادسیهٔ علی بعیرها لتحجّالبیت الحرام دون خوف.

و کان عدی یقول: قد مضت اثنتان و بقیت الثالثهٔ... وأیم اللّه لتکونن الثالثهٔ، لیفیضنّ المال حتی لا یوجد من یأخذه.

(۲۷۷)

المصادر و المراجع

المصادر و المراجع ۱. ابن أبی الحدید المعتزلی: شرح نهج البلاغهٔ.

۲. ابن الاَثیر، عزّ الدین أبو الحسن علی بن محمد الجزری: الکامل فی التاریخ.

۳. ابن الاَثیر، عزّ الدین أبو الحسن علی بن محمد الجزری: أُسد الغابهٔ.

۴. الاَحمدی، المحقّق الشیخ علی: مکاتیب الرسولص.

۵. أحمد عادل کمال:الطریق إلی المدائن. بیروت دار النفائس ۱۹۷۷م.

۶. الاِصفهانی، أبو الفرج علی بن الحسین: مقاتل الطالبیین.

۷. الاِربلی، علی بن عیسی: کشف الغمّهٔ فی معرفهٔ الاَئمّهٔ.

۸. الاَمینی، الشیخ عبد الحسین: الغدیر.

۹. ابن حبیب، أبو جعفر محمّد: المحبّر.

۱۰. ابن حجر العسقلانی، الحافظ أحمد بن علی بن محمد: الاِصابهٔ فی تمییز الصحابهٔ.

۱۱. ابن حجر، أحمد الهیتمی: الصواعق المحرقهٔ.

۱۲. ابن حنبل، أبو عبد اللّه أحمد بن حنبل الشیبانی: مسند أحمد.

۱۳. ابن خلّکان، شمس الدین أبو العباس أحمد بن أبی بکر: وفیات الاَعیان وأنباء أبناء الزمان.

۱۴. ابن سعد، محمد بن سعد : الطبقات الکبری.

۱۵. ابن طاووس، السید عبد الکریم: إقبال الاَعمال.

(۲۷۸)

۱۶. ابن عبد البرّ، الحافظ المالکی الاَندلسی: الاِستیعاب فی معرفهٔ الاَصحاب.

۱۷. ابن کثیر، الحافظ عماد الدین: البدایهٔ و النهایهٔ.

۱۸. ابن هشام، محمد بن عبد الملک: السیرهٔ النبویهٔ.

۱۹. ابن القیم، العلاّمهٔ شمس الدین الجوزیهٔ: زاد المعاد فی هدی خیر العباد.

۲۰. ابن معد، السید شمس الدین فخار: حجّهٔ الذاهب إلی إیمان أبی طالب.

۲۱. ابن واضح، أحمد بن أبی یعقوب بن جعفر بن وهب: تاریخ الیعقوبی.

۲۲. أبو نعیم، الاصفهانی: حلیهٔ الاَولیاء.

۲۳. البحرانی، السیدهاشم: تفسیر البرهان.

۲۴. البخاری، أبو عبد اللّه محمد بن إسماعیل: الصحیح.

۲۵. البرهان فوری، علاء الدین علی المتقی بن حسام الدین الهندی: کنز العمال.

۲۶. البلاذری، أحمد بن یحیی بن جابر: فتوح البلدان.

۲۷. البیرونی، أبو الریحان محمد أحمد الخوارزمی: الآثار الباقیهٔ عن القرون الخالیهٔ.

۲۸. الثعالبی، أبو منصور عبد الملک: ثمار القلوب.

۲۹. الحاکم النیسابوری، الحافظ أبی عبد اللّه بن محمد بن عبد اللّه: المستدرک.

۳۰. الحسینی، السید علی خان المدنی: الدرجات الرفیعهٔ فی طبقات الشیعهٔ الإمامیهٔ.

۳۱. الحرّالعاملی، محمد بن الحسن: وسائل الشیعهٔ.

۳۲. الحلبی، الشیخ علی بن برهان الدین الشافعی: السیرهٔ الحلبیهٔ.

۳۳. الحیدر آبادی، محمد حمید اللّه: مجموعهٔ الوثائق السیاسیهٔ للعهد النبوی والخلافهٔ الراشدهٔ.

۳۴. الدیار بکری، القاضی حسین بن محمد بن الحسن المالکی: تاریخ الخمیس.

۳۵. الرازی، فخر الدین: مفاتیح الغیب.

(۲۷۹)

۳۶. الزمخشری، محمود بن عمر: الکشاف عن حقائق التنزیل.

۳۷. السبحانی، الشیخ جعفر: مفاهیم القرآن.

۳۸. السبحانی، الشیخ جعفر: معالم التوحید فی القرآن الکریم.

۳۹. السیوطی، الحافظ عبد الرحمن بن أبی بکر جلال الدین: الدرّالمنثور.

۴۰. الشهرستانی، أبو الفتح محمد بن عبد الکریم: الملل و النحل.

۴۱. الصدوق، محمد بن علی القمی: الخصال.

۴۲. الصدوق، محمد بن علی القمی: علل الشرائع.

۴۳. الطباطبائی، السید محمّد حسین: تفسیر المیزان.

۴۴. الطبرسی، أحمد بن علی : مجمع البیان فی تفسیر القرآن.

۴۵.الطبرسی، فضل بن الحسن: إعلام الوری بأعلام الهدی.

۴۶. الطبری، أبو جعفر محمد بن جریر: تاریخ الأُمم والملوک.

۴۷. الطوسی، محمد بن الحسن: الأمالی.

۴۸. القمی، الشیخ عباس: سفینهٔ البحار.

۴۹. کحالهٔ، عمر رضا: أعلام النساء.

۵۰. الکراجکی، أبو الفتح محمد بن علی: کنز الفوائد.

۵۱. الکلینی، محمد بن یعقوب : فروع الکافی.

۵۲. الکلینی، محمد بن یعقوب: روضهٔ الکافی.

۵۳. الکوفی ، أبو القاسم: الاستغاثهٔ.

۵۴. المجلسی، محمد باقر: بحار الأنوار.

۵۵. الشریف الرضی: نهج البلاغهٔ، شرح محمد عبده.

۵۶. مسلم، أبو الحسین مسلم بن الحجاج بن مسلم القشیری النیسابوری: الصحیح.

(۲۸۰)

۵۷. المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان: الإرشاد.

۵۸. المقريزى، تقى الدين أبو محمّد: إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأحوال والحفدة والمتاع.

۵۹. النسائى، القاضى أحمد بن شعيب بن على: سنن النسائى.

۶۰. الواقدى، محمد بن عمرو: المغازى.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علىّ بْنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلّامة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج ۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإمامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ – فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹